الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
نيابة مديرية الجامعة للتكوين العالي في الطور الثالث, التأهيل الجامعي, البحث العلمي
و التكوين العالي فيما بعد التدرج
Vice-rectorat de la formation de troisième cycle, l'habilitation universitaire,
la recherche scientifique et la formation supérieure de post-graduation



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
قسم التاريخ وعلم الآثار

المجتمع الجزائري من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين 17 و18 م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د)
في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: بكري حمزة

إشراف: أ.د/ دادة محمد

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
أ.د/ حمدادو بن عمر	أستاذ	جامعة وهران1	رئيسا
أ.د/ دادة محمد	أستاذ	جامعة وهران1	مشرفا ومقررا
د/ آيت حبوش حميد	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران1	مناقشا
أ.د/ مكحلي محمد	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
د/ بونقاب مختار	أستاذ محاضر أ	جامعة معسكر	مناقشا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

نَرْفَعُ دَرَجَٰتِ مَن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِے عِلْمٍ عَلِيمٌ ۗ

سورة يوسف-الآية 76

اللهم علمني ماينفعني
وانفعني بما علمتني
وزدني علما

شكر وعرفان

نحمد الله ونشكره عز وجل على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل العلمي

نتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرف الأستاذ الفاضل الدكتور دادة محمد على مساعدته لنا في إنجاز هذه الأطروحة، وعلى صبره وتفهمه لظروف سير البحث، جزاه الله عنا كل خير.

والشكر الموصول لرئيس المشروع ونائب المشرف الأستاذ الدكتور حمدادو بن عمر على توجيهه ونصحه لنا.

كما نتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولها مناقشة الرسالة راجين من الله كل التوفيق والسداد لنا ولهم إن شاء الله.

وإلى كل أساتذة وعمال المركز الجامعي نور البشير بالبيض وجامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل ولو بكلمة طيبة، على وجه الخصوص أساتذتنا وزملائنا الطلبة وزملاء المهنة بمستشفى محمد بوضياف بالبيض وأساتذة التعليم شبه الطبي خاصة دفعة 2018/2020 سيدي بلعباس، وإلى كل الأصدقاء.

بكري حمزة

إهـــــــــــداء

أهدي هذا العمل إلى روح والدي لخضر وجدي وجدتي رحمهم اللّه

وأسكنهم فسيح جنانه.

وإلى والدتــي العزيــزة أطـال اللّه في عمرها وحفظها من كل سوء هي

سندي ونور عيني.

وإلى زوجتي التي صبرت معي طيلة فترة إنجاز هذا العمل جزاها اللّه خير

الجزاء.

إلى أبنائي وبناتي :محمد لخضر- جواد عبد العزيز- حفصة- بلقيس أريـج

حفظهم اللّه ورعاهم.

إلى أخي وأخواتي بارك اللّه فيهم وفي أهلهم وأولادهم.

وإلى كافة طلبة العلم.

إلى روح الفقيـد الأخ والزميل الأستاذ والدكتور ميلـودي عبد الكريـم

وصديقي وأخي شيخاوي عبد اللّه، فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أترحم

عليهما وأدعو لهما بالمغفرة والرحمة ولجميع موتى المسلمين.

وإلى كل الشهـداء رحمـهم اللّه، وحفـظ اللّه الجـزائـر من كل سـوء

ومكروه.

جدول المختصرات

جدول المختصرات

باللغة العربية

الاختصار	الكلمة
ت	تاريخ الوفاة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
د ب	دون بلد النشر
د ت	دون تاريخ النشر
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
ق	القرن
مج	مجلد
ص ص	من الصفحة... إلى الصفحة...
م	ميلادي
هـ	هجري

باللغة الفرنسية

Le sigle	Le mot
ANEP	Agence Nationale d'Edition et de Publicité
Ibid.	Ibidem
Op.cit.	Ouvrage précédemment cité
p	La page
pp	De la page…à la page…

المقدمة

يُعدّ أدب الرحلة من أقدم أنواع الأدب المعروفة عند العرب، فقد اهتموا به اهتماما كبيرا لأنه خلد العديد من الرحلات الاستكشافية التي عرّفت بالمناطق والبلدان التي شملتها، وهو ما يجعل الاعتماد عليها في الدراسات التاريخية والانتروبولوجية أساسيا لما له من قيمة علمية كبيرة، خاصة وأن كتابات الرحالة قد استندت على المشاهدة والملاحظة المباشرة وقد احتوت في مضامينها على الكثير من المعطيات التاريخية والجغرافية التي قد لا نجدها في مصادر ومراجع أخرى.

وهذا ما نلمسه في مضمون العديد من كتابات الرحالة المغاربة في العصر الحديث حيث تضمنت معلومات في غاية الأهمية عن واقع الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأيضا نوعية الحياة الثقافية والروحية السائدة في العهد العثماني، والشاهد عليه ما عاشته الجزائر خلال هذه الفترة من اضطرابات سياسية وسوء للأحوال الاقتصادية المؤثرة بدورها على الحياة الاجتماعية والثقافية.

وكلّ هذا سايرته الرحلة وعايشته في جميع الأحوال القائمة، فكان لها أثر على سيرها وعملية تدوينها وحركتها في نقل واقع المجتمع الجزائري المعاش في شتى جوانبه خاصة الفترة الممتدة ما بين القرنين 11و12هـ/17 و18م.

وعليه فإن موضوع بحثنا يتناول دراسة أوضاع المجتمع الجزائري من خلال كتابات الرحالة المغاربة خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م، وهي فترة شهدت فيها الجزائر أحداثا هامة، كما أنها تكتسي أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ الجزائر الحديث، فضلا عن العديد من الرحلات المغاربية.

وما زاد من القيمة العلمية لهذه الكتابات الرحلية هو اقترانها بالمشاهدة الشخصية والوصف الدقيق، خاصة عندما يتعلق الأمر برحلات الحج، لاسيما وأن الجزائر نقطة عبور والتقاء ركب الحجيج المغاربة في ذلك العصر.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في إعادة الاعتبار لكتابات الرحالة المغاربة كمصدر مهم للمعرفة التاريخية التي يجب الالتفات إليها والاستفادة منها في الدراسات التاريخية الحديثة وسواء كانت الرحلة نثرية أو شعرية فإنها تظهر القيم التاريخية التي توثّق الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية والفنية، فهي بذلك تتعرض إلى جميع مجالات حياة المجتمع، وبالتالي تتوفر على مادة مهمة وأساسية يستفيد منها كلٌ من المؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم وسجلا لمختلف مظاهر الحياة.

فثراء موضوعاتها وما تحمله من قيمة تاريخية وحضارية وأدبية ميّزها وأهَلها بأن تكون مصدرا مهمّا للباحثين في شتى المجالات، فضلا عن كونها ثروة معرفية كبيرة فهي تمثل مرآة لخصوصيات أي مجتمع كان وفي أي فترة من الفترات التي عاشها.

أهداف الموضوع:

جاء هذا البحث الموسوم ب:**"المجتمع الجزائري من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين 17 و18م"** هادفا إلى تسليط الضوء على تجليات الواقع السياسي والاقتصادي في المجتمع الجزائري، وما يتعلق بها من مظاهر اجتماعية وثقافية خلال هذه الفترة.

وقد سعينا من وراء هذه الأطروحة إلى التعرف على أهم الرحالة المغاربة ورحلاتهم ودورهم في نقل أخبار وأحوال المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة الممتدة بين القرنين17و18 للميلاد.

دوافع اختيار الموضوع:

وقع اختيارنا على هذا الموضوع انطلاقا من عدة دوافع أهمها:

- الاهتمام بهذا النوع من المواضيع، وقيمته العلمية والتاريخية.
- محاولة الكشف والتنقيب عن الجوانب التي لم تزل في نظرنا غامضة وغير مدروسة في تاريخ الجزائر العثماني.

- إلقاء الضوء على ما كتبه الرحالة المغاربة عن المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني.
- المساهمة في إثراء ودراسة بعض الجوانب من هذا الموضوع.

إضافة إلى هذه الدوافع العلمية هناك دوافع شخصية لاختيار هذا الموضوع تنبع من ميلنا الكبير نحو كتابات الرحالة وما تحمله من معارف متعددة من خلال جمالية سرد الأخبار والأحداث وسلاسة اللغة المستعملة في نص الرحلة، بالإضافة إلى تطرقها إلى التعريف بالأماكن والأعلام وجميع مظاهر المجتمعات وبكل جزئياته.

وصف إشكالية البحث:

تدور إشكالية البحث حول طبيعة وطريقة كتابات الرحالة المغاربة وتوضيح مدى إسهاماتهم في تدوين التاريخ الجزائري في ظل أحداث وتطورات متفرقة عرفتها الجزائر أثناء الفترة المدروسة.

ومن هنا طرحنا إشكالية رئيسة للبحث هي:

- **إلى أيّ مدى استطاعت كتابات الرّحالة المغاربة نقل واقع المجتمع الجزائري خلال القرنين 17و18م بموضوعية لا تتعارض مع الحقائق التّاريخية؟**

الأسئلة الفرعية:

تأسست هذه الإشكالية الرئيسة على أسئلة فرعية أهمها:

- من هم أبرز الرحالة المغاربة الذين ساهموا بكتاباتهم في وصف أحوال المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة؟
- فيما تمثلت الطرق والأساليب التي اعتمدها الرحالة في تعاملهم مع المجتمع الجزائري من أجل تسجيل ما عايشوه؟
- ما هي أبرز القيم التي تعكسها كتابات الرحالة المغاربة؟

منهج البحث:

وللإجابة عن الإشكاليات المطروحة، فضلنا أن نتبع المنهج التاريخي الذي يتلاءم مع موضوع بحثنا، كما استعنا بإجراءات التحليل والاستقراء والوصف في تتبع تجليات صورة المجتمع الجزائري في كتابات الرحالة المغاربة سعيا منّا إلى تفسير الأحداث ومناقشتها وفق رؤية علمية.

الدراسات السابقة:

يدخل هذا البحث في نطاق البحوث والدراسات التي تناولت واقع المجتمع الجزائري في ظل الحكم العثماني من خلال كتابات الرحالة المغاربة، ويمكن أن نذكر من بين هذه الدراسات:

1-الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني للمؤلف مولاي بالحميسي.

2-الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني(مذكرات تيدنا أنموذجا) للمؤلف عميراوي احميدة.

3-ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني(1518-1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، رسالة دكتوراه لأحمد بوسعيد.

4-الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، رسالة دكتوراه لفاتح بلعمري.

غير أن هناك قلة في الكتابات المتعلقة بموضوع دراستنا.

خطة البحث:

قسمنا بحثنا إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة، جاءت على النحو التالي:



المدخل:

تضمن تطور الرحلة عند العرب عبر التاريخ، حيث تطرقنا لمفهوم الرحلة اللغوي والاصطلاحي وعلاقتهما بأدب الرحلة، وعرّجنا على دوافع الرحلة وأنواعها، وبيّنا أيضا علاقة بدايتها بعلم الجغرافيا.

الفصل الأول:

ركزنا من خلاله على أبرز الرحالة المغاربة الذين جالوا ومروا بأرض الجزائر خلال تلك الفترة، وكان لهم الدور الكبير في رسم صورة المجتمع الجزائري إلى حدّ بعيد، فقمنا بتراجم لأعلام الرحالة وذكر مناقبهم ومسيرتهم العلمية.

ثم تطرقنا للأوضاع العامة التي عرفتها الجزائر خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م والتي تزامنت مع رحلات المغاربة، مبرزين أهمية موقع الجزائر والأوضاع السياسية التي عرفتها البلاد والحياة الاجتماعية حين ذاك، كما أشرنا باختصار إلى تركيبة المجتمع وإلى الحياة الاقتصادية والثقافية والعلمية والإنتاج الفكري للعلماء والمؤسسات الثقافية.

الفصل الثاني:

تحدثنا في هذا الفصل عن واقع المجتمع الجزائري بعيون الرحالة المغاربة، حيث تناولنا من خلاله الأوضاع السياسية التي عاشتها المناطق الجزائرية التي وصلتها أقدام الرحالة خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م والتي عايشوها وتحدثوا عنها بإسهاب.

فقاموا بتصوير الحياة الاجتماعية في تلك الفترة من عادات وتقاليد وطقوس وغيرها من ظروف العيش، إضافة إلى الوضع الصحي والآفات الاجتماعية التي عاشها المجتمع.

كما تناولوا الأوضاع الاقتصادية بشكل مفصل للغاية وعلى جميع الأصعدة، وكان الحديث عن الحياة الثقافية بشكل خاص لأن غالبية أصحاب الرحلة يميلون إلى الحديث عن العلماء وإنتاجهم الفكري والمؤسسات الثقافية التي كانت موجودة حين مرورهم بالبلدان وزياراتهم للأضرحة والمساجد والمؤسسات الثقافية والدينية.

الفصل الثالث:

عرّفنا في هذا الفصل بأساليب وطرق تدوين الرحالة المغاربة لتاريخ الجزائر في تلك الفترة، من التقصي وتسجيل المعلومات والأحداث التي كانت تعتمد على الملاحظة والمشاهدة والمعاينة والمشافهة والسماع، واستثمار رصيدهم المعرفي من الاطلاع على كتب الرحالة وكتب الدين والتاريخ والجغرافيا وغيرها من المصادر التي كان لها دور هام في تأكيد صحة المعلومة وتوثيقها.

كما لم نهمل ذكر قيمة كتب رحلات المغاربة التي وظفناها باعتبارها مصادر أساسية لا غنى عنها في كتابة التاريخ الجزائري الحديث، ففصلنا كل رحلة على حدا مسلطين الضوء على أهميتها وقيمتها التاريخية.

خاتمة:

جاءت خاتمة بحثنا بجملة من الاستنتاجات والنتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

المصادر المعتمدة:

يحتاج الباحث لدراسة المجتمع الجزائري خلال القرنين 17 و18م من خلال كتابات الرحالة المغاربة إلى مؤلفات عديدة ووسائل متنوعة بحكم تعدد جوانب هذه الدراسة من جهة وطول الفترة المدروسة من جهة أخرى، كما أن تعدد وتنوع الرحلات يطرح إشكالية نوعية الأخبار والمعارف التي دُونت فيها.

لذلك اخترنا أن ننتقي بعض مصادر الرحلة من القرن 17 إلى 18م التي جال أصحابها الجزائر أو مروا بها، بناء على معيارين:

- **المعيار الأول:**أن يكون نص الرحلة محققا، ومن جملة النصوص المحققة التي اعتمدنا عليها:

1-رحلة أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي:"الرحلة العياشية" أو"ماء الموائد"، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي.

2–رحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي:"رحلة المجاجي"، تحقيق سعاد آل سيد الشيخ.

3-رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري:"الرحلة الناصرية الكبرى"، تحقيق المهدي الغالي.

4-رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي:"التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام"، تحقيق محمد بوزيان بنعلي.

5-رحلة أبي عبد الله محمد بن أحمد الحُضيكي السوسي:"الرحلة الحجازية"، تحقيق عبد العلي لمدبر.

6-رحلة الحسين بن محمد الورثيلاني:"الرحلة الورثيلانية" أو"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، تحقيق محمد بن أبي شنب.

7-رحلة أبي راس الناصر محمد بن أحمد:"فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" (عجائب الأسفار ولطائف الأخبار) تحقيق محمد غالم.

8-رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785 تحقيق محمد بن عبد الكريم.

وقد استقينا من تلك النصوص جلّ المعلومات والأحداث التي عايشها الرحالة المغاربة.

- **المعيار الثاني:** التسلسل الزمني في ذكر الأخبار ووصف المشاهد والمظاهر في كل جانب من جوانب حياة المجتمع الجزائري.

وبحكم أن موضوع بحثنا يتمحور حول دراسة المجتمع الجزائري من خلال كتابات الرحالة المغاربة، كان اعتمادنا أيضا على مجموعة معتبرة من المصادر والمراجع تمثلت في نصوص أخرى للرحلات تخدم الموضوع، لأن بعض أصحابها عاصروا الفترة

المدروسة، كرحلة عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري المسماة :"لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال"، تحقيق أبي القاسم سعد الله، ورحلة ابن زاكور الفاسي المسماة:"نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان" تحقيق مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، و"الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا.." لأبي القاسم الزياني، تحقيق عبد الكريم الفيلالي.

واستفدنا من هذه الرحلات في التعريف ببعض العلماء وتدعيم بعض أقوال الرحالة المغاربة فيما يخص أحوال المجتمع خلال تلك الفترة.

هذا ودعمنا بحثنا بمجموعة من المراجع ضمت الكتب المتخصصة والعامة، سواء ما كان لها علاقة بموضوع المجتمع الجزائري أو بالرحلات مثل:

- مؤلف كتاب المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني لأرزقي شويتام، الذي أفادنا كثيرا فيما يخص المجتمع وتركيبته البشرية، فضلا عن أهمية المنطقة.
- كتاب الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني لصاحبه مولاي بالحميسي، الذي أفادنا في الجانب المنهجي والمعرفي خاصة ما تعلق بالرحلة العياشية والتعريف ببعض الأماكن التي ذكرت في أغلب الرحلات الموظفة في البحث.
- مؤلَّف رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة للمؤلف عبد الهادي التازي، الذي استقينا منه بعض المعلومات الخاصة بشخصيات الرحالة وأهمية رحلاتهم.
- أعمال المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، التي نالت حيزا وافرا في البحث، حيث أفادتنا بمعلومات ثرية كمؤلف:من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين" وتاريخ الجزائر في العهد العثماني وورقات جزائرية.
- مؤلفات المؤرخ أبو القاسم سعد الله كتاريخ الجزائر الثقافي ج1 وج2 وأبحاث وآراء في تاريخ الجزائرج1 وتجارب في الأدب والرحلة خاصة في جانبه العلمي والإنتاج الفكري والمؤسسات الثقافية في ذلك العهد.

بالإضافة إلى مؤلفات أخرى أحاطت بموضوع بحثنا من جوانب مختلفة منها مؤلفات ليحي بوعزيز كالموجز في تاريخ الجزائر ومدينة وهران عبر التاريخ، كتاب أدب الرحلات لحسين محمد فهيم، فؤاد قنديل في كتابه أدب الرحلة في التراث العربي، أحمد رمضان أحمد في مؤلفه الرحلة والرحالة المسلمون، عواطف محمد يوسف نواب في كتابها الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، لسان العرب لابن منظور، المعجم الوسيط لشوقي ضيف، الرحلة عين الجغرافية المبصرة لصلاح الدين الشامي، تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى ...لخليفة بن عمار، تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي، نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري الرحلة المغربية والشرق العثماني لمصطفى الغاشي، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية..لسهيل صابان، معجم أعلام الجزائر...لعادل نويهض، معجم البلدان لشهاب الدين الحموي.

استعنا كذلك بعدد لا بأس به من الرسائل الجامعية التي تناولت بعض جوانب موضوع دراستنا وبعض المقالات التي ركزت على بعض الرحلات ووصف المجتمع الجزائري فيها.

وكما هو معلوم للباحث في التاريخ أن للمصادر والمراجع الأجنبية حظها من التوظيف والاهتمام في البحث، وفي مقام بحثنا هذا ركزنا على:

- ما يخدم البحث في وصف الأحوال الصحية وتطور بعض الأمراض والكوارث التي ضربت الجزائر خلال الفترة العثمانية لأن هذه المصادر والمراجع وثقت بشكل مفصل هذه الأحداث مقارنة بغيرها من المصادر والمراجع.
- ما يخدم البحث في تراجم الشخصيات مثل شخصية الباي محمد الكبير باي وهران ودوافع رحلته نحو الجنوب الغربي الصحراوي للجزائر.

ذيّلنا البحث بملاحق ضمّت بعض الصور لمخطوطات خاصة ببعض الرحلات مختلفة المصادر، بالإضافة إلى تصويرنا لبعض القرى والقصور والأماكن والأضرحة التي لها علاقة بموضوع بحثنا، ونقصد هنا القرى التي نزل بها الرحالة ووصفها أغلبهم في

مدوناتهم، وفضولا منا قمنا بالتنقل إليها ومعاينة بعضها والالتقاء بأهالي تلك المناطق، مثل قرى تسابيت(عريان الراس) وتمنطيط وأوقروت وارباوات والشلالة وبوسمغون والغاسول والكراكدة، فمنها ما حافظت على صورتها الأولى من حيث نمط المعيشة ومنها ما دخلت عليها الحداثة وتغيرت جذريا حسب شهادة أهاليها.

الصعوبات:

لا يخلو جهد علمي من صعوبات ومعوقات تعترض سبيل الباحث العلمي، فكانت على رأسها الظروف التي شهدها العالم والجزائر على وجه الخصوص، وهو الوباء أو جائحة كرونا "كوفيد 19"(COVID 19) التي أثرت على تنقلنا إلى المكتبات الخاصة والعامة، مما حرمنا من الوصول إلى بعض المصادر والمراجع التي كانت تجعل من هذا البحث أفضل ممّا قدمناه.

الطالب: بكري حمزة

جامعة وهران1 في 18/ 01/ 2021

المدخل: الرحلة عند العرب عبر التاريخ

تمهيد

أولا- مفهوم الرحلة

1-الرحلة في القرءان الكريم

2-الرحلة لغة

3-الرحلة اصطلاحا

4-أدب الرحلة

ثانيا- دوافع الرحلة وأنواعها

1-الرحلة الدينية

2-الرحلة العلمية

3-الرحلة الاستكشافية

4-الرحلة السفارية

5-الرحلة الاستطلاعية

6-الرحلة الفهرسية

7-الرحلة الخيالية

ثالثا- تطور الرحلة ما قبل الإسلام إلى غاية القرن 10هـ/16م

1-الرحلة قبل ظهور الإسلام

2-الرحلة بعد ظهور الإسلام

تمهيد:

لقد مثلت الرحلات نحو مختلف أنحاء العالم مظهرا من المظاهر الحضارية عبر مختلف العصـور، حيث لعبت دورا هاما وكبيرا في تطوير معارف وخبرات الحضارات الإنسانية ومن بينها الحضارة العربية الإسلامية، وكانت لتلك الرحلات آثارا مباشرة في صياغة تاريخ البشرية وتطور علوم الإنسان، ذلك الإنسان الذي لم يرض بالاستقرار ودفعه شغف الاستكشاف للترحال، سعيا لاكتشاف المزيد وتلبية لهذا النزوع الإنساني الدافع لمعرفة البعيد.

ومع تطور الإنسانية صارت الرحلة فردية، وصارت أهدافها متنوعة، فمن البحث عن الرزق وتحسين الأحوال إلى متعة التجوال والتعرف على الآفاق البعيدة إلى الأهداف الخاصة ببعض الرحلات.

وفي التراث العربي القديم السابق على ظهور الإسلام كانت الرحلات أمرا دوريا شبه منتظما، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى ما قام به عرب قريش من رحلات سنوية منتظمة.

أولا- مفهوم الرحلة:

1- الرحلة في القرآن الكريم:

من خلال الآيات الكريمة في قوله تعالى:﴿ **هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ** ﴾[1] وقوله ﷻ:﴿**قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ**﴾[2]، دعا الله تعالى المسلمين للسعي والسير في الأرض، فقد شجعتهم تلك الدعوة على تحمل أتعاب السفر فكانوا ينتفعون أثناء التنقل بالخيرات، وفي نفس الوقت يتمرَنون على حمل رسالة الإسلام ونشر الدعوة، فكان السفر عبارة عن وسيلة لتبليغ الدعوة إلى البشرية جمعاء وفي كل مكان[3]، ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في العصر العباسي حرص الخلفاء على معرفة أجناس دولتهم وطرق التحكم فيها، مما جعلهم يهتمون اهتماما خاصا بصورة الأرض وما احتوته من بحار وأنهار وجبال وغير ذلك من معلومات[4].

كما جاء في القرآن الكريم ذكر الرحلة في قول الله تعالى:﴿**لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَاءِ وَٱلصَّيْفِ(2) فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (3) ٱلَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ (4) وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (5)**﴾[5].

فكانت قريش تقوم بهذه الرحلة ذات الصبغة التجارية، وهي عبارة عن رحلتين، واحدة في الشتاء نحو اليمن، والثانية في الصيف نحو الشام، جلبت قريش من ورائها الأرباح

---

[1]-القرآن الكريم، سورة الملك، الآية 15.

[2]-القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 11.

[3]-فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط 2، القاهرة، مصر، 2002، ص 30.

[4]-أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، المملكة العربية السعودية، د ت، ص 12.

[5]–القرآن الكريم، سورة قريش.

انعكست بالإيجاب على الأوضاع الاقتصادية للمنطقة[1].

2- الرحلة لغة:

لقد جاء لفظ رحل ورحلة في العديد من المعاجم العربية تحت شروحات ومعان متعددة ومتنوعة، وترمي كلها تقريبا إلى نفس المعنى، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر من خلال معاجم مختلفة البعض منها:

الفعل رحل: وهو فعل يدل على مُضي في سفر، فيقال: رحل، يرحل، رحلة أي بمعنى يمضي في سفر.

ونقول: جمال رحيل، أي ذو رحلة، أي (الارتحال)، أو رُحلة، أي القوة في السير[2].

فيقال كذلك: رحل الرجل، أي إذا سار ورجل رحول، وقومٌ رُحل، أي بمعنى يرتحلون كثيرا[3]، ومنه نقول: رحل أو ارتحل عن المكان رحلا ورحيلا وترحالا ورحلة، أي كلها تدل على فعل سار ومضى.وأما الراحلة من الإبل، أي التي تصلح منها للأسفار والأحمال[4].

ونجد أيضا الترحل والارتحال اللذين يدلان على الانتقال، وهو الرحلة والرُحلة والرحلة اسم الارتحال للمسير، فيقال: دنت رحلتنا ورحل فلان وارتحل بمعنى انتقلوسار، والرحيل اسم ارتحال القوم للمسير[5].والرحل: هو مركب للبعير، وارتحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا كترحَلوا.

---

[1]-عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996، ص 4.

[2]-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ/1004م)، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، ج 2، دار الفكر، القاهرة، مصر، 1979، ص 497.

[3]-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج 11، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص ص276، 277.

[4]-شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، القاهرة، مصر، 2003، ص 334.

[5]-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، المصدر السابق، ص 279.

إذ الرحلة هي الارتحال، وأما الرُحلة هي الوجه الذي تقصده أو الوُجهة[1] أو بالأحرى هي المكان الذي يرتحل إليه، فيقال مثلا: الكعبة رُحلة المسلمين.

أما بالنسبة لمصطلح الرحالة، فيُطلق على الذي يقوم كثيرا بالرحلة، وجمعها رحل كما تدل الرحلة كذلك على الكتاب الذي يصف فيه الرحالة ما رآه أثناء رحلته.

ومصطلح المرحلة يطلق على المسافة التي يقطعها السائر في نحو يوم أو ما بين المنزلين، وجمعها المراحل[2].

3- الرحلة اصطلاحا:

هي انتقال شخص أو جماعة أو قبيلة أو أمة من مكان إلى آخر لمقاصد وغايات مختلفة وأسباب متعددة، وهي كذلك مخالطة الناس والأقوام، أين تبرز قيمتها كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة[3].

وجاءت الرحلة بمعنى السير والانتقال والوجهة التي ينتقل إليها، ولفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر، ومنه نجد لفظ رحال أي المتنقل من مكان لآخر[4]، كما تدل أيضا على الانتقال الذي يقوم به الرحالة من مكان لآخر مهما كان الدافع ومهما كان الغرض ومهما كان الزمان والمكان والمسافة، فالرحلة جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض قد

[1]-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ/1414م)، القاموس المحيط والحديث، القاهرة، مصر، 2008، ص ص626،627.

[2]-شوقي ضيف، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص 335.

[3]-أماني بنت سعيد الحربي، مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين-13-14 م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،2015، ص 23.

[4]-عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 40.

لا تتعدى مسافة قصيرة في بعض الأحيان، وقد تمتد وتطول حتى تغطي مسافات طويلة بين المكان والمكان الآخر[1].

وعرّف الإمام أبي حامد الغزالي السفر بأنه نوع حركة ومخالطة، وفيه فوائد، وله آفات[2] فالسفر أو الرحلة عبارة عن تنقل وتفاعل بين مختلف البشر الذي يعود بالفائدة إلا أنه فيه مخاطر. كما عرّفها صلاح الدين الشامي بقوله:«إن الرحلة تضل انجازا أو فعلا أو مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة أو إسقاط الحاجز الفاصل بين المكان الذي تبدأ منه والمكان الذي تنتهي إليه"[3]. وتُعد الرحلة أيضا نوع من أنواع الكتابة التي تكثر فيها الشهادات المدونة التي تفتح أمام المتلقي ما جهله من معرفة عن أحوال الأماكن والمناطق البعيدة، فتمثل وصفا لأسلوب الحياة ومجموعة من العادات والتقاليد والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية[4].

4- أدب الرحلة:

تعتبر الرحلة جنس أدبي، يصف فيه الرحالة تفاصيل رحلته وسفره بلغة أدبية ممتعة ومشوقة[5]، ولقد تعددت التسميات، فهناك من تحدث عن"أدب الرحلة" الذي يُقصد به انتساب الرحلة إلى حقل السرد باعتبارها كتابة أدبية تتوفر على مكونات سردية[6]، وبعبارة أخرى أدب الرحلة هو سرد نثري يعتمد على وصف المشـاهد من خلال التنقل والمشي في مناكب الأرض، إذ تسمح للمشاهد المترحّل الذي سمحت له فرصة الانسياب بين ربوع الأرض ومناطقها الشاسعة ومناطق العمران، بإعادة بعث مشاهداته وإعطائها أبعادا جديدة تنطق

[1]-صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافية المبصرة، منشأة المعارف، ط 2، الإسكندرية، مصر، 1999، ص 7.

[2]-أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ/1111م)، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، لبنان، 2005، ص 713.

[3]-زكريا بن علي:"أدب الرحلات في كتابات أبو القاسم سعد الله"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 9 و10، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر،2014، ص 61.

[4]-حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 49.

[5]-عبد العزيز بوشلالق:"طبيعة الرحلة المغربية"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، كتاب جماعي، دار الضحى، ط 1، الجزائر،2017، ص 393.

[6]-شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، مكتبة الأدب المغربي، د ب، 2002، ص 38.

صورا، وبالتالي جل حواسه تعمل بكل طاقاتها من دقة الملاحظة وتصوير المشاهد والتحسس والتذوق لتنعكس في الأخير ما حصل من مشاهدات في مدونات أدبية تصور المشهد الإنساني والعمراني والطبيعي في إطار زماني ومكاني للرحلة[1]، وهو أيضا ذلك النثر الأدبي الذي يتخذ من الرحلة موضوعا، أي عندما تكتب الرحلة بشكل أدبي نثري متميز في قالب لغة خاصة، ومن خلال تصور فني له ملامحه وسماته المستقلة، فإن فن الكتابة هذا يُعد واحدا من الفنون الأدبية[2]. كما جاءت الرحلات على شكل شعر فصيح أو ملحون، ومما كتب بالفصيح قصيدة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي سنة 1063هـ/1652م، قص فيها رحلته من مجاجة[3] إلى مكة المكرمة. ومن الشعر الملحون رحلة محمد بن مسايب التلمساني[4] في القرن 12هـ/18م التي قص فيها رحلته من تلمسان[5] إلى

---

[1]-ناصر بعداش:"خصوصية الفضاء الجغرافي في أدب الرحلات الرحلة المغربية أنموذجاً"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، المرجع السابق، ص 317.

[2]-هشام فروم:"تمظهرات اللغة في الخطاب الرحلي المغاربي"، المرجع نفسه، ص 198.

[3]-مجاجة:بلدة قرب مدينة شلف، تبعد عنها ب10كلم غرب الجزائر العاصمة.يُنظر:عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، رحلة المجاجي، تح سعاد آل سيد الشيخ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط 1، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2017، ص 19.نقلا عن ابن عمار، أشعار جزائرية، تح أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 108.

[4]-محمد بن مسائب التلمساني:هو أبو عبد الله محمد بن مسايب أو آمسايب التلمساني، ولد بتلمسان في أوائل القرن 12هـ/18 م، وهو من أسرة أندلسية نزلت بفاس ثم بوجدة ثم استقرت بتلمسان، تلقى تعليمه بالكتاب القرآني، ومما زاد في قيمة شعره أنه كان يواظب على مطالعة الكتب، ويتردد على مجالس العلماء، تناقل عامة قصائده في الزهد، والتصوف، كما تعلقت بأشعاره الغزلية، توفي سنة 1190هـ/1776م، أُشتهر في مجال التراث التاريخي الجغرافي بقصيدته التي نظمها في وصف الرحلة من بلدته تلمسان إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وخاطب فيها الطائر المعروف "الورشان"، وعرفت بقصيدة الورشان.يُنظر:ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1999، ص ص305-307.

[5]-تلمسان:مدينة تقع في أقصى المغرب الجزائري الحالي، من كبريات حواضر المغرب الإسلامي، لعبت دورا هاماً في التاريخ السياسي للمغرب الوسيط، حيث توالى عليها سلطان الخوارج (من زناتة) فالملثمون (المرابطون=صنهاجة) فالموحدون ثم بنو عبد الواد والحفصيون والمرينيون، وحاول المرينيون الاستيلاء على تلمسان بين 1299 و1307م قبل أن يدخلوها في سنة 1337م، وطوال السنوات التالية أضحت تلمسان مركزا لتجارة الأوربيين وتجارة المغرب، بحكم انفتاحها على تجارة السودان، والصحراء.يُنظر:أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي(ت:487هـ /1094م)، المُغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، تح حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2013، ص 164.

مكة المكرمة عبر مدن وقرى جزائرية[1].

وتصور لنا كتب الرحلات تارة الحقيقة وتارة أخرى الخيال أو التصورات المختلفة إلا أن أغلبها يلتزم الحقيقة المجردة، أي مجال الخيال قليل جدا لأن الرحالة يعتمد في الأساس على الواقع، وأحيانا يطلق خياله في التغيير والتعديل ووصف الأشياء بما ليست عليه فيدفعه ذلك للابتعاد عن الحقيقة بعض الشيء[2].وهناك من يطلق على هذا الشكل تسمية أخرى هي:"الرحلة"، بهدف فتح نافذة إضافية أخرى على التاريخ، واعتبارها مصدرا وسجلا، والرجوع إليه أساسي[3].

ثانيا- دوافع الرحلة وأنواعها:

تنوعت الرحلة بتنوع أسبابها ومقاصدها، فمنها الرحلات العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فقد اهتم بعض الرحالة بوصف البلدان، والبعض الآخر اهتم بزيارة الأماكن المقدسة، وآخرون انصب اهتمامهم حول لقاء العلماء والأخذ منهم والإجازة عنهم ومنهم ما كان غرضه من الرحلة السفارة والسياحة والتجارة وغيرها[4]، فعندما زاد الإقبال على الرحلة تنوعت الأغراض وتعددت الموضوعات وتطورت كما وكيفا[5]، ويقول الإمام أبي حامد الغزالي في هذا الشأن:"والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب؛ فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه، ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب"[6]؛ أي بمعنى أن هنالك دائما دافع أو دوافع من وراء السفر أو الرحلة، سواء كانت الغاية منها الهروب من خطر أو رغبة وميول، أي من وراء هدف أو أهداف، وقد احتلت الرحلات الدينية والعلمية المكانة الأولى من حيث دوافع وغايات

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث، ج 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص ص388، 389.

[2]-هشام فروم، المرجع السابق، ص 198.

[3]-شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 38.

[4]-علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2013، ص 5.

[5]-مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 10.

[6]-أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المصدر السابق، ص 713.

الرحالة في رحلاتهم، لكن غالبا ما يتماشيان معا، لذلك تبرز قيمة كل منهما[1]، فبحكم الأماكن المقدسة خاصة الحجاز كان المشرق المكان الأكثر جذبا للرحالة المغاربة بحيث الرحلة إلى الحج تأتي في مقدمة الرحلات، وبعد أداء الفريضة يتوجه الرحالة والعلماء نحو مختلف الحواضر الإسلامية لطلب العلم أو للتجارة أو الاستطلاع والاختلاط مع مختلف الشعوب[2] ولم يترك الإسلام وسيلة من وسائل الرقي إلا نبه عليها ورغب فيها، فقد دعا إلى الرحلة مبينا الأغراض السامية من ورائها، فمنها طلب العلم والتفقه في الدين والمعرفة بأحوال الأمم، ولهذا كانت دوافع الرحلة المغاربية تتمثل في أداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة وطلب العلم من منابعه الأصلية والرغبة في الأخذ عن الشيوخ وحب الاطلاع والبحث[3]، وحسب عبد الرحمن بن خلدون، فإن طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم لأن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم من المذاهب والفضائل، تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها[4]، ومما ساعد هؤلاء الرحالة المغاربة على القيام برحلاتهم الموقع الجغرافي للمغرب العربي بحيث يبعد عن الشرق والحجاز[5] بعدا شاسعا.

1- الرحلة الدينية:

بما أن بلاد الحجاز هي مهد الحضارة العربية الإسلامية ومهبط الوحي، فالحج كان ولا يزال الرحلة التي يتشوق إلى أدائها الناس عامة، والعلماء والفقهاء خاصة، فالدافع لتلك الرحلة ديني، ويعتبر من أقوى دوافع الرحلات المغاربية إلى المشرق العربي[6].

---

[1]-لخضر حشلافي:"الرحلة المغربية وأهم أعلامها"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، المرجع السابق، ص ص8، 9.

[2]-عمر بلعباسي وعبد العليم بوفاتح:"صورة المشرق في أدب الرحلة المغربي"، المرجع نفسه، ص 355.

[3]-لخضر حشلافي، المرجع نفسه، ص ص8،9.

[4]-عبد الرحمان بن خلدون(ت 808هـ/1405م)، مقدمة العلامة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1998، ص ص559، 560، بتصرف.

[5]-لخضر حشلافي، المرجع السابق، ص ص8، 9.

[6]-جميلة روباش:"الرحلة المغربية،التعريف والتأسيس والأنواع"، المرجع نفسه، ص 46.

فنجد أن الرحلة الحجازية هي أهم هذه الرحلات التي يراد من خلالها أداء فريضة الحج وتعتبر تلك الشعيرة من أهم البواعث للرحلة بسبب تمسك المسلمين بالقيم الروحية فهي تمثل غاية كل مسلم بأن يقوم بزيارة قبر الرسول ﷺ، وبالتالي يحقق أمنيته[1] وبما أن الحج فريضة على كل مسلم، فقد أقدم عليها المسلمون بكل حماس إذ يباشرون في أخذهم الدروب الطويلة في اتجاه مكة المكرمة والمدينة المنورة تلبية لدعوة الحق، وبعد أدائه للفرض يوضح الحاج ويشرح لمن يأتي من بعده اتخاذ أحسن الطرق من أجل الوصول إلى الأماكن المقدسة في أمان، مبينا له نقاط المخاطر لكي يتجنبها، ويذكر له المصاعب للتغلب عليها[2]. وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر رحلة أبي سالم العياشي الصغرى التي عرفت بعنوان:"التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الظروف إليه في طريق الحجاز" التي من خلالها كان الرحالة يزود تلميذه بإرشاد عن الأمتعة التي يصحبها معه إلى الحج، وعن طريق الحج ومنازله، كما عرفه بمراكز المياه الصالحة وبالمشتريات النافعة مع الأعلام الذين يأخذ عنهم والمزارات التي يقصدها[3].وعملا بقول الرسول ﷺ: "لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، ومَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ومَسْجِدِ الأقْصَى"[4]، فقام الأدباء والعلماء الأندلسيون والمغاربة بشد الرحال نحو البقاع المقدسة[5]، فوصفوا رحلتهم وإقامتهم وطرق سيرهم وطريقة أدائهم للفرائض، وسجلوا كل ذلك في تقاييد جمعوها في كتاب أسموه:"الرحلة الحجازية"، وبالتالي أصبحت كتب رحلاتهم دليلا لمن ينوي السفر إلى الأماكن المقدسة[6] وعند مرورهم بالمغرب الأوسط ترجموا لرجالها ووقفوا على معالمها وزاروا معظم مدنها[7].وبرز ضمن هذا الصنف من

---

[1]-علي إبراهيم الكردي، المرجع السابق، ص 12.

[2]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 31.

[3]-عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج 1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2005، ص 200.

[4]-محمد بن إسماعيل البخاري(ت 256هـ/869م)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، تح محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، ط 1، القاهرة، مصر، 1979، ص 1189.

[5]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 12.

[6]-لخضر حشلافي، المرجع السابق، ص 11.

[7]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 12.

الرحلات أبي سالم العياشي الذي حج ثلاث مرات، أعوام 1059هـ/1649م 1064هـ/1653م، و1072هـ/1661م، وفي الحجة الثالثة ألّف رحلته المعروفة بالرحلة الكبرى، وتحمل عنوان:"ماء الموائد"[1]، والمشهورة أيضا بالرحلة العياشية وعبد الرحمن المجاجي عبر رحلته من مجاجة إلى مكة المكرمة سنة 1063هـ/1652م[2]، وأبو راس الناصر الذي حج مرتين سنة 1204هـ/1789م و1226هـ/1811م[3]، والحسين الورثيلاني الذي حج مرتين أو ثلاث مرات؛ الأولى سنة 1153هـ/1740م والثانية سنة 1166هـ/1752م والثالثة سنة 1179هـ/1765م، واشتهر برحلته الموسومة ب:"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"[4] وغيرهم من الرحالة.

2- الرحلة العلمية:

إن طلب العلم مرغوب فيه اقتداء بقول الرسول ﷺ:" ما مِن خـارجٍ خرجَ مِن بيتِهِ في طلبِ العلمِ إلَّا وضعَت لَه الملائكـةُ أجنحتَـها رضـاً بما يصنــعُ"[5].

ويقول الرسول ﷺ:"مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طريقاً إلى الجنَّةِ، وإنَّ الملائِكَةَ لتَضعُ أجنحتَها لطالِبِ العلمِ رضًا بما يصنعُ وإنَّ العالم ليستغفِرُ لَهُ مَن في السَّمواتِ ومن في الأرضِ، حتَّى الحيتانِ في الماءِ، وفضلَ العالـمِ على العابدِ كفَضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العُلَمـاءَ ورثةُ الأنبيـاءِ إنَّ الأنبيـاءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا إنَّما ورَّثوا

---

[1]-عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 200.

[2]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 20.

[3]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج 1، تح محمد غالم،منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، د ت، ص 17.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 395.

[5]-محمد ناصر الدين الألباني(ت 1420هـ/1999م)، صحيح سنن ابن ماجة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط 1، د ب، 1986، ص 186.

العلمَ فمَن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ"[1]، فمن خلال هذه الأحاديث الشريفة، وعملا بأقوال الرسول ﷺ شجعت الدعوة الإسلامية طلب العلم، ودعا الرسول ﷺ الناس إلى طلب العلم ولو في الصين، فطلبوا العلم في الدين وفي غيره[2]، فقد كانت الرحلة في طلب الحديث من لوازم طريقة المحدثين، ومنهجهم في التحصيل العلمي[3]، وأصبح طلبة العلم يجولون ويسيحون في البلاد من أجل لقاء الشيوخ ومجالسة العلماء والإطلاع على الكتب وزيارة الأولياء، فكانوا بالإضافة إلى تعلمهم يدعون ويُفقهون الناس[4].

كما أراد المغاربة الاستزادة من العلوم والمعارف، فكانت بداية رحلاتهم إلى المراكز العلمية المشهورة بالمشرق العربي، وكان آنذاك تحصيل العلوم عن طريق المشافهة، لذلك توجب التنقل والترحال. وكان سبب رحلة المغاربة حسب عبد الرحمن بن خلدون هو انقطاع سند تعليم العلم عندهم، فصعب عليهم حصول الملكة في العلوم، ماعدا البعض منهم الذين تحصلوا على العلوم في بلادهم، فرحلوا لنشرها وتدريسها[5]، فظهرت الرحلات العلمية من أجل تعلم الناس شؤون دينهم وقراءة القرآن الكريم ومن أجل أن يروُوا الأحاديث، ولهذا اندفع طلبة العلم بالسفر من أجل التحصيل العلمي رغم مشقة السفر والأخطار[6].

وكان الشخص إذا ما تعلم في وطنه يسافر ويغترب في بلدان عربية من أجل مجالسة أشهر العلماء، فيحضر للدروس ويسعى في إجازات العلماء. وقد اختص هذا النوع من الرحلات في الحديث عن الحياة الفكرية والثقافية[7]، خاصة وأنه كان يتواجد بالديار المقدسة

---

[1]-زكي الدين عبد العظيم المنذري(656هـ/1258م)، ترغيب وترهيب، تح محمد السيد، دار الفجر للتراث، ط 1، القاهرة، مصر، 2000، ص 73.

[2]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 31.

[3]-الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت 463هـ/1070م)، الرحلة في طلب الحديث، تح نور الدين عتر، سلسلة روائع تراثنا الإسلامي، ط 1، دمشق، سوريا، 1975، ص 17.

[4]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 32.

[5]-لخضر حشلافي، المرجع السابق، ص 8.

[6]-أماني بنت سعيد الحربي، المرجع السابق، ص 40.

[7]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 10.

في المشرق علماء كُثر ومكتبات متنوعة ومهمة، جعلت من طلبة العلم تتوافد عليها بكثرة[1]، فقد كان العلماء يسافرون من أجل جمع اللغة من مصادرها المتعددة من الأعراب في البادية، فكانوا يمضون السنوات لتحقيق ذلك فيسمعون منهم ويدونون عنهم، كما كانوا ينتقلون لأخذ العلم عن الشيوخ ومن أجل لقاء العلماء، ومن بين هؤلاء الرحالة والعالم أبي ريحان البيروني الذي جال في الهند مدة أربعين سنة، أين اطلع على عادات وتقاليد أهلها ودرس أحوالها الاقتصادية والمجال الجغرافي والطبيعي للمنطقة[2].

وبهذا نستطيع القول بأنه في أغلب الأحيان كان غرض الرحلة الحجازية وغرض الرحلة العلمية يمتزجان معا، بحيث تصبح الرحلة تجمعهما معا، أي أداء فريضة الحج وطلب العلم[3].

إضافة إلى الرحالة الجزائري أبو راس الناصر الذي سافر إلى المشرق مرتين، فزار الشام والحجاز ومصر، والتقى بعلمائها في القاهرة والإسكندرية ومكة المكرمة والمدينة المنورة، وكانت رحلته إلى هذه الديار من أجل المناظرة والتفاوض حول المسائل العلمية والقضايا الدينية، أسوته في ذلك رحلة كلٌ من الإمام ابن رشيد السبتي[4] والخطيب بن

---

[1]-علي إبراهيم كردي، المرجع السابق، ص 14.

[2]-أماني بنت سعيد الحربي، المرجع السابق، ص 41.

[3]-علي إبراهيم كردي، المرجع السابق، ص 13.

[4]-ابن رشيد السبتي(ت 721هـ/1321م):أبو عبد الله محمد بن عمر بن الخطيب بن إدريس المعروف بابن رشيد الفهري السبتي، ولد بمدينة سبتة سنة 657هـ/1259 م، تلقى العلم هناك على يد نخبة من العلماء منهم الإمام أبو الحسن بن الربيع الذي قرأ عليه كتاب سيبويه في النحو.عرف بحفظه للحديث، ومعرفته للأدب، وتفوقه في الخطابة، بدأ رحلته عام 683هـ/1284م، فعبر البر من سبتة إلى الأندلس، ومر برندة فالمرية، ثم ركب البحر نحو بجاية التي تعرف على شيوخها، ثم عرج على تلمسان، ثم تونس، ثم مصر، ثم دمشق، ثم قصد المدينة المنورة، ومكة المكرمة لأداء مناسك الحج، مكث بالأماكن المقدسة أربعة أشهر، توفي عام 721هـ/1321م، تجاوز عدد مؤلفاته 17 مصنفا، فهرست لمشايخه، وكتاب الرحلة المسماة:"ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة".يُنظر:ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص ص150-153.

مرزوق[1] والشيخ أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي[2].

3- الرحلة الاستكشافية:

هي رحلات ذات طابع تجاري، الغرض منها استكشاف الأسواق والإطلاع على جديد السلع، وكانوا يستغلونها لأغراض علمية[3]، ومن أقدم الرحلات التجارية في الإسلام رحلة سليمان التاجر وابن وهب القرشي اللذان قاما برحلات إلى الهند والصين في القرن 3هـ/9م بقصد التجارة[4]، فاشتهر العرب بهذا النوع من الرحلات في ظل الإسلام وانتشرت وازدهرت لاتساع الدولة، وكان المسلمون يلتقون في موسم الحج، ومما ساعدهم على الرحلة التجارية هو وحدة الدين والثقافة ونشير هنا بأنه من خلال تلك الرحلات تمكن المسلمون من نشر الإسلام في مناطق متعددة كإندونيسيا وغيرها من البلدان[5].

4- الرحلة السفارية:

ظهرت تلك الرحلات من أجل خدمة شؤون الدولة، وكان من بينها إرسال السفارات إلى الدول المجاورة لها، ومن أهمها سفارة ابن فضلان إلى ملك الصقالبة سنة 309هـ/921م[6] بحيث دخل البلغار، ورأى الروس يتجرون بها فعاد من هناك بوصف لرحلته التي تشبه

---

[1]-الخطيب بن مرزوق(ت 781هـ/1379م):أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالخطيب ينسب إلى أسرة المرازقة التلمسانية التي توارثت العلم، والوظيف الديني، وارتبطت بخدمة الولي أبي مدين شعيب.ولد بتلمسان سنة 710هـ/1311م، وأخذ العلوم على شيوخها منهم أبوه، وعمه، حج مع والده وهو شاب، كان حريصا على التحصيل في كل مكان حل به بالمشرق أو عندما رجع إلى تلمسان أو انتقل إلى فاس، ظهرت مواهبه في الخطابة، تولى سفارة السلطان المريني أبي الحسن إلى ملك قشتالة ألفونسو 11 بغرض إبرام عقد صلح، واقتداء ابن السلطان أبي عمر تاشفين الذي أسر في موقعة طريف، من تلاميذه لسان الدين بن الخطيب، وأحمد بن قنفد القسنطيني، من أهم تآليفه المسند الصحيح الحسن في مآثر، ومحاسن مولانا أبي الحسن.يُنظر:المرجع نفسه، ص ص 190-194.

[2]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 17.

[3]-لخضر حشلافي، المرجع السابق، ص 11.

[4]-أماني بنت سعيد الحربي، المرجع السابق، ص ص44، 45.

[5]-شوقي ضيف، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص ص8، 9.

[6]-أماني بنت سعيد الحربي، المرجع السابق، ص 45.

التقارير الرسمية التي يكتبها السفراء اليوم[1]، كانت أيضا من أجل هدنة أو إطلاق أسرى من خلال تعيين من طرف بعض السلاطين والملوك، فاستغلوا ذلك في تدوين ما شاهدوه في البلدان الأجنبية[2]. كما قام أحمد المنصور السعدي[3] بتكليف التمقروتي[4] بالذهاب إلى اسطنبول سنة 988 هـ/1580م، بالإضافة إلى ما جرى للوزير الزياني[5] ومؤرخ الدولة العلوية سنة1201هـ/1786م، وعند العودة يقوم السفير بكتابة تقرير مفصل حول كل ما شاهده أو ما حدث له أو اطلع عليه[6].

5- الرحلة الاستطلاعية:

تكون هذه الرحلات بدافع المغامرة والاستطلاع والرغبة في دراسة أحوال الشعوب ووصف بلدانهم ومجالات حياتهم[7]، وقد يرحلون حبا للاستطلاع، كما حدث مع سلام

---

[1]-أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ-921م، تح سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، 1960، ص 40.

[2]-لخضر حشلافي، المرجع السابق، ص 11.

[3]-أحمد المنصور السعدي(976-1012هـ /1578-1603م): بويع بوادي المخازن، وتولى شؤون المغرب ربع قرن، كان عالما حفيا بالعلماء حتى سماه المؤرخون عالم الخلفاء، وخليفة العلماء، كما كان رجل دولة، ويهتم برعيته، ومتطلعا إلى أخبار النواحي باحثا عنها، واخترع أشكالا من الخط على عدد حروف المعجم، كان شديدا شجاعا، اهتم بجيشه، توفي سنة 1012هـ/1603 م بالوباء الذي حل بالبلاد، وحصد الآلاف من سكانها.يُنظر:نقولا زيادة، صفحات مغربية، صفحات مغربية، الأهلية للنشر، والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002، ص ص41، 42، 46، 48.

[4]-التمقروتي(ت 1003هـ/1594-1595م):هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي التمقروتي نسبة إلى قرية تمقروت بوادي درعة بالمغرب الأقصى، ولد حوالي سنة 1560 م، وتعلم بزاوية المكان ثم بدأ يجول، وقلد مناصب هامة، ورسمية ببلاط مراكش، توفي بمراكش سنة 1003هـ/1594-1595م، ودفن بجوار القاضي عياض، اشتهر بكتابه"النفحة المسكية في السفارة التركية".يُنظر: مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 16.

[5]-الزياني(ت 1249هـ/1833م):هو أبو القاسم بن أحمد بن علي الزياني، رحالة، وأديب، ووزير مغربي، ولد بفاس سنة 1147هـ/1734م، وتعلم بها، عُين كاتبا بالقصر الملكي، وكلفه مولاي محمد بن عبد الله بعدة مهام منها التفاوض مع القبائل المتمردة، وفي سنة 1200هـ/1786م عين للسفارة إلى اسطنبول على عهد السلطان العثماني عبد الحميد، وعين واليا على وجدة، نزل ضيفا على الباي محمد الكبير ثم التحق بتلمسان، من أشهر كتبه "الترجمانة الكبرى" الذي جمع الرحلات الثلاث.يُنظر:ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة، المرجع السابق، ص ص476-478.

[6]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 11.

[7]-عمر بلعباسي وعبد العليم بوفاتح، المرجع السابق، ص 355.

الترجمان الذي رحل بأمر من الخليفة الواثق بالله للبحث عن سد الصين الكبير الذي يقال إن الإسكندر بناه بين العالم القديم وديار يأجوج ومأجوج[1] تنفيذا لرؤيا الخليفة التي رآها في المنام وأخافته، وسار سلام من مدينة "سُرّ من رأى" ومعه 50 رجلا و200 بغلا تحمل الزاد والماء[2]، واستغرقت هذه الرحلة مدة طويلة نحو18 شهرا[3].

كذلك نذكر في هذا الصنف من الرحلة الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف عندهم ب:"Leon L'Africain" الذي شرع في رحلته للمشرق حوالي921-922هـ/1515-1516م[4].

6- الرحلة الفهرسية:

يقتصر هذا النوع من الرحلات على ذكر صاحبها للشيوخ الذين قرأ عليهم ويورد أسانيده الكثيرة المتصلة بأصول الروايات، فتعتبر هذه الرحلة من أهم المصادر في تاريخ الأدب العربي وفي معرفة تراجم العلماء والأدباء[5]، وتنتمي رحلة ابن زاكورالفاسي[6] إلى

[1]-شوقي ضيف، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص 9.

[2]-أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص 39.

[3]-زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013، ص 16.

[4]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 11.

[5]-لخضر حشلافي، المرجع السابق، ص 11.

[6]-ابن زاكور الفاسي:هو أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن زاكور الفاسي من عائلة ابن زاكورالساكنة بفاس بالمغرب الأقصى، ولدابن زاكور بمدينة فاس بالمغرب الأقصى، لكن لم يتم التعرف على سنة ولادته، ولم يذكر أي مؤرخ أو ممن ترجموه السنة التي ولد فيها، غير أن هناك من اجتهد في تحديد ذلك التاريخ، إلا أن أقرب التواريخ إلى الصواب هي السنة التي حددها كل من المؤرخين عبد الله كنون ومحمد بن تاويت أي سنة 1076هـ/1665م، وتكررت رحلاته إلى تطوان، فكانت أولها سنة 1092هـ/1681م، ثم سنة 1093هـ/1682م، وفي نفس السنة إلى الجزائر التي مكث بها حتى شهر رجب من عام 1094هـ/1683م، ثم عاد إلى تطوان، يُنظر:عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم، والأدب، والسياسة، ج 2 في الأدب، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ص ص1267-1270.وابن زاكور الفاسي، رحلة ابن زاكور الفاسي(1120هـ/1708م) المسماة:نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، تح مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011، ص ص13- 16.

فهرسة الرحلة أي فهرسة تكتب في شكل رحلة يسجل فيها أسماء الشيوخ الذين لقيهم وما استفاد في مجالسهم من علوم ومرويات[1].

7- الرحلة الخيالية:

كما تكون الرحلة واقعية، إذ يتنقل الرحالة بجسده من مكان لآخر يعاين ويصف المشاهد والمحسوس، يمكنها أيضا أن تكون خيالية بحيث يطلق الكاتب عنان تفكيره لينقله بعيدا عن واقعه وعالمه إلى أماكن أخرى وأزمنة متباعدة، ومن بين رحالة هذا النوع هناك الفلاسفة والأدباء والشعراء، كما يوجد صنف آخر من الرحالة الذين قد يجمعون بين الرحلة الواقعية والخيالية مثل الرحالة والكاتب الفرنسي "أندريه جيد[2]" (André Gide)[3].

ثالثا- تطور الرحلة ما قبل الإسلام إلى غاية القرن 10هـ/16م:

1- الرحلة قبل ظهور الإسلام:

عرف العرب الرحلة منذ الجاهلية نتيجة لطبيعة الحياة البدوية القائمة على التنقل والترحال من أجل التجارة والصيد، وخاصة البحث عن الماء والكلأ في سنوات الجفاف فقد انتشرت الرحلة عند العرب انتشارا واسعا، إلا أنها لم تتخذ شكل أدب الرحلة، بل كانت تشكل عناصر أساسية للقصيدة الجاهلية[4].أما اهتمامهم بفن الرحلة فكان منذ القدم لما

---

[1]-ابن زاكور الفاسي، المصدر نفسه، ص 28.

[2]-أندريه جيد (André Gide): ولد عام 1869م لإحدى الأسر الأرستقراطية الفرنسية، أنشأ"المجلة الفرنسية الجديدة"التي لعبت دورا هاما في توجيه الأدب الفرنسي خلال ما يزيد على الثلاثة عقود، أصدر العديد من الروايات، منح جائزة نوبل عام 1947 م، توفي عام 1951.يُنظر: أندريه جيد، الباب الضيق، تر نزيه الحكيم، دار المدى للثقافة والنشر، ط 1، دمشق، سوريا، 1998، ص 154.

[3]-حسين محمد فهيم، المرجع السابق، ص 150.

[4]-يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري "نماذج من رحلات القرن العشرين "، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، 2012-2013، ص 39.

تكتسيه من أهمية من حيث الأخبار والمشاهد والأحداث،فعايشوها بأنفسهم[1]، فنجد المعلومات التي جمعها التجار العرب أثناء رحلاتهم قد تردد صداها فيما خلفوه من أوصاف الطرق المختلفة وذكر الأماكن وأهم الآبار وموارد المياه والجبال والقبائل[2].

2- الرحلة بعد ظهور الإسلام:

اتخذت الرحلة بعد عصر الإسلام مسارا آخر من ناحية الدوافع المتعددة وتطور مقاصدها وتميز شكلها أدبيا وعلميا، وكذا جوانبها التاريخية والجغرافية والاجتماعية والأدبية، فأصبحت فنا عربيا أصيلا في النثر بمختلف خصائصه، بالإضافة إلى اهتمامه بحياة الناس، من عادات وتقاليد ونمط العيش، فضلا عن المضمون الفكري والاجتماعي والأسلوب الأدبي المتميز الذي يمتزج فيه الواقع بالخيال، كما يعتبر أدب الرحلة مصدرا هاما، يقوم أصحابه بوصف ثقافات الإنسان مع ذكر بعض الجوانب من الحياة اليومية لمجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، فقد مر مسار الرحلة في تلك الفترة بعدة مراحل نتوقف عند أبرزها:

2-1- الرحلة خلال القرن 3هـ/9م:

بدأ التأليف عن الرحلة عند المسلمين في القرن 3هـ/9م، إلا أنهم نادرا ما دونوا رحلاتهم في مؤلفات، وارتبط فن الرحلة عندهم بعلم تقويم البلدان أو علم الجغرافيا، فاهتم الرحالة في ذلك الوقت بوصف البلدان وذكر طرقها ومسالكها، مما أُطلق عليها اسم: "التآليف الجغرافية" التي كُتبت في القرون الأولى تحت مسمى:"المسالك والممالك"، كما سُميت أيضا:"علم تقويم البلدان"[3].

---

[1]-ابن زاكور الفاسي، المصدر السابق، ص 9.

[2]-اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1963، ص 40

[3]-عبد الحميد معيفي وسهام داودي:"أدب الرحلة بين سمو البواعث وتوشُج الغايات"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، المرجع السابق، ص 76.

كانت الانطلاقة الأولى في هذه المرحلة مع اليعقوبي[1] من خلال مؤلفه: "كتاب البلدان" الذي نال عناية كبيرة من طرف العديد من الباحثين، ويرجع السبب في ذلك للأمانة العلمية والدقة والابتعاد عن الغرائب والعجائب، فلقد قام اليعقوبي برحلات عديدة نحو الشرق إلى الهند وغربا إلى بلاد المغارب والأندلس، كما شهد هذا القرن الكثير من الرحالة مثل سليمان التاجر[2] الذي وصف الطريق التي سار فيها، وما شاهده من الجُزر والجبال، وما عاينه من الأخطار دون تكليف من أحد، مما حقق له مكانة في تاريخ آداب الرحلة العربية[3]، بالإضافة إلى ابن وهب القرشي[4].

2-2- الرحلة خلال القرنين 4و5هـ/10 و11م:

وأما من حيث تدوين الرحلة، تعتبر رحلة ابن فضلان[5] هي الأقدم، حيث قام بها سنة 309هـ/921م إلى بلاد البلغار بتكليف من الخليفة العباسي المقتدر بالله من أجل تفقيه الناس هناك بتعاليم الدين الإسلامي، فقام بتدوين ما شاهده في رحلته، وبذلك تعتبر رحلته أول

[1]-اليعقوبي: هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب الأصبهاني الإخباري الشهير باليعقوبي، بحاثة في التأريخ وأخبار البلدان، دخل بلاد فارس والهند والأقطار العربية؛ الشام والمغرب والأندلس، بحث في الأمصار، وأهلها، وعن عاداتهم، ونحلهم، وحكوماتهم، وعن المسافات بين البلاد، فإذا وثق بنقلهم أثبته في كتابه، ويعتبر مصنفه"كتاب البلدان"أقدم مصدر جغرافي، وأوثقه، توفي سنة 278هـ/891م أو 284هـ/897م تاركاً آثارا عديدة.يُنظر: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الشهير باليعقوبي(ت 284هـ/897م)، البلدان، تح محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2002، ص ص5، 6.

[2]-سليمان التاجر أو سليمان السيرافي(ت 237هـ/851م):سجل وصف سياحته إلى الهند والصين في مصنف كتبه(سنة 237هـ/851م)، لم يُذكر شيئا عن ترجمة حياته، تعتبر رحلته من أهم الآثار العربية عن الرحلات البحرية في المحيط الهندي وفي بحر الصين في القرن 3هـ/9م.يُنظر:أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص 43.

[3]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 98.

[4]-ابن وهب القرشي: وجيه من أهل الثروة والجاه في العراق، ابن هبارين الأسود، ومن المرجح أن يكون قد ولد في الربع الأول من القرن 3هـ/9م، قام برحلته إلى الصين سنة 256هـ/870م، ترك البصرة عندما خربها الزنج، وخرج من ميناء سيراف على مراكب هندية، وساح طويلا في ممالك الهند إلى أن انتهى إلى مدينة خانغو(كانتون)بمملكة الصين، ثم إلى مدينة حمدان العاصمة التي تقع على مقدار شهرين من خانغو.يُنظر:أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص ص42، 43.

[5]-ابن فضلان:هو أحمد بن فضلان بن راشد كان مولى للقائد العباسي محمد ين سليمان، بدأ رحلته عام 921م من بغداد، وبلغ نهر الفولغا عند ملك الصقالبة عام 922م، استغرقت الرحلة في الذهاب 11 شهرا، ولم يُعرف طريقه في العودة. يُنظر:أحمد رمضان، المرجع السابق، ص 45.وأحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، المصدر السابق، ص 37.

رحلة مكتوبة لتأخذ فيما بعد شكلها المستقل، وأصبحت بالتالي فنا قائما بذاته على أسس وقواعد[1]. وفي هذه الفترة كذلك برزت بعض الرحلات مثل رحلة المسعودي[2] التي جاءت في كتابه:"مروج الذهب، ومعادن الجوهر"، فكان هذا الرحالة كثير الاهتمام بالرحلة حين أدرك أهميتها، الأمر الذي دفعه إلى ذكر منافعها[3]، ومؤلفه عبارة عن حصيلة للرحلات التي قام بها خلال سنين، مسجلا كل ما شاهده وعاينه، وجاء بعده الرحالة أبي الريحان البيروني[4] الذي برز في فترة عرف فيها أدب الرحلة تطورا كبيرا، ويمثل البيروني نقطة التقاطع بين القرنين 4 و5 هـ/10 و11م من خلال كتابه: "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة".

2-3- الرحلة خلال القرن6هـ/12 م:

اتسمت تلك المصنفات الجغرافية بعد ق5هـ/11م بالتنسيق الأدبي لمضامين المصنفات المتقدمة، وبدأ بعد ذلك نمط آخر تمثل في وصف الرحلات[5]، وأهمية الآثار التي خلفها الرحالة والمناهج التي اتبعوها في جمع المادة وتدوين المشاهدات[6] إذ غيّر الرحالة نمط الكتابة ابتداء من ق6هـ/12م، فبعدما كانوا مهتمين بالجوانب الجغرافية المتعلقة بالبلدان التي

---

[1]-علي إبراهيم كردي، المرجع السابق، ص 10.

[2]-المسعودي(ت 346هـ/957م):من أهل المغرب يعرف بأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي من ولد عبد الله بن مسعود مصنف لكتب التواريخ، وأخبار الملوك، وله من الكتب كتاب يعرف بمروج الذهب، ومعدن الجوهر.وهو من أشهر الرحالة الجغرافيين الذي وُصف بإمام المؤرخين، وشُبه بهيرودوت المعروف بأبي التاريخ، لم يُعرف تاريخ مولده، وولد بمدينة بغداد.يُنظر:أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص 101.وابن النديم(ت 384هـ/994م)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ب ت، ص 219.

[3]-يسمينة شرابي، المرجع السابق، ص 39.

[4]-أبو الريحان البيروني(ت440هـ/1048م):ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني عام 362هـ/973م في بلدة بيرون الواقعة جنوب بحر آرال في إقليم خوارزم الفارسي(تركستان حاليا)في وسط آسيا، كان يميل إلى التفكير، والتأمل في الطبيعة، والعالم، والكون، والتقاءه بأحد علماء اليونان كان بداية رحلة العلم الشاقة، والطويلة، تعرف على كبير علماء فلك الدولة فتغيرت نظرة علماء الفلك للبيروني، ألف كتابه الأول"حكاية الآلة المسماة بالسدس الفخري"، تعرف على مسكويه، وعلى ابن سينا، وصف البلاد، والأقاليم، وما بها من سهول، ووديان، وجبال، وبحار، وأنهار، ألف حوالي 180 كتابا، شملت الفلك، والطب، والصيدلة، والجغرافيا، والنبات، والتاريخ.يُنظر:عاطف محمد، أشهر العلماء في التاريخ رائد علم الفلك البيروني، دار اللطائف، ط 1، القاهرة، مصر، 2003، ص ص3، 4، 6، 11، 24.

[5]-يسمينة شرابي، المرجع السابق، ص 41.

[6]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 75.

زاروها، تحولت كتاباتهم في أواخر ذلك القرن إلى سرد تجربتهم من خلال ذكر خصوصياتهم من مشاعر وأفكار، مع التغيير أيضا في أسلوب الكتابة نحو السرد والقصص، وما ميز ذلك الأسلوب البساطة والسلاسة[1]، كما عرفت تحولا باتجاه الكتابة وسرد يوميات الرحالة.

لقد تفوق المغاربة في تأليف كتب الرحلات التي تميزت بأهمية كبيرة في رصد الحياة الاجتماعية والثقافية للشعوب ومعرفة حضارتهم وطرق عيشهم، وأصبحت كتبهم عبارة عن سجل يتناول جوانب متنوعة من الحياة التي عايشها الرحالة نفسه[2]، مما جعل الرحلة تنتقل من الطابع العلمي إلى الأدبي، وكما ذكرنا فقد تمَ تعميم أدب الرحلات على الغرب الإسلامي بعد أن كان محصورا في الشرق الإسلامي خلال ق6هـ/12م، فجاءت فترة أبدعت فيها الرحلة وتطورت فانتشرت عبر منطقة الغرب الإسلامي أين ظهر الإدريسي[3] من خلال مصنفه:"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ثم ابن جبير[4] الأديب والشاعر من خلال رحلته: "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، والمعروفة برحلة ابن جبير التي تضم ثلاث رحلات.

---

[1]-يسمينة شرابي، المرجع السابق، ص 42.

[2]-عبد الحميد معيفي وسهام داودي، المرجع السابق، ص 76.

[3]-الإدريسي:هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي الحسني المكنى بالصقلي لإقامته بصقلية والمعروف بالشريف الإدريسي لانتسابه لأسرة الأدارسة،وُلد بسبتة على الأرجح سنة 493هـ/1100م، تعلم بمسقط رأسه ثم بفاس، ومال إلى الرحلة، وتجول بربوع الأندلس، والمغرب ثم المشرق، قام بالتأليف عند إقامته بصقلية حتى توفي هناك حوالي عام 558-560هـ/1163-1166م، ترك عدة تآليف في البلدان، وفي النبات منها:"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، و"جامع الصفات لأشتات النبات".يُنظر:ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي، والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين، ورحالة، وجغرافيين"، المرجع السابق، ص ص68، 69.

[4]-ابن جبير:هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني، ولد ببلنسية حوالي سنة 540هـ/1145م، تعلم بشاطبة على يد أبيه ثم وسع ثقافته بما أخذه عن علماء الأندلس، والمغرب، والمشرق، عمل في شبابه كاتب سر عامل غرناطة الموحدي بسبتة، رحل ثلاثاً من الأندلس إلى المشرق، وحج في كل واحدة منها، توفي في الإسكندرية عام 614هـ/1217م، اشتهر برحلته"تذكرة بالأخبار عن اتفاقيات الأسفار" حين سافر إلى المشرق في 578هـ/1182م.يُنظر:المرجع نفسه، ص ص82، 83.

2-4- الرحلة خلال القرن 8هـ/14م:

قطعت الرحلة شوطا كبيرا من حيث المستوى الأدبي والاهتمام العالمي بقيمتها خاصة المستشرقين، فظهر الرحالة ابن بطوطة[1] الذي جال أوطـانا وقارات حيث بلغت رحلتـه المعروفة ب:" تحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" أهمية كبيرة لاتساع رقعتها ومستواها الأدبي والاهتمام العالمي بها كما ذكرنا من قبل[2]، واشتملت رحلته على معلومات مهمة ومتعددة ومتنوعة[3]، وقدم لنا ابن بطوطة من خلالها وثيقة هامـة عن أحوال الأمة الإسلامية في ق8هـ/14م رغم الصعوبات التي واجهته أثناء رحلته.

وإلى جانب هؤلاء الرحـالة المغـاربة نذكر عبد الرحمـن بن خلـدون[4]، ومؤلفـه: "التعريف بابن خلدون، ورحلته غربا وشرقا" الذي ينتسب إلى أدب الرحلات وأدب السيرة الذاتية[5].

---

[1]-ابن بطوطة:هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي نسبة إلى قبيلة لواتة إحدى قبائل البربر، ولد في مدينة طنجة المغربية يوم الاثنين 25 فبراير 1304م، واشتهر بلقب ابن بطوطة، وعندما بلغ سنه 22 أدى فريضة الحج، وابتدأ رحلته التي استغرقت حوالي 29 سنة ونصف، والتي بدأت عام 725هـ/1324م، وانتهت بوصوله إلى مدينة فاس أواخر سنة 754هـ/1353م، وزار فيها كل بلاد العالم المعروفة في عصره، وبعد انتهاء رحلته تولى القضاء في الدولة المرينية بقية حياته، توفي سنة 779هـ/1377م.يُنظر:رحلة ابن بطوطة تحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح الشيخ محمد عبد المنعم العريان، ج 1، دار إحياء العلوم، ط 1، بيروت، لبنان، 1987، ص ص14، 15، 22.

[2]-الطيب بوسعد:"الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني(وادي ريغ نموذجاً)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، قسم التاريخ، المركز الجامعي لغرداية، الجزائر، 2011، ص 434.

[3]-يسمينة شرابي، المرجع السابق، ص 42.

[4]-عبد الرحمن بن خلدون:ولد في مدينة تونس عام 732هـ/1331م، تعلم على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن نزال الأنصاري البلنسي الذي علمه القرآن الكريم حفظا، ورواية على القراءات السبع، ودرس على والده علوم اللغة العربية، والشعر، أُسندت إليه وظيفة العلامة وهي الحجابة، رحل إلى فاس ثم الأندلس ثم بجاية، وبسكرة، وتلمسان، ومصر، وحج عام 789هـ/1387م، وتولى القضاء عدة مرات، وعندما تولى هذا المنصب في المرة السادسة كان قد عجز، وتقدم به السن كثيرا، ولم يبق إلا أسبوعين أو ثلاثة ثم توفي سنة 808هـ/1406م، ودفن بالقاهرة، اشتهر بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، والمقدمة.يُنظر:يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص85، 86، 89-116، 130، 131.

[5]-يسمينة شرابي، المرجع السابق، ص 43.

ثم جاء الحسن بن محمد الوزان[1]، المعروف ب:"ليون إفريقيا" بمصنفه الشهير:"وصف إفريقيا[2]، والمعروف عنه أنه قام برحلة إلى الصحراء الجزائرية، وزار خمسة عشر مملكة في بلاد السودان[3]، وقد اكتست هذه الرحلة أهمية كبيرة، تجلت في النشر والشرح والترجمة إلى عدة لغات، وهذا بالرغم من أنها شغلت رقعة صغيرة مقارنة بتلك التي قطعها سابقوه مثل ابن جبير وابن بطوطة.

5-2- الرحلة خلال القرن 10هـ/16م:

عرف العرب خلال هذه الفترة تراجعا كبيرا في جميع الميادين، خاصة العلمية منها مما جعلها تعرف الجمود من حيث الرحلات بسبب المشاكل السياسية والاقتصادية التي شهدتها المناطق العربية[4] حيث سقطت دول المغرب العربي القديمة وإماراته الصغيرة واحتل الحكم العثماني مكانها إلا في المغرب الأقصى، فقد أخذ العثمانيون بعد سوريا ومصر وتونس وطرابلس والجزائر، ووصلت حدودهم الغربية إلى وجدة[5]

---

[1]-الحسن الوزان:هو الحسن بن أحمد الوزان الزياتي الفاسي المعروف بالليون الإفريقي الذي أطلقه عليه محقق وناشر كتابه "وصف إفريقيا"راميزيوRumusio الإيطالي، وُلد الوزان بغرناطة حوالي عام 393هـ/1488م، هاجر مع أسرته إلى فاس بعد سقوط غرناطة 1492م، تلقى العلم بجامع القرويين خاصة، وقام بعدة رحلات، وقع أسيراً أواخر سنة 1519م بميناء جربة، افتاده القرصان الصقلي إلى إيطاليا، وقدمه هدية إلى البابا ليون العاشر الذي شجعه على اعتناق المسيحية، وصرح الوزان قائلاً:"إني أعتزم بحول الله حينما أعود من أوربا إلى وطني أن أخص كل هذه الرحلات بالوصف"، فعاد إلى تونس، واعتنق الإسلام من جديد، وتوفي بها أو بفاس حوالي سنة 944 هـ/1537م، ويقول راميزيو بأن الوزان توفي بروما سنة 1538م لكن ليس هناك دليلا على ذلك، ترك عدة مصنفات أشهرها كتاب"وصف إفريقيا".يُنظر:ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص ص290-293.

[2]-ابن زاكور الفاسي، المصدر السابق، ص 10.

[3]-الطيب بوسعد، المرجع السابق، ص 434.

[4]-ابن زاكور الفاسي، المصدر السابق، ص 11.

[5]-وجدة:مدينة قديمة بناها الأفارقة في سهل فسيح جدا،على بعد نحو 40 ميلا جنوب البحر المتوسط، وعلى نفس البعد تقريبا من تلمسان، أراضيها زراعية، دمرت، ونهبت أثناء الحروب المتوالية بين ملوك فاس، وملوك تلمسان، حيث كانت منحازة لهؤلاء، ثم أخذت تعمر بالسكان، وشيدت فيها من جديد دور كثيرة، إلا أنها لم تسترجع حالتها الأولى.يُنظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي(ت 944 هـ/1537م)، وصف إفريقيا، ج 2، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، لبنان، 1983، ص ص12، 13.

ومنطقة فقيـق[1]، وأحيانا فاس[2] نفسها[3]، مما أدى إلى التراجع الثقافي للفرد العربي، إضافة إلى المشاكل الداخلية، في الوقت الذي شهدت فيه تلك الفترة العديد من الكشوفات الجغرافية الغربية[4].

من مميزات الرحلة أنها تمكن أصحابها من التعرف مباشرة على بيئات وطبائع وأجناس ومفاهيم وعادات يستقي منها الباحثون مادتهم في كل تخصص[5] إضافة إلى غنى موضوعاتها، ويرجع ذلك للجهد والاجتهاد المبذولين من طرف الرحالة أنفسهم الذين تحمَّلوا أثناء رحلاتهم التعب والمخاطرة، فيقوم اجتهادهم على الإبداع والتأمل والأحاسيس فيعجبون به وينقلوه بأسلوبهم الخاص، فهناك العديد من هؤلاء الرحالة بمختلف تخصصاتهم، بحيث نجد الأديب والجغرافي والمؤرخ والفقيه وعالم الاجتماع وغيرهم، كما تتأثر الرحلة بشخصية صاحبها، فبالإضافة إلى نقله للحقائق، يمكنه أن يُؤثر على القارئ فبرزت على إثر ذلك شخصياتهم من خلال ما قاموا به من تسجيل[6].

---

[1]-فقيق (أو: فكيك، فجيج):يطلق هذا الاسم على مجموعة كبرى من الواحات، والقصور التي تحتل مساحة 30 كلم مربع، وتضم المدينة 7 قصور كبرى، كل قصر عبارة عن حي كامل، وهي زناتة، والوداغير، والعبيدات، والمعيز، وأولاد سليمان، والحمام الفوقاني، والحمام التحتاني، ويهتم السكان بفلاحة البساتين، وأشجار النخيل التي بلغ عددها في هذه الواحة نحو 400 ألف نخلة، تقع على بعد 371 كلم جنوب وجدة على مقربة من الحدود الجزائرية المغربية، و7 كلم من بني ونيف بالجزائر.يُنظر:الصديق بن العربي، كتاب المغرب، دار الغرب الإسلامي، ط 3، بيروت، لبنان، 1984، ص 214.

[2]-فاس:حاضرة المغرب التاريخية، وعاصمة من عواصمه الكبرى،كان لا يُعرف عند العثمانيين إلا بمملكة فاس، توجد على مدخل باب من أخطر الأبواب الجبلية المغربية وهو باب مدينة تازة بين سلسلة الريف، وجبال الأطلس المتوسط، من أقطار إفريقيا الشمالية،وتربط بين جنوب المغرب وواحة تافيلالت، وما يليها من الصحراء الكبرى،وهي الطريق السهل الرابط بين المغرب، والجزائر،وضع أسسها المولى إدريس الثاني نهاية القرن الثاني من الهجرة بداية التاسع من الميلاد.يُنظر:الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، معلمة المغرب، مطابع سلا، الرباط، المغرب، 1989، ص ص6394، 6395.

[3]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص138.

[4]-ابن زاكور الفاسي، المصدر السابق، ص 11.

[5]-لخضر حشلافي، المرجع السابق، ص 10.

[6]-عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 13.

الفصل الأول: الرحالة المغاربة والوضع العام في الجزائر خلال القرنين 11 و12 هـ/17 و18 م

تمهيد

أولا- تراجم الرحالة المغاربة

1-أبو سالم العياشي (ت 1090هـ/1679م)

2-أبو العباس الهلالي السجلماسي (ت 1175هـ/1761م)

3-أبو عبد الله محمد الحُضيكي (ت 1189هـ/1775م)

4-الحسين بن محمد الورثيلاني (ت 1193هـ/1779م)

5-الباي محمد الكبير (ت 1212هـ/1797م)

6-أبو راس الناصر المعسكري (ت 1238هـ/1822م)

7-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري (ت 1239هـ/1823م)

8-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي

ثانيا- الوضع العام في الجزائر خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م

1-أهمية موقع الجزائر

2-الوضع السياسي

3-الحياة الاقتصادية

4-الجانب الاجتماعي

4-1-تركيبة المجتمع

4-2-الوضع الصحي

5-الحركة الثقافية

خلاصة الفصل

تمهيد:

تعتبر كتب الرحلات من المصادر التاريخية الهامة، إذ تمثل مادة أساسية تزود الباحثين بمعلومات في مختلف الميادين، فهي تحتوي على معلومات وحقائق هامة، ويبدأ أصحابها بتدوين رحلاتهم منذ مغادرتهم لبلدانهم إلى غاية عودتهم إليها.

وعلى الرغم من اختلاف دوافع الرحلة والتنوع في مادتها، فإن كتابات الرحالة أينما كانت وجهة أصحابها، فإنها تصور إلى حد كبير بعض ملامح حضارة تلك الفترة التي عاشوا فيها، فدونوا ما شاهدوه وسمعوا عنه بعد التحري، ووصفوا بدقة كل ما لاحظوه وعاينوه كالأماكن التي أقاموا فيها والأحداث التي تقع أثناء رحلاتهم، كالأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فنجد هؤلاء الرحالة يعتمدون على استقاء المعلومات والحقائق من الواقع المعاش والأحداث التي عايشوها خلال تنقلاتهم، فسجلوها من خلال رؤيتهم الشخصية في مدونات التي من خلالها يتمكن الباحث أو القارئ أن يتعرف على مختلف المجتمعات.

أولا- تراجم الرحالة المغاربة:

بالرغم من وسائل البحث والتدوين الحديثة والمتنوعة في قراءة وكتابة التاريخ الاجتماعي لمنطقة ما، ولمرحلة تاريخية معينة قصد التعرف عليها أكثر، إلا أن تلك الوسائل تبقى غير كافية بسبب غياب العنصر الأساسي فيها، ألا وهو الشاهد الإنساني، فقد انفردت مصادر كتب الرحلات بتلك الخصوصية، إذ عايش الإنسان فيها تلك الأحداث بكل مراحلها[1].

وقد وقع اختيارنا على بعض الرحالة المغاربة من الجزائر والمغرب الأقصى لمكانتهم في هذا الصنف من الكتابات التاريخية، كما أنهم عايشوا الفترة التي نحن بصدد دراستها المتمثلة في القرنين 11 و12هـ/17 و18م.

والجزائر من البلدان التي زارها العديد من الرحالة والمؤرخين، وكان أغلبهم أوربيين الأمر الذي يبعث في نفسية الجزائريين على مختلف تخصصاتهم الشك في حقائق الأخبار المنقولة، وما يعتريها من الدس والتشويه تبعا لما اقتضته مصالحهم، وإذا كان سلفنا لا يقصد من رحلته إلا العلم خالصا لوجه الله تعالى، فإن رحالة العصر الحديث ومكتشفيه من الأوربيين، وإن كانوا قد أدوا للعلم الجغرافي والتاريخي فائدة لا يمكن إنكارها، إلا أن أغراضهم السياسية والاستعمارية وتبعيتهم لجمعيات لا تخفي دورها الاستعماري قد شوه جهدهم العلمي، وكان لزاما على الباحث أو المحقق أن ينتبه لما ينقله عنهم في بعض الأحيان، خاصة في مجال تفسيرهم للأحداث، ووصفهم للمعتقدات[2]، وهذا ما صعب من عملية الكتابة التاريخية لبلدنا بموضوعية، مما استدعى الالتفات إلى المصادر العربية كون المعلومات التي يقدمونها تتسم بالنزاهة والموضوعية والتشويق وغيرها، ولو أنها تبقى نسبية، والتخلي عن النظرة الغربية المتحيزة والمزيفة للواقع، ومن بين هؤلاء الرحالة المغاربة:

---

[1]-هشام فروم، المرجع السابق، ص ص198، 199.

[2]-عبد الرحمن الشيخ، المدخل إلى علم التاريخ، المكتب العربي للمعارف، ط 3، القاهرة، مصر، 1998، ص 97.

أ-من الجزائر:عبد الرحمن المجاجي، الحسين الورثيلاني، الباي محمد الكبير وأبو راس الناصر.

ب-من المغرب الأقصى:أبو سالم العياشي، الهلالي السجلماسي، الحضيكي ومحمد بن عبد السلام الدرعي.

1- أبو سالم العياشي(ت 1090هـ/1679م):

1-1- نشأته وتعليمه: هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي نسبة لآل عياش قبيلة من البربر من أحواز سجلماسة[1] بالمغرب الأقصى[2] أو كما يقال قبيلة آيت أعياش ولُقب العياشي بعفيف الدين، وهو رحالة ولد سنة 1037هـ/1628م[3].

نشأ العياشي في أسرة علم، وتلقى تعليمه عن أبيه محمد الذي يعتبر شيخ زاوية، كما تعلم على يد أخيه الأكبر، وبعد ذلك انتقل إلى الزاوية الرئيسية بوادي درعة[4] أين تتلمذ على يد شيخها سعدي محمد بن ناصر، ومن ثم ارتحل إلى فاس، واتصل بالشيخ الإمام صاحب زاوية القلقليين الذي لازمه فترة من الزمن تحصل أثناءها على إجازة سنة (1063هـ/1653م)[5]

---

[1]-سجلماسة:مدينة على نهر يقال له زيز وليس بها عين ولا بئر وأهلها أخلاط والغالبون عليها البربر وأكثرهم صنهاجة ومن سجلماسة قرى تعرف ببني درعة وفيها مدينة ليست بالكبيرة يقال لها تامدلت، وهي تقع في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، يمر بها نهر كبير، وأكثر أقوات أهلها من التمر.يُنظر:اليعقوبي(ت 284هـ/897م)، البلدان، تح:محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2002 ص 198.وشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مج 3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، ص 192.

[2]-محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 4، تح محمد حجي وأحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، ط 2، تونس، 2008، ص 1622.

[3]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، تح سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، ط 1، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص 29.

[4]-درعة:إقليم يبتدئ عند الأطلس ويمتد جنوبا على مسافة نحو 250 ميلا عبر صحراء ليبيا، وهو ضيق جدا يقيم السكان على ضفاف النهر الذي نفس الاسم، ويوجد بجوار النهر على مسافة خمسة إلى ستة أميال عدد لا يحصى من بساتين النخل، وليس في قصور الإقليم سوى القليل من مرافق الحياة الحضرية. يُنظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 133.

[5]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 376.

وتميز بحرصه على الأخذ عن علماء وفقهاء بلده خاصة شيوخ الزاوية العياشية، قبل أن يشتد عوده، ويؤثر الرحلة إلى المشرق، حيث يقول العياشي في ذلك:"...فأخذت عن الأعلام الذين أدركتهم بالمغرب قليلا، فلم يشف ما لديهم مما أجد غليلا، ولا أبرأ عليلا لأنهم اقتصروا من الكتب على ما اشتهر واستغنوا بما غاب بما ظهر، دون الأجزاء الصغار وعوالي الإسناد وغرائب الأخبار، فلما منّ الله تعالى بالرحلة إلى البلاد المشرقية، أولا وثانيا، ولعنان العزم نحو الرواية ثانيا، تتبعت ذلك عند مظانه وعند أربابه، ورميت والحمد لله بسهم مصيب مع أصحابه "[1]. فقد ساهم العياشي في الحركة الفكرية التي عرفها عصره في العلوم والآداب وسجلت رحلته المشهورة "ماء الموائد" العلاقات الفكرية والاجتماعية بين المغرب والمشرق، كما قام بالتدريس في المدينة المنورة، وأجاز الكثير من العلماء الذين أجازوه هم كذلك.

كان للرحلة العياشية دورا بالغا، وفرصة في التقاء أبي سالم العياشي بالعلماء والفقهاء والأدباء من كل الأقطار والمناطق، الأمر الذي أدى به لأن يؤثر ويتأثر، وقد قام بتسجيل أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم واستجازهم وأجاز لهم في كتابيه:"إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء" و"اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر"[2]، حصل كذلك على إجازات من بعض الشيوخ بفاس الذين أخذ عنهم أو اتصل بهم مثل:الشيخ عبد الرحمن بن القاضي وقبل أن يغادرها حرص على الاستزادة من العلم عن العديد من الشيوخ الذين تعرف على أغلبهم في رحلاته إلى الحج، ومنهم: الأجهوري وشهاب الخفاجي وإبراهيم المأموني وغيرهم من مصر، وزين العابدين الطبري وعلي بن الجمال وعيسى الثعالبي وغيرهم من الحجاز، ومنهم من تعرف عليه في طريقه إلى الحج كعبد الكريم بن الفكون[3] شيخ

---

[1]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص29، 30.

[2]-المصدر نفسه، ص 30.

[3]-عبد الكريم بن الفكون(988هـ-1580م/1073هـ-1662م):محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون، أبو عبد الله، عالم من فقهاء المالكية، ولي ركب الجزائر في الحج بعد والده، لقيه العياشي وذكره في رحلته وقال:"قدمها(أي طرابلس الغرب)حاجا وهو أمير ركب أهل الجزائر وقسنطينة وتلك النواحي على نهج أبيه وعادته في ذلك محافظا على سلوك سيرة والده.يُنظر:عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط 2، لبنان، 1980، ص 255.

ركب الحج[1] القسنطيني وعالمها الذي اطلع على مؤلفاته وتأثر بطريقته في التصوف[2]، فقد اهتم أبو سالم العياشي اهتماما واضحا بمختلف الطرق الصوفية والزوايا التي انتشرت بشكل كبير عبر كامل المناطق العربية الإسلامية، ويعود سبب انتشارها إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية التي كانت تعيشها المجتمعات العربية الإسلامية أنذاك، ويعود اهتمامه إلى انتمائه للطريقة الصوفية، وينحدر من زاوية، فكان يزور الزوايا، ويحاور المنتسبين إليها وأتباع الطرق الصوفية، فسجل المحاورات التي دارت بينه وبينهم، وقدم معلومات عن تعاليم وأدبيات بعض الطرق والمدارس الصوفية بدافع غرابتها، وأُعجب ببعضها[3]، فضلا عن اكتسابه لثقافة دينية عميقة وأدبية واسعة فبرز في علوم الحديث ومسائل الفقه وقضايا الأدب واللغة، وتأثر بالمناخ الفكري والتيارات الثقافية لعصره، فمال إلى الزهد والتصوف، فأُعتبر في وسطه المغربي من المطلعين على الحديث، والعارفين باللغة والشعر، ومن المتصوفين المعرضين عن الدنيا فاكتسب احترام العامة وتقدير الخاصة[4].كما كان حريصا على زيارة الأضرحة والتبرك بالمقامات والوقوف عند الرباطات فانشغل بذكر أخبار المتصوفة والزهاد والعُبّاد وكراماتهم ومأثوراتهم، دون نسيان التطرق إلى مكانتهم الروحية والاجتماعية، وبما أنه كان عالما وفقيها متصوفا سنيا، فكان يُكن الاحترام لشيوخ التصوف وأهله، ويقتدي بالسلف الصالح[5].

2-1 **مؤلفاته:**خلَف العياشي تراثا فكريا وعلميا تمثل فيما يلي:

---

[1]-ركب الحج:الركب من ركب، جمع أركب وركوب، وهي الجماعة من الناس بعدد عشرة فما فوقهم يسيرون بإمرة أحدهم، ويعني القافلة الجامعة السائرة لأداء غرض معين، ومسير قافلة الحجاج أو الحجيج، القاصدين بلاد الحرمين الشريفين مكة والمدينة من أجل أداء وإتمام مناسك الحج، وشُبه الركب بالمدينة المتنقلة أو القافلة التي يشرف عليها ويسيرها أحدهم المسمى بأمير الركب، ويساعده في تلك المهمة كلٌ من الإمام والقاضي.يُنظر:محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط 2، بيروت، لبنان، 1988، ص 226.وأحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني(1518-1830م)دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2017-2018، ص23، 24.ومولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 25.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 376.

[3]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 23.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 377.

[5]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 24.

*منظومة في البيوع وأخرى في التصوف بعنوان: "تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا والآخرة" أو"إظهار المنة على المبشرين بالجنة".

*فهرسا جامعا لشيوخه حسب أنواع العلوم التي أخذها عنهم بعنوان:"تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء".

*رحلته:"ماء الموائد" أو"الرحلة العياشية" المشهورة التي غطت على هذه المصنفات، بل كانت الأثر التاريخي الذي خلَد ذكره، وأكسبه مكانة متميزة في تراث أدب الرحلة بالغرب الإسلامي[1] التي دونها وسجل فيها تفاصيل زيارته إلى البقاع المقدسة، منطلقا من سجلماسة يوم السبت العاشر من ربيع الثاني عام 1072هـ/1661م وصولا إلى بيت المقدس، وجاءت لغتها الأدبية معبرة، وأسلوبها راق[2].

*بالإضافة إلى الكتب والمؤلفات التي تناولت كل جوانب الأدب بمفهومه الواسع، وزيادة على الفقه والتصوف التي اشتهر بها هناك:"اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر".

*وفيما يتعلق بمؤلفاته التي لا زالت مخطوطة فهي عديدة ومنتشرة بين المكتبات في أماكن وبلدان عديدة، ومن بينها ما يلي:

*"إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب":وهو مخطوط في الخزانة العامة في الرباط المغربية رقم 1956 د.

*"التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز":وهو مخطوط في الخزانة العامة في الرباط المغربية رقم 43 ك ضمن مجموع).

*"تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية":وهو مخطوط في الخزانة العامة في الرباط المغربية رقم 1388 د ضمن مجموع).

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 377.

[2]-عاشور سرقمة:"الحياة الثقافية والاجتماعية بالجنوب الجزائري من خلال الرحلات المغربية-الرحلة العياشية أنموذجا-"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، المرجع السابق، ص 292.

*"الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف":وهو مخطوط في الخزانة العامة في الرباط المغربية رقم 39 ك).

*"معارج الوصول":كتاب في التصوف، وهو مخطوط في الخزانة العامة في الرباط المغربية رقم 1674 د).

1-3- **وفاته:**توفي العياشي عن سن لا يتجاوز 53 من عمره متأثرا بوباء الطاعون الذي اجتاح المغرب حوالي سنة 1090هـ/1679م[1].

2- أبو العباس الهلالي السجلماسي(ت 1175هـ/1761م):

2-1- حياته وتعليمه:أُشتهر بالهلالي، كنيته أبو العباس، من أسرة توارثت العلم والصلاح فجده الأعلى إبراهيم بن هلال(817-903هـ/1414-1497م)، كان من أكثر رجالات القرن التاسع علما وورعا.

وُلد بسجلماسة عام 1114هـ/1702م حسب تلميذه محمد بن محمد بن صالح الفلالي الصحراوي سماعا منه[2] أو عام 1113هـ/1701م، كما جاء في فهارس علماء المغرب[3]، تلقى العلوم على يد شيوخ بلده قبل أن ينتقل إلى الحواضر العلمية المشهورة[4] فقرأ بسجلماسة على العلامة سيدي أحمد الحبيب، وبفاس على سيدي أحمد بن مبارك، وكان يحضر مجلس الشيخ سيدي الكبير السرغيني في التفسير[5].حج مرتين، ولقي عدة علماء من المشرق

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 377.

[2]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي(1114-1175هـ/1702-1761م)، تح:محمد بوزيان بنعلي، ط 1، المغرب، 2012، ص 12.

[3]-عبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها-تطورها-قيمتها العلمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي تطوان، ط 1، المغرب، 1999، ص 672.

[4]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 12.

[5]-عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، ج 7، دار الغرب الإسلامي، ط 2، تونس، 2008، ص 2212.

وتخرج على يديه جماعة من الطلبة، وكان يقيم عاما بالزاوية الحمزاوية عند زوجته الأولى وعاما عند زوجته الثانية بالزاوية الزينية[1].

كان شديد الهيام بطلب العلم، محبا لأهله، عطوفا على السائرين في دربه، فاعتبر أحد أركان الفكر التي قام عليها المشهد العلمي المغربي في وقته، وكان من أكابر علماء العصر، وكان غالب أحواله المطالعة والتقييد، زاهدا وورعا ومحبا لأهل البيت والصالحين والعلماء وطلبة العلم والضعفاء والمساكين، كما كان يحرص على نوائب الخير وإهمال الفتن وبعدا عن الرياسة والجاه والفضول[2].

قال في حقه تلميذه الأحظى محمد بن محمد بن صالح الصحراوي السجلماسي الروداني:"إن الشيخ-رضي الله عنه-في هذه الديار المغربية قطب رحاها، بل شمس ضحاها، عليه تدور مشكلات مسائلها وفتاويها، وذلك في جميع ما بين تلمسان وتوات وفاس ومراكش وسوس وما يواليها إلى الساقية الحمراء وبواديها، ومن بالأرض الجنوبية من الزوايا المشتغلين بتدريس العلوم في مساجدها، ونواديها..."[3]. كما تميزت علاقة الهلالي بالتوازن والانفتاح على مختلف الشرائح الاجتماعية، دون أن يحجب نفسه ونفعه ونصحه على أحد، وكان ينفق على تلامذته، ويكسو من احتاج منهم ولا يقبل أن يرى في أحد منهم نقصا. فيعتبر من العلماء المصلحين من خلال مواقفه الإصلاحية اجتماعيا فكريا وتربويا[4]، وكان إماما في تحصيل العلوم وتحقيقها من نحو وبيان ومنطق ولغة وفقه وحديث وتفسير وهندسة وأدب وتاريخ ونسب وغير ذلك[5].

---

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 13.

[2]-المصدر نفسه، ص ص49-50.

[3]-المصدر نفسه، ص 51.

[4]-المصدر نفسه، ص ص49-52.

[5]-عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، ج 7، دار الغرب الإسلامي، ط 2، تونس، 2008، ص 2212.

2-2 **شيوخه:** شيوخه مشارقة ومغاربة كثر، ومنهم:

أ-من المغرب:

*أبو العباس أحمد الحبيب بن محمد اللمطي(ت 1165هـ/1751م): تخرج عليه أحمد بن عبد العزيز، وانتفع به[1]، حتى صار فقيها مالكيا ومن أعيان العلماء، وأصبح له نظم وعلم بالحديث، واشتهر بالورع والزهد[2]، فلذلك أثنى عليه ومدحه قائلا:"فريد العصر ذو المآثر التي لا يدركها الحصر، المتضلع من المعقول والمنقول، المجلي في الحفظ والتحقيق بين مشاهير القراء وسائر أرباب العلوم الغراء.

*أحمد بن أبي القاسم السجلماسي:وصفه الهلالي بالفقيه النبيه، وارث العلم عن أبيه، أخذ عنه صحيح البخاري، ورثاه لما توفي برائية مطلعها:

يَقُولُونَ لِي صَبْراً، وَلَيْسَ لَهُمْ خَبَرٌ بِأَنَّ مُصَابِي لاَ يُطَاقُ لَهُ صَبْرٌ

*محمد بن عبد السلام بناني(ت 1163هـ/1749م):أحد أساتذة الفقه المالكي بجامع القرويين في عصره، ماهر في اللغة العربية والبيان وعلم اللسان، ومرجع في الفتوى.

*أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي(ت 1164هـ/1750م):أحد وجهاء فاس المشاورين كان له معرفة بتاريخ فاس، وعلمائها، وصلحائها.

*محمد الكبير بن محمد السرغيني (ت 1164هـ/1750م):فقيه متصوف وعالم، وصاحب مجالس علمية متميزة.

*أحمد بن يوسف:فقيه عارف، من شيوخه المتميزين، كان يجله كثيرا، ويمدحه بشعره منه قصيدة دالية التي قال فيها:

يُحَيِّيكُمْ عَبِيدٌ ذُو اشْتِيَاقٍ مَتَى مَا رَامَ وِرْدُ الوَصْلِ صُداً

*أبو حفص عمر بن الكوش المكناسي:قال ابن زيدان:"فقيه علامة جليل، أخذ عنه الهلالي وله فيه مرثية ميمية، وأورد منها البيت التالي:

أَبَا حَفْصٍ تَوَلَّى الصَّبْرُ لِمَا نَعِيتُ، وَلَيْسَ تَنْدَمِلِ الكَلاَمَ

---

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 13.

[2]-خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مج 1، دار العلم للملايين، ط 7، بيروت، لبنان، 1986، ص 151.

*أبو عبد الله محمد بن أحمد بن المسناوي(ت 1137هـ/1724م):اشتهر في الفتوى والتدريس والتصنيف والتدوين، صنف تآليف كثيرة في موضوعات مختلفة، وقد أجاز الهلالي بسنده إلى الحطاب.

*عبد الرحمن بن محمد الشريف الحسني:كان حيا عام 1150هـ/1737م، ذكره الهلالي في الرحلة، ووصفه بشيخنا العالم العامل الفاضل الكامل..إمام جماعة سادتنا الشرفاء بأخنوس.

*أحمد بن أحمد الشدادي(ت 1146هـ/1733م):كان علامة متبحرا في النحو والفقه والحديث والتفسير، مرجوعا له في النوازل، وتولى قضاءها مع الإمامة والخطابة في جامع القرويين[1].

ب-من المشرق:أخذ الهلالي عن علماء الحجاز ومصر[2]، وعن علماء مغاربة رحلوا للعلم والحج والمجاورة، منهم:

*محمد بن الطيب بن محمد الشرقي الصميلي(ت 1170هـ/1756م):يعرف عند علماء المغرب بابن الطيب الشرقي، حتى أن الهلالي نعته بجوهري زمانه لدرجة حفظه بالنحو واللغة والتصريف والأشعار، وكان إماما في التفسير والحديث والتصوف والفقه، قرأ عليه الهلالي خطبة القاموس بخلوته بالمسجد الحرام، وأخبره بصحيح البخاري قراءة لبعضه وإجازة لباقيه، وقال في تحليته:"أشد من رأيته عناية بعلم اللغة، وأحرصهم على مدى سوابقها أن يبلغه"[3].

*مصطفى بن كمال الدين البكري الحنفي:ولد بدمشق سنة 1099هـ/1687م، وتوفي بالقاهرة في 1162هـ/1748م، صوفي رحالة، أديب شاعر، أغلب مؤلفاته في التصوف وصفه الهلالي بشيخنا العلامة الصوفي، أجازه في البخاري ودلائل الخيرات وغيرهما.

---

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص14- 17.

[2]-خير الدين الزركلي، المرجع السابق ، ص 151.

[3]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص18، 19.

*محمد بن حسن العجيمي اليمني الحنفي:شيخ الحنفية بالحرم المكي، كان عالم زمانه وصفه الهلالي بشيخنا العلامة، وانتفع به كثيرا في الحديث، وأجازه بعض متونه المشهورة كالبخاري ومسلم والموطأ، توفي بمكة عام 1156هـ/1743م.

*أبو عبد الله محمد بن محمد البليدي(ت 1176هـ/1762م):الأندلسي المغربي المالكي الفقيه المحدث، وله مؤلفات[1].

*محمد بن سالم الحفناوي أو الحفني(ت 1181هـ/1767م):فقيه شافعي، درس في جامع الأزهر روى عنه الهلالي أكثر من كتاب وفن وحديث، ومن ذلك منظومة"حرز الأماني".

*أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف المجيري الملوي(ت 1181هـ/1767م):الإمام العلامة شافعي أزهري[2].

2-3- تلامذته:أخذ عن الهلالي جماعة كبيرة جدا من خيرة التلاميذ، صاروا من نبهاء الأعلام وجلسوا للإفتاء، وتأثر عدد منهم بثقافته الواسعة وحسن سمته وزهده وورعه وطريقة حياته ومنهم:

*الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله[3]:تولى الملك عام 1171هـ/1757م، وتوفي عام 1204هـ/1789م، قال العلامة القاضي محمد بن محمد بن صالح الفيلالي في ديوانه:"وقد قرأ سيدي محمد بن عبد الله على الشيخ الهلالي بمكناس جل الموطأ وبعض صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرها.

*أبو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري الحسني الفاسي(ت1187هـ /1773م):من أشهر من تخرج عليه، مؤرخ نسابة أديب واعية، له قلم بارع في الإنشاء وتصرف العلوم الشرعية والأدبية[4]، حضر مجلس الهلالي في قراءة شمائل الترمذي وقرأ

---

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 20.

[2]-أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي(ت 1175هـ/1761م)، عرف الند في حكم حذف حرف المد (في القراءات والتجويد)، تح إبراهيم أيت وغوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص ص29، 30.

[3]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 22.

[4]-أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي، المصدر السابق، ص 38.

عليه جلها عام 1170هـ/1756م بمسجد الأقواس، المعروف بمسجد الميزاب، وحدثه بحديث الأولية أول جلوسه، وصحبه للقراءة عليه حينئذ[1].

*أبو محمد عبد القادر بن العربي بوخريص الفاسي(ت 1188هـ/1774م):العلامة الفقيه قاضي فاس[2].

*عمر الفاسي(1125-1188هـ/1713-1774م):من أعلم شيوخ الأسرة الفاسية الشهيرة كان متبحرا في علمي الأصول والبيان، أديبا شاعرا.

*أبو محمد التهامي بن عبد الله الحسني العلوي:علامة، الناظم الناثر، إماما حافظا، له تآليف عديدة، عمدته الهلالي، توفي عام 1210هـ/1795م.

*عبد القادر بن أحمد بن شقرون:مشاركا أديبا ونحويا ومحدثا، وشرح على العشرة الثانية من الأربعين النووية، وأخذ عن الهلالي لما قدم لفاس، توفي عام1219هـ/1804م[3].

*أبو عبد الله محمد بن الحسن بناني(ت 1194هـ/1780م):الشيخ الإمام المتقن اشتهر في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والبيان والمنطق والأصول والتصوف وتفقه على أشياخ عصره، منهم أبي العباس الهلالي.

*أبو عبد الله محمد بن أحمد بن السيد العلوي السجلماسي(ت 1197هـ/1782م):قاضي مدغرة من مشاهير تلامذته المجازين منه[4].

*محمد بن أحمد بن السيد الحسني العلوي:العلامة الخطيب البليغ والمفتي الأديب القاضي وله فهرسة ضمنها أسانيد شيخه الهلالي، توفي عام 1197هـ/1782م.

*محمد بن محمد بن صالح:كان عالما بارعا متبحرا في كل فن من فنون الشريعة، ترك ديوانا شعريا قدم له بمقدمة طويلة ضمنها بعض جوانب حياته العلمية وإجازة شيخه الهلالي[5].

---

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 23.

[2]-أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي، المصدر السابق، ص 38.

[3]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص25-27.

[4]-أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي، المصدر السابق، ص 39.

[5]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 28.

2-4- **مؤلفاته:** خلَف الهلالي كتبا ورسائل علمية عديدة ومقيدات مفيدة في فنون العلوم وأنظاما متنوعة منها:

- **في العقيدة والفقه:**

*إتحاف المقتنع بالقليل في شرح مختصر خليل أو نور البصر، شرح مقدمة المختصر:أي مختصر الشيخ خليل.

*المراهم في أحكام فساد الدراهم:ألفه عندما زيفت الدراهم بالنحاس في سجلماسة[1].

*النوازل:وقد جمعت في كتاب أسماه جامعه"الدرر اللآلئ من نفائس أحمد الهلالي"، وهو مجهول.

*إصلاحات لبعض أبيات تحفة الحكام لابن عاصم[2].

*الحلة المفوفة في بيان اتصال استثناء الكلمة المشرفة:يعني كلمة الشهادتين.

*الياقوتة الفريدة في نظم واجب لب العقيدة:وهي تسعة أبيات، ضمنها العقائد الواجبة كلها بدلائلها العقلية[3].

- **في علوم اللغة:**

*فتح القدوس في شرح خطبة القاموس:أي القاموس المحيط للفيروز أبادي[4].

- **في علوم القرآن:**

*عرف الند في حكم حذف المد:في التجويد[5]، وفيه ذكر منع الجمع بين الوصل والوقف ومنع التقطيع.

*تقييد في إعراب البسملة.

*تفسير القرآن الكريم[6].

---

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 38.

[2]-أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي، المصدر السابق، ص 54.

[3]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 40.

[4]-المصدر نفسه، ص 40.

[5]-خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ص 151.

[6]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 42.

- **في المنطق:**

*شرح لمنظومة عبد السلام بن الطيب القادري الحسني:"الزواهر الأفقية على الجواهر المنطقية"[1].

*شرح على نظم السلم المرونق للشيخ عبد الرحمن بن محمد الأخضري(ت 983هـ/1575م).

- **في التصوف والأخلاق:**

*قصيدة في التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى[2]، وأخرى في التضرع.

*الفوائد الملتقطة والوصايا المعتبرة[3].

*النصيحة الهلالية أو القصيدة الفائقة والنصيحة الرائقة:أرجوزة تشتمل على 128 بيتا.

*شرح الصدر في التوسل بأهل بدر:منظومة نسبها له صاحب معجم المؤلفين[4].

- **في العقيدة:**

*"فتح القدوس في شرح القاموس".

*"إضاءة الأدموس ورياضة النفوس من اصطلاح صاحب القاموس":هو أفيد كتاب في بابه

- **في التراجم ومعاجم الرجال:**

*ثلاثة فهارس، قال الكتاني:له ثبتٌ كبير في نحو كراسين، ذكر فيه أسانيد الكتب الستة ومشاهير كتب العلوم المتداولة وبعض المسلسلات، وله فهرس آخر صغير، وهو الموسوم بالعجالة.

*منظومة في وفيات مجموعة من الأعلام:في ثمانية عشر بيتا، من هؤلاء:الإمام مالك والشاطبي والشيخ خليل الفقيه وخليل اللغوي وابن عطية والقاضي عياض وابن عربي وابن رشد..[5].

[1]-محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 6، المصدر السابق، ص 2213.

[2]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 43.

[3]-أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي، المصدر السابق، ص 55.

[4]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 44.

[5]-المصدر نفسه، ص 45.

- **في الأدب:**

الفهرسة أو فهارس والرحلة المكية والنصيحة:قصيدة مشهورة وقصيدة في مدح القاموس وأخرى في مدح المولى إدريس الأكبر وديوان شعر ونونية في مدح شيخه أبي العباس أحمد اللمطي[1].

- **في التوقيت:**

نُسب له مؤلف في التوقيت.

- **في الطب:**

*الرحمة في الطب والحكمة: هذا العنوان مشترك بين عدد من المؤلفين[2].

وكانت له ملكة عريضة في نظم الشعر على اختلاف أنواعه[3]، بحيث برز كشاعر واشتهر في علوم اللغة، واهتم بعلم العروض، ظهر ذلك على مخطوطة علق عليها أبو عبد الله الدماميني، المعروفة بالعيون الغامزة على خبايا الرامزة، قال صاحبه:"وللفقيه العلامة أبي العباس الهلالي توطئة لفاتحته الخزرجية:

لَكَ الحَمْدُ يَا مَنْ أَشْعَرَ اللُّبَّ فَاقْتَنِي   عُلُوماً بِهَا المَجْدُ المُخَلَّدُ يُبْتَنَى

وَأَزْكَى صَلاَةٍ وَالسَّلاَمُ عَلَى الَّذِي   بِهِ زُعْرُ الآدَابِ أَصْبَحَ يُجْتَنَى

وَبَعْدُ، فَإِنَّ الشِّعْرَ جَاءَ مِنْهُ لِحِكْمَةٍ   وَحِكَمٌ، فَذُو اللُّبِّ السَّلِيمِ بِهِ اعْتَنَى

ثم إنه بعد نقل بيتين من الرامزة قال:"وله أيضا بعد خاتمتها داعيا لمؤلفها ومجيبا لسؤاله:

كَسَاكَ الكَرِيمُ البَرُّ حِلَّةً عَفْوُهُ   وَحَلاَّكَ فِي يَوْمِ الجَزَا حِلْيَةَ الرِّضَا

ثم قال:"نقلت هذا من خط يده مباشرة، وقد سمعت بعض الطلبة يزيد أبياتا على هذه فحفظت منها بيتا واحدا، ونصه:

وَأُولاَكَ مِنْ كُلِّ الأَيَادِي سَحَائِبًا   مُهْتَنَّةٌ تُهَمِي عَلَيْكَ بِلاَ انْقِضَا[4].

وعندما زار عبد السلام بن مشيش مدحه في قوله:

أَزَائِرَ القُطْبِ أَهْدِ أَزْكَى السَّلاَمَ   لِلإِْمَامِ الكَمَالِ عَبْدَ السَّلاَمِ

---

[1]-أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي، المصدر السابق، ص ص57-59.

[2]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 47.

[3]-محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 6، المصدر السابق، ص 2213.

[4]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص47، 48.

مِنْ عُبَيْدٍ يَرْجُو بِخَالِصِ وُدٍّ لِعُلاَهِ فَوْزاً بِدَارِ السَّلاَمِ[1]

2-5- **وفاته:**توفي الهلالي بمدغرة تافيلالت عام 1175هـ/1761م[2].

لقد اتفقت المصادر على أنه توفي بمدغرة عام 1175هـ/1761م، وفصل الفلالي في ضبط وفاته، فقال:"توفي ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ربيع الأول قبل الفجر بنحو ساعتين عام خمسة وسبعين ومائة وألف".

ورثاه تلميذه أبو عبد الله محمد البوكيلي(ت بعد 1206هـ/1791م) في قصيدة منها الأبيات التالية:

مَاتَ الإِمَامُ الَّذِي عَمَّتْ فَضَائِلُه طَوْدَ العُلُومِ وَقُدْوَةَ القَادَاتِ

شَيْخُ الشُّيُوخِ، فَرِيدُ العَصْرِ قَاطِبَةً مُجَدِّدُ الدِّينِ، غَايَةَ النِّهَايَاتِ

فَيَا لَهَا فَجْعَةُ حَقٍّ لِوَقْعَتِهَا هَدَّ الجِبَالَ وَوَقْعَةَ السَّمَاوَاتِ[3]

3- أبو عبد الله الحضيكي(ت 1189هـ/ 1775م):

3-1- **حياته وتعليمه:**هو العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي من قبيلة المانوزي، أُشتهر بالحضيكي، من أتباع الطريقة الشاذلية[4]، وهو عالم بالتراجم وراوية سوس الأقصى ومن أدباء المالكية وفقهائهم[5]، ينتمي إلى أسرة علمية مشهورة ذات مكانة عالية في منطقة سوس انتشرت أصداؤها في كل المغرب[6].

[1]-محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 6، المصدر السابق، ص 2213.

[2]-خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ص 151.

[3]-أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي، المصدر السابق، ص ص51، 52.

[4]-الطريقة الشاذلية:هي طريقة صوفية منسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي، انتشرت في العالم الإسلامي من القرن 7هـ/13م إلى عصرنا هذا. وأشاع أتباعها بأنَها انفردت عن باقي الطرق الصوفية بخصائص عملية جعلتها سالمة من النقد الموجَه للتصوف في السلوك والعقائد. يُنظر:العُتيبي خالد بن ناصر، الطريقة الشاذلية عرض ونقد، مج 1، مكتبة الرشد، ط 1، المملكة العربية السعودية، 2011، ص ص399، 400، 407، 408.

[5]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، الرحلة الحجازية، تح:عبد العالي لمدبر، دار الأمان، ط 1، الرباط، المغرب، 2011، ص 13.

[6]-مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني محاولة في بناء الصورة، مؤسسة الانتشار العربي، ط 1 بيروت لبنان، 2015، ص 210.

ولد عام 1118هـ/1706م في مدشر ترسواط في قبيلة آمانوز بسوس جنوب المغرب الأقصى، نشأ بين أسرته، فقام والده بتلقينه مبادئ التربية الدينية، وكان يحفظ القرءان الكريم في الكتَّاب عند إمامهم عبد الله بن إبراهيم الكرسيفي، وعندما أصبح شابا متعلما رغب في طلب العلم، واهتم بالرحلة من أجل الأخذ والتلقي عن علماء عصره.

وقد درس في المدرسة الصوابية الماسية بسوس وتخرج منها، ثم ارتحل إلى المشرق فحج وزار، وهناك كتب رحلته[1]، لم تكن في نيته الحج لأنه عاش فقيرا، ولم يجد ما ينفقه لكن الظروف هُيئت له، وكانت السبب في قيامه بالرحلة إلى الحج، بالإضافة إلى تلك الظروف، فكان له الكثير من الأولاد وثلاث نساء، ومع ذلك كان زاهدا في الدنيا، لا يشغل نفسه إلا بالعلم والتصوف[2]، وكانت أنذاك الفرصة التي مكنته من الأخذ من علماء الحرمين واليمن والهند والعجم والشام ومصر، وجمع العديد من الكتب النفيسة، ثم عاد بعد ذلك إلى وادي إيسي، وبنى المدرسة الفلالية التي نشر بها العلم، وأسس بها مكتبة علمية التي أصبحت من أشهر المكتبات في المنطقة حيث احتوت أنذاك على المئات من المخطوطات وساعده في ذلك تعاطيه إلى نسخ المخطوطات بنفسه دون أن يعتمد على أحد، وبالتالي كان حريصا على ضبط العديد من المنسوخات، ومُحبا للكتب[3].مارس الحضيكي التدريس بسوس، فدرس الفقه والنحو والحديث والتصوف والسيرة النبوية، فتخرج على يديه الكثير من العلماء[4]، فقد كان مجلسه يعج بطلبة العلم الذين بادر بعضهم إلى التأليف في مناقبه ومآثره تأليفا كثيرا، مما يدل على مكانته، ومحبتهم له[5] وامتهن كذلك القضاء ليرجع إليه الناس في المنازعات الاجتماعية[6].

2-3- **شيوخه:** اشتهرت منطقة سوس التي نشأ فيها الحضيكي بالزوايا والمدارس العتيقة

[1]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص 14.

[2]-مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص ص210-212.

[3]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص ص14، 15.

[4]-مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 211.

[5]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 85.

[6]-مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 211.

فأخذ مختلف العلوم والمعارف على أيدي عدد من العلماء والشيوخ من المغرب والمشرق الذي كان عددهم حوالي 53 شيخا من بينهم:

*أبو العباس أحمد بن عبد الله الصوابي من علماء سوس(ت 1149هـ/1736م):قرأ عليه مختصر خليل، المترجم صحيح البخاري، تفسير ابن الجوزي، تفسير الجلالين، ألفية ابن مالك وغيرها.

*عبد الله بن إبراهيم الرسموكي(ت 1147هـ/1734م):قرأ عليه الآجرومية، ألفية ابن مالك وغيرها.

*عبد الله بن أبي إسحاق الكرسيفي(ت 1140هـ/1727م):قرأ عليه كتاب الله كاملا وحفظه عليه وأحكام العبادة.

*أبو عبد الله محمد بن الحسن الحامدي، من علماء القرن 12هـ/18م، قال عنه:"سمعنا منه جل مختصر الشيخ خليل".

*أبو العباس سيدي أحمد بن عبد الله الإبراهيمي(ت 1135هـ/1722م):قرأ عليه صلوات كتاب مختصر الشيخ خليل.

*أبو العباس أحمد بن يحي الرسموكي(ت 1142هـ/1729م):أخذ عنه صغرى السنوسي والقراءات السبع.

*أبو عبد الله محمد بن عبد الله الدرعي(ت 1160هـ/1747م):درس عليه مختصر الشيخ خليل وألفية ابن مالك في النحو.

*محمد الصغير بن محمد الإفراني(ت بعد 1155هـ/1742م):درس عليه علوم الحديث والسير[1].

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص ص16، 17.

وتضم "طبقاته" وكناشاته إجازات مشايخه المشارقة والمغاربة[1].

إلى غير ذلك من الأسماء العديدة والبارزة من العلماء التي عكست مصادر الثقافة وجعلت من شخصية الحضيكي عالما ومتصوفا ذا قيمة كبيرة[2].

3-3- **تلامذته:** وهم حوالي 23 تلميذا، من بينهم:

*محمد بن عمر الأسغركيسي الهشتوكي السوسي(ت1213هـ/1798م):درس عنه العديد من العلوم، منها مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق، صحيح الإمام مسلم، صحيح البخاري الموطأ وغيرها.

*أحمد بن علي الأغزالي الهلالي(ت أوائل ق 13هـ/19م):أجازه إجازة عامة مع أخيه محمد بن علي الأغزالي.

*أبوالربيع سليمان بن يوسف الناصري(ت 1230هـ/1814م):تحدث عن شيخه يقول:"ومنهم شيخنا الفقيه ذو الأسرار والكرامات والمواهب والبركات سيدي محمد بن أحمد الحضيكي نزيل فم إيسي، وهو من أعظم من أحدث عنهم ".

*عبد الرحمن بن عبد الله الجشتيمي السوسي الجزولي(ت 1369هـ/1949م):جعله صاحب الإعلام "تلميذ تلامذة المترجم ".

*عبد الله بن أحمد المكوسي الهلالي(ت أوائل ق 13هـ/19م):أجازه إجازة عامة كتبها بيده عند مرض موته.

*أحمد بن أحمد بن الحاج التيزختي وأخوه محمد بن أحمد بن سعيد التيزختي:أجازهما إجازة عامة بخطه.

---

[1]-عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 371.

[2]-مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 211.

*الحسن بن محمد التملي(ت 1240هـ/1824م):أجازه مع بعض تلامذته إجازة عامة في مرض موته[1].

3-4- ثناء العلماء عليه:

*قال عنه تلميذه الأسغركيسي في فهرسته:"كان عديم النظر في زمانه ورعا، نزاهة وعلما ونباهة، وله اليد الطولى في علم السير والحديث، وإليه الفزع في ذلك، وانفرد عن أهل زمانه بمعرفة تاريخ الملوك والسير والعلماء وطبقاتهم ومعرفة أيامهم، بحيث لا يجارى في ذلك ولا يبارى، شديد الإتباع للسنة في سائر أحواله حتى على التعليم، مكبا على المطالعة قائما على البخاري وغيره من كتب الحديث"[2].

*قال فيه المراكشي في الإعلام:بأنه كان ورعا ونزاهة وعالما ونباهة، متبعا للسنة أخذ في كل فن من فنون العلم بنصيب، عارفا بالسير والحديث والتاريخ وعلوم الحقائق والمعارف بلغ الدرجة العليا في علم اللغة، وله كرامات ومآثر كثيرة.

*وصفه المختار السوسي قائلا:"إنه أحد مفاخر سوس الأعلام، حتى لتعجز عن تبيين أوصاف كمالاته الأقلام، زينة النصف الأخير من القرن 12هـ/18م...، ثم أخذت بيده أيدي السعود حتى نال ما نال مما أفاضت به أقلام المؤرخين حوله"[3].

كما تميز الحضيكي بقوة الحفظ ودقة البحث، فكان آية من آيات الله في حفظ السيرة النبوية، والتنقيب على أحوال الصحابة والسلف الصالح[4]، فقد اجتمع له علم واسع وسلوك قويم وهمة عالية، وأقام الجهاد في العلم والعمل طوال عمره[5].

3-5- مؤلفاته:ألف الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي العديد من التآليف والتصانيف المفيدة في

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص ص27، 28.

[2]-مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 210.

[3]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص 37.

[4]-المصدر نفسه، ص 37.

[5]-مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 212.

الكثير من العلوم والمعارف المختلفة منها:

*مناقب أو طبقات الحضيكي:في تراجم شيوخه وشيوخهم وتلامذته ومن لقيهم في أسفاره.

*شرح الرسالة القيروانية:شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه.

*مصابيح الإصابة في تعريف الصحابة:يسمى أيضا مختصر الإصابة، اختصر فيه الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني[1].

*شرح كتاب حلية الأنوار في أخبار دار القرار.

*حاشية على كتاب الغنيمة الناصرية.

*كتاب في مناقب علماء وصلحاء سوس.

*شرح قصيدة بانت سعاد[2].

*شرح الهمزية للبوصيري.

*حاشية على صحيح البخاري.

*مختصر الأجوبة الأجهورية.

*شرح القصيدة الشقراطيسية:شرح على القصيدة اللامية في السيرة لمحمد بن يحيى بن علي الشقراطيسي.

*حاشية على الشفا للقاضي عياض.

*مجموعة في فوائد الصلاة على النبي ﷺ.

*مجموعة في الطب.

*مجموعة في أصول الطريقة الصوفية.

1-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص 31.

2-العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح:عبد الوهاب ابن منصور، ج 6 المطبعة الملكية، ط 2، الرباط، المغرب، 2001، ص 84.

*رسالة في آداب المعلم والمتعلم.

*منظومة في الوعظ[1].

ومن خلال تلك المؤلفات يبدو أن الحضيكي كان ملما لعلوم في شتى المجالات بحيث ألف في الفقه واللغة والحديث والسير والتراجم والتصوف والأدب، فيعتبر بذلك موسوعة ومدرسة تخرج منها علماء كبار[2].

6-3- **وفاته:**توفي الحضيكي عشاء السبت 19 من رجب عام 1189هـ/1775م[3].

4- الحسين بن محمد الورثيلاني(ت 1193هـ/1779م):

4-1- **حياته وتعليمه:**هو الشيخ سيدي الحسين بن محمد السعيد بن الحسني الورتلاني نسبة إلى بني ورتلان قبيلة قرب بجاية بالجزائر[4]، وحسب الروايات المتداولة ينتسب الورتلاني إلى أسرة علم وصلاح، تعود أصولها إلى شرفاء تافلالت المغربية، استقرت ببجاية ثم انتقلت إلى مواطن قبيلة بني ورتلان بالقبائل الصغرى[5]، ولد عام 1125هـ/1713م ببني ورتلان[6]، تزوج عدة مرات، وأنجب أولادا، وكان فقيرا، ويعيش عيشة تقشف وزهد[7].

أخذ العلم عن والده وأشياخ موطنه، ثم رحل إلى المشرق[8]، ثم تنقل إلى بعض الزوايا ومعاهد العلم بناحية القرقور ونواحي جرجرة ودلس والجزائر، فارتبط بالطريقة الشاذلية

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص ص32-34.

[2]-مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 212.

[3]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 88.

[4]-الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج 1، تح محمد ابن أبي شنب، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، مصر، 2008، ص 6.

[5]-ناصر الدين سعيدون، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص 418.

[6]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 6.

[7]-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 188.

[8]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 7.

والتزم بحياة الزهد والتقشف، واتصف بالجد والعمل والرغبة في الاستزادة من العلوم الفقهية واللغوية[1]، وظهرت على يده كرامات، وكان مقيما للسنة، وصادق اللهجة[2].

4-2- **شيوخه**:والده الشيخ علي بن أحمد بن عبد الله والشيخ يحي اليعلاوي والشيخ أحمد زروق بن الشيخ العنابي.

4-3- **تلامذته**:الشيخ محمد بن الفقيه والشيخ محمد السكلاوي ويحي بن حمزة ومحمد بن عبد الله ومحمد الجوادي ومحمد بن أخروف وأبو القاسم بن مدور وابن عمه الشيخ محمد الصالح[3].

حج الحسين الورتلاني ثلاث مرات، كانت الأولى عام 1153هـ/1740م مع والده وعمره أنذاك 18 سنة والثانية عام 1166هـ/1752م وعمره 41 سنة، أما الحجة الثالثة التي استغرقت ثلاث سنوات(1179-1181هـ/1765-1767م)، وأتمها في الرابعة والخمسين من عمره[4].

لقي الورثيلاني بعض الأئمة في الحرم المكي من بينهم الشيخ أحمد المخيلي الشافعي والشيخ عبد الله بن سالم البصري الشافعي والشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية وابناه الشيخ عبد المحسن والشيخ عبد المنعم والشيخ عبد القادر بن أبي بكر الحنفي المفتي والشيخ محمد أكرم الهندي والشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي المكي الشافعي والشيخ الحسين العجمي والشيخ الحسين الحنفي المكي، ومن أصحاب الوالد الشيخ علي اليمني والشيخ عبد الله اليمني[5]، وقد ربط في المدينة المنورة علاقة ودية وعلمية مع أحد العلماء وهو الشيخ

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 418.

[2]-أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج 2، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص 133.

[3]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 45.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 418.

[5]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 2، المصدر السابق، ص 496.

السمان القرشي المدني الذي وصفه الورثيلاني بأنه:"الصفي الودود التقي ذي الأحوال الصادقة..."[1].

حرص على توسيع معارفه ومعلوماته أثناء الحج ووجوده بالحجاز ومصر، فدرس بالقاهرة، وأخذ على شيوخ الأزهر أمثال محمد البليدي والحفناوي والجوهري وغيرهم من العلماء، وبعد عودته من المشرق فضل الاستقرار والاعتكاف للعبادة بمسجد أسرته، حيث خاض في التدريس والوعظ، فيقول عنه الحفناوي في مؤلفه:"تعريف الخلف برجال السلف":هو الإمام العالم العلامة الهمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد المتبع لأثر الرسول ﷺ الجامع بين المعقول والمنقول، عبر الحقائق وكثر الدقائق مفيد الطالبين ومربي السالكين وقدوة العلماء العاملين وبقية السلف الصالحين"[2]، فقد اشتهر الورتلاني حتى أصبح مقصد الزوار وطلبة العلم من مختلف المناطق[3].

4-4- **مؤلفاته:**ألف الورثيلاني عدة كتب، معظمها في الفقه والتصوف والتوحيد، وأكبر

عمل ألفه في التاريخ والأخبار هذه الرحلة[4]، كما كان إماما محققا بارعا في العلوم، وألف في التاريخ فذكر في مؤلفه علماء وأدباء وشعراء وملوك، وله رحلة إلى اليمن، ولقي والده وأخذ عنه، وجعل له ترجمة[5].

ترك الرحالة العديد من المصنفات والتآليف منها:

*كتاب المرادين.

*رسالة في شكل جواب على قول بعضهم:"خضت بحرا وقفت الأنبياء بساحله".

*حاشية على صغير الخرشي.

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، المرجع السابق، ص 196.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 418.

[3]-المرجع نفسه، ص 418.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 395.

[5]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 2، المصدر السابق، ص 496.

*بعض الرسائل الإخوانية[1].

*الرحلة السنية التي سارت بها الركبان، ودعا لناسخها ومالكها وناظرها.

*قصيدة تتألف من خمسمائة بيت في مدح النبي ﷺ، كالهمزية لكنها ميمية.

*رسالة في حل اللغز الذي أرسله سيدي أحمد بن يوسف الملياني إلى علماء فاس فعجزوا عنه[2].

*شرح على المنظومة القدسية في التصوف للإمام المحقق والفهامة المدقق سيدي عبد الرحمن الأخضري.

*شرح على وسطى وخطبة شرح الصغرى للإمام السنوسي.

*شرح على محصل المقاصد للإمام أبي العباس أحمد بن زكريا التلمساني، توفي قبل تمامه.

*حاشية جليلة على حاشية المحقق السكتاني التي وضعها على شرح السنوسي.

*حاشية على صغير الخرشي مزبورة على هوامش الشرح.

*تشطير البردة وغير ذلك من القصائد والتآليف والتقارير[3].

4-5- **وفاته:**توفي الورثيلاني بمسقط رأسه "أنو" ودفن في مقبرتها[4]، وحسب ما ذكره

بعض تلامذته أنه توفي في شهر رمضان عام ثلاثة وتسعين من القرن الثاني عشر(1193هـ/1779م) وبعضهم قال عام أربعة وتسعين[5].

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 419.

[2]-أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص 134.

[3]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص ص5، 6.

[4]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، المرجع السابق، ص 47.

[5]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 6.

5- الباي محمد الكبير(ت 1212هـ/1797م):

هو محمد بن عثمان الكردي، الملقب بالكبير إكراما له عندما فتح مدينة وهران وبالأكحل لسمرته، أمه جارية اسمها زائدة، وأبوه أبو إسحاق الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي كان خليفة على مليانة ثم ارتقى، فأصبح بايا على تيطري، توفي أبوه بمدينة معسكر ودفن بها سنة(1170هـ/1756م)، وأخوه محمد الرقيق"بوكابوس".

تزوج من ابنة قائد مليانة أبي اسحاق إبراهيم الملياني الذي تكفل بالعائلة بعد موت والد محمد الكبير، وعينه قائدا على "فليتة" سنة 1178هـ/1764م، ثم خليفة له عام 1182هـ/1768م شارك في الدفاع عن الجزائر ضد الغزو الاسباني سنة 1189هـ/1775م، تم تعيينه بايا على بايليك الغرب حينها قضى على الثورة الدرقاوية بعدما خرجت عن دولة الأتراك العثمانيين عام 1192هـ/1778م، ثم شرع في إصلاح شؤون الرعية، والسهر على مصالحها، وتنظيم البلاد، فنشر الأمن وألف بين قلوب الناس[1]، وكان محبا للعلماء والصلحاء والأدباء والنبلاء والشجعان[2]، ويحرص على الثقافة والمثقفين، حيث بنى مدارسا وشيد مساجدا، واعتنى بالفقراء والمساكين[3]، ويعتبر من أشهر المسؤولين الذين شجعوا على حركة النسخ والاستنساخ، فشجع الطلبة وكُتابه الخصوصيين على اختصار الكتب المطولة، ونسخ بعض الكتب الأخرى له، وكان يجيزهم بسخاء[4]، شديد الحزم والأوامر والإمضاء، وكثير الغزو على أهل الصحراء[5] ففي سنة 1199هـ/1784م جهز جيشا كبيرا وقويا من أجل ذلك، وانطلق من معسكر ومر بجبل عمور والبيضاء وأفلو والطويلة وصولا إلى مدينة الأغواط، فانقاد له جميع القبائل التي بضواحيها بما فيها مزاب، واعترفوا كلهم بدولة

---

[1]-أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري 1785، تح محمد بن عبد الكريم، دار السويدي، ط 1، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2004، ص ص16 -18.

[2]-الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح يحي بوعزيز، ج 1، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 290.

[3]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 25.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 292.

[5]-الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 290.



الأتراك العثمانيين في القطر الجزائري، ورضوا أن يؤدوا لها الضرائب السنوية عن طيب نفس[1]، وأعظم فتوحاته فتح وهران التي صارت دار ملكه، وقد ألف في ذلك العديد من العلماء أبرزهم العلامـة أبي راس محمد بن الناصر[2]، كما كانت علاقات محمد الكبير مع رؤساء الدول الإسلامية حسنة جدا[3].

5-1- **وفاته**:توفي الباي محمد الكبير عام(1212هـ/1797م)، فبعد فتح وهران بأيام توجه الباي محمد الكبير إلى الجزائر لدفع الدنوش كالعادة، فلما أكمل أيام الضيافة بعد الثمانية غادرها على أحسن حال، فلما وصل إلى السائح بن خضرة كبير أولاد قصير، وهي قبيلة كبيرة قريبة من قرية مازونة، توفي ونقله أولاده إلى وهران، وقيل في موته أن حسن باشا بعث إليه من سقاه سما، وقيل أيضا أنه مات فجأة لأنه لم يمرض رحمه الله[4].

وظلت ذكرى هذا الباي في تبجيل كبير بين العرب، وأدت وفاته إلى إغراق المنطقة الغربية بأكملها في ألم عميق، وظلت ذكرى ما أنجزه رائعة وجميلة، محفورة في ذاكرة السكان الأصليين الذين ما زالوا لا يتكلمون اليوم عن محمد الكبير إلا و يعبرون عن إعجابهم الشديد بشخصه[5].

5-2- **كاتب الرحلة "ابن هطال التلمساني"** (ت 1219هـ/1804م)**:**هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني كان كاتبا ومستشارا لمحمد الكبير-باي الأيالة الوهرانية- ومبعوثا له في المهمات الخارجية.

فقد حدثنا أحمد بن علي بن سحنون في كتابه:"الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" أن محمد الكبير عندما كان يستعد لفتح وهران وجه كاتبه أحمد بن هطال مع قاضي المحلة مصحوبين بهدايا إلى سلطان المغرب الأقصى، ليسمح لهما بشراء ما يحتاج إليه الباي من أسلحة حربية، ومن هناك توجه أحمد بن هطال إلى جبل طارق حيث وجد في انتظاره

---

[1]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 19.

[2]-الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص ص291، 294.

[3]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 29.

[4]-أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ويليه محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 86.

[5]-Henri-Léon Fey, HISTOIRE D'ORAN AVANT, PENDANT ET APRES LA DOMINATION ESPAGNOLE, ORAN, 1858, p 270.

قنطارين ونصف قنطار من البارود قد اشتراها الباي من الانجليز[1]، فوفق في مسعاه وعاد من جبل طارق بحمولة من البارود تقدر بقنطارين ونصف، ورافق ابن هطال الباي محمد الكبير في غزواته لعين ماضي[2] والأغواط[3] وجبل عمور(1199هـ/1784م) وكتب عنها واصفا إياها بدقة.

وبعد وفاة الباي محمد الكبير(1212هـ/1797م)، ظل ابنه عثمان باي يشغل المنصب نفسه الذي كان مشغولا به إبان حياة أبيه، ولما توفي الباي المذكور، أصبح ابن هطال كاتبا للباي مصطفى بن عبد الله العجمي رابع بايات الغرب(1215هـ/1800م)، وصاحبه في حركته ضد الشريف الدرقاوي وأتباعه[4]، فاستشهد مع العديد من رجال المحلة في معركة بمكان يقال له فرطاسة "يقع بين "مينا" و"واد العبد" في أوائل ربيع الأول عام 1219هـ/1804م[5].

وعن أهمية التاريخ يقول ابن هطال بأنه:"من أجل العلوم قدرا وأكملها محاسن وفخرا...إذ به عرفت قدماء الأمم..."[6].

6- أبو راس الناصر المعسكري(ت 1238هـ/1822م):

6-1- حياته وتعليمه: هو ابن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن ناصر الجليلي

---

[1]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 15.

[2]-عين ماضي:هو قصر عين ماضي بن مغرب ويسمى قصر الصحراء.يُنظر: لخضر بن محمد تناح الحمدي النائلي، إتحاف السائل بذكر نسب وفرق وألقاب أولاد سيدي نائل ومن جاورهم من الأعراش والقبائل، مطبعة بن سالم الأغواط، ط 1، الجلفة، الجزائر، 2019، ص 202.

[3]-الأغواط:هي باب الجنوب، من أبدع واحات القطر ،تقع على وادي مزي ،وبها نظام محكم للري، وواحة تشمل ما يزيد عن 25 ألف نخلة، وقد اشتهرت بصناعة الصوف والحرير ،وهي بلاد عمل وإقبال على العلم، تحيط بها قبائل الأرباع الشهيرة.يُنظر:أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 148.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 448.

[5]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م دراسة تحليلية نقدية، دار الملكية، ط 1، الجزائر، 2007، ص ص75، 76.

[6]-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، المرجع السابق، ص 358.

المعسكري، ولد بناحية جبل كرسوط حوالي 1150هـ/1737م[1].

توجه به أبوه شرقا نحو متيجة أين توفيت أمه زولة التي يقول عنها بأنها كانت صالحة تقية وأطول النساء يدا وأكملهن هديا وهدى، ويُضرب بها المثل في السخاء والصلاح، وقد نشأت في بيت علم وبركة وصدق وإصلاح، وبعدما توفيت أمه توجـه أبو راس مع أبيه إلى مجاجة أين بدأ والده يعلم الرجال والصبيان القرءان الكريم، وتزوج هناك عدة نساء.

وبقي مع أخيه عبد القادر في بيت أبيه حتى جاءهما أخوهما الأكبر عمر، وأخذهما بعد موت أبيهما إلى المغرب، وبما أنه كان من عائلة فقيرة فقد عاش سنين عريانا لا لباس له إلا خرق كالعدم، وما لبس نعلا إلى أن قرب صومه، وصار يطلب من البيوت ثم يبيع ليكسى[2].

أخذ أولا القرآن الكريم عن والده بروايتي قالون وورش عن نافع، وأتقن بقية رواياته فأحسن رسمه وضبطه على الشيخ منصور الضرير، ثم أخذ مبادئ علوم اللغة والأدب عن مشائخ وقته بمدينة معسكر أين لازم القاضي الشيخ محمد بن مولاي علي بن سحنون الذي زاده رغبة في طلب العلم[3]، ثم انتقل أول صومه إلى مازونة مدينة مغراوة، ويقول عن سفره:"فلقيت على صغري مشقة المشي، لكن ذلك شأن أهل السفر للعلم"، وفي طريقه مرَ بالشيخ الصالح الفاضل أبي عبد الله محمد بن لبنة الذي سأله عن وجهته، فأجابه بأنه متوجه نحو مازونة لقراءة الفقه، وأما القرءان الكريم يقول بأنه يعرفه بأحكامه ونصوصه وما يتعلق به، فلقد انتفع الكثير من الطلبة في الأحكام بعدما تم تدريسهم من طرفه، فامتلأ سرورا وعجبا بذلك[4]، فكانت مازونة أنذاك حافلة بالعلماء من أهل الفقه وعلوم الدين حيث أتقن بها دراسة الفقه المالكي بمختصر خليل حفظا وفهما[5]، ثم توجه إلى معسكر ولا يوجد

---

[1]-محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تح محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977، ص 18.

[2]-المصدر نفسه، ص ص18، 19.

[3]-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، دار الأمة، الجزائر، 2014، ص 206.

[4]-محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 20.

[5]-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 206.

لديه شيء من مال سوى معرفة الفقه، فسمع بالشيخ المشرفي يدرس ب"عواجة" فذهب إليه وتعجب الشيخ من معرفته، ولما وجده صغيرا كلفه بغسل ثيابه وثياب أهله وأولاده، ولما ختم ذهب إلى بيت أخيه ب"وادي أغرم" في أولاد الشيخ الولي الصالح الشيخ أبي علي بن أحمد بن عمر بن عبد القادر، يقول بأنه جده من قبل أمه[1].

أقام بمعسكر 36 سنة، اشتهر أثناء ذلك بسعة اطلاعه وبتآليفه، وأسندت إليه مهمة التدريس، فخلف أستاذه عبد القادر المشرفي في إلقاء الدروس، وبلغ عدد طلبته في الحلقة 780 مستمعا[2]، ولما ذاع صيته واشتهر علمه تقلد أبو راس الناصر قضاء مدينة معسكر فقام بمنصبه في نزاهة، وبعد ذلك تزوج بأخت عالم غريس وعميد علمائها الشيخ محمد بن فريحة بن الشيخ محمد بن يحي[3].

اكتسب أبو راس الناصر ثقافة واسعة بفضل المطالعة واتصاله بالعلماء والمواظبة على حفظ العلوم، وساعده في كل هذا حافظته القوية حتى عُرف بحافظ المغرب الأوسط[4] وتقلد مناصب القضاء والإفتاء[5] فترة، ثم عُزل منه سنة 1217هـ/1802م[6].

2-6- شيوخه:

*الشيخ أحمد:والد أبو راس، وهو أول شيوخه الذي قرأ عليه وهو صغير جدا.

*الشيخ منصور الضرير:صاحب القراءة المتقنة والأحكام الموقنة، جاءه لما جمع القرآن الكريم، فظهر عنده القرآن وعلومه، ونسخت له "ابن شعيب" على الفرائض، ولم يرو الأحكام إلا عليه.

---

[1]-محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 21.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 460.

[3]-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 207.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 461.

[5]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، المرجع السابق، ص 234.

[6]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 460.

*الشيخ السيد محمد بن مولاي علي بن سحنون:قاضي معسكر، كان يجلس في حلقتة "ليقرأ الفقه[1].

*الشيخ بن علي بن الشيخ بن عبد الله المغيلي:من بين الذين اعتمدهم في دراسته.

*الشيخ عبد القادر المشرفي:أخذ عنه، وكان يخلفه في إلقاء الدروس.

*الشيخ عبد القادر بن السنوسي بن دحو:أخذ عنه[2].

*الشيخ مصطفى بن هني:قرأ عليه بمازونة.

*الشيخ محمد بن إبراهيم:قرأ عليه بمازونة.

*الشيخ مصطفى بن يونس:قرأ عليه.

*الشيخ الزناتي: وقف على شرح مطول في الفرائض[3].

*الشيخ أحمد بن عمار المفتي: أجازه.

*الشيخ أحمد بن جعدون قاضي العاصمة : أجازه.

*الشيخ محمد بن عبد الكريم بن الفكون.

*الشيخ محمد بن عبد الرحمن.

*الشيخ مرتضى الزبيدي:شارح القاموس والأحياء:أجازه.

*الشيخ أحمد بيرم:أخذ عنه مختصر الكنز في فقه الحنفية[4].

---

[1]-محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 42.

[2]-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص ص206، 207.

[3]-محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 43.

[4]-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 208.

*الشيخ محمد بن عبد القادر:قاضي "مازونة"، قرأ عليه نفائس من"باب القضاء والشهادات وأحكام الدماء"[1].

*مدحه الشيخ إبراهيم الرياحي العالم التونسي، وهو يثني على علم أبي راس الناصر بقصيدة من أبياتها:

هَذَا الإِمَامُ أَبُو رَاس مُحَمَّدٌ مَنْ سَارَتْ بِتَبْرِيزِهِ فِي الخَلْقِ رُكْبَانٌ

هَذَا الَّذِي أَقْلَعَتْ أَنْبَاؤُهُ صَمَمًا وَأَبْصَرَتْ نُورُهُ المُلْتَحِ عُمْيَانٌ

*وأثنى عليه السنوسي الكبير في فهرسته، فقال بعد ما حلاه بالإمام الحافظ:"كان شيخنا المذكور حافظ عصره وإمام قطره، الشائع عنه أنه لا يزيد على مرة في مطالعة الدرس لما منحه الله من سيلان الذهن وسعة الحافظة..."[2].

وفي إحدى الأيام من سنة 1205هـ/1790م قال أبو راس للشيخ أحمد بن عبد الله السوسي المغربي:"أحببت أن أكون من تلامذتك الراغبين في إجازتك، وإن لم أكن لذلك أهلا فيكون ذلك منك لنا وبلا كي تهب عليَ نفحاتكم... "، فأجازه الشيخ في جميع ما تعلق بالدين ووصائله وفروعه وأصوله ومسائله وكتب له بخط يده[3].

3-6- **تلامذته:**تخرج على يده الكثير منهم:

*الإمام المجتهد محمد بن علي السنوسي الكبير.

*الأمير عبد القادر الجزائري[4].

4-6- **مؤلفاته:**لديه عدة تآليف التي اعتمد فيها على الحفظ والنقل والرواية، فذكر عن

---

[1]-محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 46.

[2]-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص ص209، 210.

[3]-محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 50.

[4]-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 208.

نفسه أن مؤلفاته بلغت 63 كتابا، ونسب إليه 137 مصنفا في مختلف الأغراض، منها الكبير والصغير وتأليف وشرح وتعليق وتلخيص، فمنها ما نشر ومنها مازال محفوظا ومنها ما يعتبر في حكم المفقود، مثل "أخبار ملوك الترك والروم وملوك فرنسا" و"أنساب الجن" ومنها ما نسب إليه خطأ، مثل "أقوال التأسيس بما وقع وسيقع للفرنسيس".

وذكر أبو حامد المشرفي أن:"تآليف شيخه أبي راس الناصر أوشكت أن تزيد على عدد أيامه...، فقد ألف في سائر الفنون، فهو أشبه بأسد بن الفرات في غزارة علمه وإطلاعه على المذهب المالكي..."، وقال عنه ابن سحنون الذي تتلمذ عليه بأنه:"متقن لجميع العلوم عارف بالمذاهب الأربعة، لا يسأل عن مسألة إلا ويجيب عنها بداهة كأنها حاضرة بين شفتيه..."[1].

وحسب تلميذه أبي حامد المشرفي في كتابه:"ذخيرة الأواخر والأول"، إن كتب أبي راس تزيد عن الخمسين، وأما حسب القائمة الموجودة في مؤلفه:"فتح الإله ومنته"، فهي 63 وفي مخطوط لأبي راس:"شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله علينا من تأليف" حمل 136 عنوانا[2]، وكانت تلك المؤلفات في سائر الفنون والأسانيد والمذاهب والأصول والأدب والتاريخ والأنساب والتوحيد والمنطق والتصوف واللغة والبيان وغيرها ومنها:

***في القرآن الكريم**: مجمع البحرين ومطلع البدرين بالتفريد في تفسير القرءان المجيد في أربعة أسفار، في كل سفر خمسة عشر حزبا باشتهار.

***في الحديث**:الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات[3].

***في الفقه والأصول**:حاشية عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخرشي(في ستة أسفار)، تشنيف الأسماع في مسائل الإجماع.

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص ص461، 462.

[2]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 79.

[3]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، المرجع السابق، ص ص236 ، 237.

***في علم الكلام والتوحيد**:كفاية المعتقد ونكاية المنتقد(وهو شرح العقائد الكبرى للإمام محمد بن يوسف السنوسي)، أنوار البرجيس بشرح عقيدة الجمان النفيس لأبي زيد عبد الرحمن التجيبي[1].

***في المذاهب**:رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، اللؤلؤ المنتشر في المذاهب الثماني عشر[2].

***في التصوف**:الزهر الأتم في شرح الحكم أو فتح الإله في التوصل إلى شرح حكم لابن عطاء الله، الحاوي لنبذ التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي.

***في النحو واللغة**:الدرة اليتيمة وضياء القابوس على كتاب القاموس.

***في الأدب**:شرحان على مقامات الحريري والبشائر والإسعاد في شرح بانت سعاد.

***في علم البيان والمنطق**:نيل الأماني على مختصر سعد الدين التفتزاني والقول المسلم في شرح السلم[3].

***في العروض والقوافي**:شرح مشكاة الأنوار التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار[4].

***في التاريخ، عديدة منها**:زهر الشماريخ في علم التاريخ:يحتوي على بحوث في أصول السلالات البشرية وأنساب القبائل أو الأسر، درء الشقاوة في حروب درقاوة، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية وشروحها، الغرض المعرب عن الأمر المغرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب، وفتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته أو عدتي ونحلتي في تعداد رحلتي وما رواه الواعون في أخبار الطاعون وعجائب الأسفار ولطائف الأخبار:يُعتبر هذا الكتاب من أهم ما كتبه أبو راس الناصر، وهو شرح لقصيدته السينية الطويلة التي تبلغ 118 بيتا، المعروفة ب:"نفيسة الجمان في فتح وهران على يد المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان باشا"، والتي وضعها عندما كان عائدا من الحج

---

[1]-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص ص210-212.

[2]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، المرجع السابق، ص 238.

[3]-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص ص210-212.

[4]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، المرجع السابق، ص 240.

وبلغته الأخبار-وهو بجربة-بمحاصرة وهران ومهاجمة محمد الكبير لحصونها كما جاء في أحد أبياتها:

أَخْبَارٌ طَارَتْ فِي الأَرْضِ قَاطِبَةٌ لاَقَيْنَا فِي "أَمرُوجَاتٍ"مِنْ وَرَاءِ قَابِسِ[1]

6-5- **وفاته:**توفي أبو راس الناصر يوم الأربعاء 15 شعبان 1238هـ/27 أفريل 1822م

وقد جاوز التسعين سنة من عمره، صلى عليه تلميذه أحمد الدايج، ودفن بعقبة بابا علي من المعسكر فنسبت له تلك العقبة، وتقام على ضريحه قبة[2].

7- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري(ت 1239هـ/1823م):

7-1- **حياته وتعليمه:**هو محمد بن عبد السلام بن محمد الكبير بن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي التامكروتي، ولد بتامكروت بالمغرب الأقصى سنة 1145هـ/1732م[3]، الإمام الصالح الشهير، حيث ذاع صيته في المغرب والمشرق، كان عالما نحويا لغويا مؤرخا[4].

حفظ القرآن الكريم على يد عمه شيخ الجماعة أبي يعقوب يوسف بن محمد الكبير وهو آخر كبار شيوخ الطريقة الشاذلية، والزاوية الناصرية التي تلقى بها تعليمه الأول واستفاد من مشايخها وخزانتها، فهو ينتمي إليها، وتعتبر من أهم الزوايا التي لعبت دورا كبيرا في المحافظة على الثقافة الإسلامية بالرغم من الاضطرابات التي عرفها المغرب أثناء سقوط الدولة السعدية وقيام الدولة العلوية، ومنذ تأسيسها على يد الشيخ محمد بن ناصر وهي مقصد للزيارة والعلم.

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص ص462، 463.

[2]-الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 349.

[3]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، تح:المهدي الغالي، دار أبي رقراق، ط 1، المملكة المغربية، 2013، ص 10.

[4]-محمد بن الطيب القادري، موسوعة أعلام المغرب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عش والثاني، ج 5، المصدر السابق، ص 1960.

انتقل الناصري إلى فاس سنة 1170هـ/1757م، أين أخذ من شيوخها المشاهير أمثال:الشيخ محمد بن قاسم جسوس والشيخ إدريس العراقي والشيخ محمد التاودي بن سودة، ثم رحل إلى المشرق مرتين لأداء فريضة الحج[1]، له الرحلة الناصرية الكبرى التي دوَن فيها أخبار رحلته الحجازية الأولى سنة 1196هـ/1782م، وله الرحلة الحجازية الصغرى دونها عن حجته سنة 1211هـ/1797م، ضمَنها الكثير من الفوائد العلمية والتاريخية والأدبية[2].

7-2- أقوال العلماء فيه:

*قال فيه عبد الحي الكتاني:"بأنه حافظ صقعه، وأنه لم يكن في تلاميذ العراق أشهر منه وأكبر سعة، وكثرة رواية، وعلو إسناد، وطول بحث وتنقيب"[3]، واعتبره نادرة المغرب وأعلم علماء البيت الناصري بالفقه والحديث، وأوسعهم رواية، وأجسرهم قلما، وأعلاهم إسنادا.

*وقال عنه أحمد بن خالد الناصري:"كان علامة أديبا فقيها محدثا حافظا فاضلا، لم يأت بعد الشيخين في آل ناصر من هو أعلم منه".

*واعتبره حمد الجاسر مجتهدا في عصر طغى فيه الجمود الفكري، وانتشرت البدع والخرافات.

7-3- **منزلته:**كانت للناصري منزلة عالية عند السلطان مولاي سليمان، بحيث كان يكلفه الناس الدخول على السلطان فيسعفهم على كبر سنه، فيأتي من درعة إلى مراكش وسوس في قضاء حوائج المسلمين، وكان إذا حج أرسل معه السلطان أموالا لتوزيعها على العلماء والشرفاء(الأشراف)[4].

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص ص9، 10.

[2]-عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 458.

[3]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 11.

[4]-المصدر نفسه، ص 11.



حظي بمكانة اجتماعية مرموقة، فهو ينتمي إلى أسرة لها باع في المغرب الأقصى في القرن السابع عشر، مما شكل جزء من شخصيته خاصة في طريقة تفكيره التي ينظر بها إلى الأشياء[1]، كشغفه بالكتب فلا يبالي بالتعب، فيقول:"ولقد كنت في وجهتي للحرمين مرتين، ولا حرمنا الله من العود، أبحث كل البحث عن الكتب بالحرمين ومصر وطرابلس وتونس..."، فكان يتردد على أسواقها بحثا عن الكتب النفيسة، وكلما وقف على كتاب، إلا ودعا الله أن يمن على خزانة تامكروت بمثل تلك الكتب، فقد كان كثير الاهتمام والاعتناء بها، وحريص على اقتنائها، حتى اعتبر عدم العناية بالكتب من البدع التي أحدثت بالزاوية الناصرية، ويقول في ضياع الكتب وجهلها هناك:"...حتى إن طُلب منهم الآن كتاب لا يعرفون أهو في خزانتهم أم لا..."[2].

4-7- **شيوخه:**تتلمذ محمد بن عبد السلام الناصري على يد العديد من الشيوخ من المغرب ومن المشرق، منهم:

أ-من المغرب:

*والده عبد السلام بن محمد الكبير بن الشيخ محمد بناصر.

*عمه أبي يعقوب يوسف بن محمد الكبير بن الشيخ محمد بناصر.

*أبو العباس أحمد بن علي سبط الشيخ بن ناصر.

*محمد بن أبي القاسم السجلماسي الرباطي.

*محمد بن أحمد الحضيكي[3].

ب-من المشرق:

*الحافظ محمد مرتضى بن محمد الحسيني العلوي الزبيدي العراقي.

1-مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 187.

2-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 12.

3-المصدر نفسه، ص 13.

*محمد بن محمد الجوهري الخالدي الشافعي الخلوتي محشي الجلالين[1].

*محمد بن محمد بن عبد الله المغربي المالكي.

*علي بن محمد الشرواني.

*محمد بن خالد بن أبي بكر الجعفري وغيرهم.

7-5- تلامذته:

*ابنه أبو عبد الله محمد المدني بن عبد السلام الناصري الدرعي.

*محمد بن محمد التهامي الرباطي.

*محمد بن علي السوسي.

*أحمد بن علوي باحسن الشهير بجمل الليل.

*محمد بن قدور الورهوني وغيرهم.

7-6- **مؤلفاته:**ترك محمد بن عبد السلام الناصري تراثا علميا واسعا تمثل في:

*"الرحلة الناصرية الكبرى":تأتي في مقدمة مؤلفاته التي تعد أشملها وأوسعها.

*"الرحلة الناصرية الصغرى":وصف فيها مسيره لقضاء فريضة الحج للمرة الثانية سنة 1211هـ/1796م[2].

*"المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا":تحدث فيه عن البدع التي أحدثت بالزاوية الناصرية، وعددها ستون، مخافة لما جرت عليه الأمور أيام شيوخ الزاوية الثقات الأوائل الذين ما حادوا عن نهج السلف الصالح، ويشتمل في نفس الوقت على انتقاد شيخ الزاوية ابن عمه أبي الحسن علي بن يوسف.

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 13.

[2]-المصدر نفسه، ص 14.

*شرح الأربعين حديثا في ترك الظلم:شرحها بطلب من جامعها محمد الجوهري لما لقيه في رحلته للمشرق، أوله:"نحمدك يا من خضعت له أعناق الجبابرة وعنت له وجوه الأكاسرة..."، وآخره:بخط شارحه الإمام القدوة محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي...، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فرغ من تأليفه سنة 1200هـ/1786م.

*"قطع الوتين من المارق في الدين" أو "الصارم البتار فيمن أفتى ببيع الأحرار":فرغ منه عام 1208هـ/1794م، أجاب به من استفسره في جواز بيع الإنسان أولاده في زمن المجاعة التي حلت بالمغرب سنة 1208هـ/1793م، ورد فيه على من أفتى بجواز ذلك[1].

*"المستصفى في حلية السكر المصفى":بيّن فيه حكم شرب السكر وتاريخ صنعه، وحكم طعام الكفار، كما رد فيه على من ذهب إلى تحريم السكر المستورد من بلاد غير إسلامية فرغ من تأليفه سنة 1229هـ/1814م.

*"الدر النفيس في تفسير القرءان بالتنكيس"(التنكيس:قراءة القرءان على غير ترتيب المصحف صاعد من أسفل إلى أعلى).

*مناقب الأولياء.

هذا بالإضافة إلى مصنفات أخرى، ومجموعة من التقاييد والإجازات التي تضم إجازات لتلامذته وإجازات شيوخه المشارقة والمغاربة، وبعض من رسائله، وحتى أشعاره، وأغلب آثاره ما تزال مخطوطة[2].كما أنه أنشأ مكتبة مهمة عرفت ب:"دار الكتب الناصرية"، بذل بن ناصر مجهودا بالغا في جمع كتبها عن طريق الاستنساخ والاقتناء، فكانت من أغنى المكتبات المغربية وأكثرها استقطابا للطلبة[3].

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق ، ص 15.

[2]-المصدر نفسه، ص 16.

[3]-مصطفى الغاشي، المرجع السابق، ص 185.

7-7- **وفاته:**توفي محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي سنة 1239هـ/1823م[1].

8- عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي:

8-1- **حياته وتعليمه**:هو عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي نسبة إلى مجاجة التي نشأ بها، وذلك استنادا على قوله في الأبيات 465، 466، 469:

وَنَظَّمَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَعْتُهُ وَلاِبْنِ الخَرُوبِ جَدُّهُ بِهِ يُنْعَتُ

وَأَمَّا أَبُوهُ فَهُوَ يُسَمَّى مُحَمَّداً فَيُعْطِيهِ رَبِّي رَحْمَةً بَعْدَ رَحْمَةٍ

مَجَّاجِيُ الأَصْلِ ثَمَّ دَاراً وَنَشْأَةً وَرَبِّي إَلَهِ العَرْشِ يُدْخِلْهُ جَنَّةَ[2]

وحسب كتاب:"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" فهو أحد أحفاد أحمد بن القاضي أمير جبل كوكو بالقبائل[3].

تفقه بمجاجة على يد الشيخ سيدي محمد بن علي ثم رحل إلى تلمسان، وأخذ عن علمائها ثم رحل إلى فاس[4]، وتميز بمعرفته لعلم التصوف لدى بعض العلماء بالإسكندرية مثل عامر الفوال وأبي عمر الصامت، تحدث عن المزارات، وقرأ لبعض الكتب في مقامات الأولياء مثل دلائل الخيرات بمقام أحمد زروق، وكان كثير المدح لعائلة محمد بن علي أبهلول المجاجي متأثرا ببيئته الصوفية.

إلى جانب معرفته لعلم التاريخ والفلك كوصفه للأهرام المصرية مع تاريخ بنائها وما يرويه أهل تلك الفترة عنها، ووثق ذلك عن كتاب أبي العباس المقري وشهاب الدين

1-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 14.

2-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 224.

3-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 222.

4-أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص 215.

الإبشيهي من كتابه:"المستطرف في كل فن مستظرف"، كما تكلم عن عقبة بن نافع الفهري[1]، وبطولاته في فتحه لبلاد المغرب[2].

وقد نظم المجاجي رحلته من موطنه مجاجة إلى مكة المكرمة في قصيدة فصيحة عام 1063هـ/1652م[3]، وذكره المؤلف في البيت الأخير رقم 470:

مِنَ الحَادِي عَشَرَ بَعْدَ سِتِّينَ عُدَّةً[4] بِتَارِيخِ عَامِ ثَالِثٍ لِوُقُوفِنَا

التقى المجاجي بالشيخ علي الأجهوري(ت 1066هـ/1655م) بمصر، وزار قبر أبي العباس أحمد المرسي وابن الحاجب، وحج معه أبو الحسن بن ناجي صاحب الخنقة[5].

2-8- **شيوخه:**ذكر المجاجي شيخا من شيوخه أثناء رحلته وهو:

*أبو القاسم الصالح:من مدينة مقرة الذي تتلمذ على يده في صغره، فقد ذكره في قصيدته أثناء رحلة عودته من الحج عندما أكرمه شيخه بالضيافة بحيث يقول:

وَشَيْخُنَا أَبُو القَّاسِمِ الصَّالِحُ الَّذِي قَرَأْنَا عَلَيْهِ فِي السِّنِينِ القَدِيمَةِ

لاَقَانَا بِتِلْكَ الأَرْضِ وَهِيَ بِلاَدُهُ وَأَبْذَلَ لَنَا جُهْدَهُ فِي الضِّيَافَةِ

وهناك آخرون من المغرب مثل عائلة الشيخ محمد بن علي أبهلول، ومنهم:

*الشيخ أبي الحسن علي وأخوه عبد القادر الجيلالي وأحفاد محمد بن علي وأعمامهم أبو علي والسيدة عودة.

أما من المشرق فأخذ عن علي الأجهوري من فقهاء المالكية بمصر وأبي سلطان بن سلامة المزاحي[6].

---

[1]-عقبة بن نافع الفهري(ق هـ-63هـ/621-683م):ابن عبد القيس الأموي الفهري، فاتح عظيم، مؤسس مدينة القيروان سنة 50هـ، يتصل نسبه بعمرو بن العاص من ناحية أمه، وإلى هذه القرابة يرجع الفضل في قيادته لجيوش الفتح بالمغرب، إذ كان عمرو يقدره ويثق فيه، قاد حملة كبرى أثخن خلالها في البربر حتى بلغ المحيط غربا، استشهد في تهودة(الزاب)بعد أن تقدمته العساكر إلى القيروان، وبقي في عدد قليل، فطمع به البربر والفرنج، فأطبقوا عليه، فقتلوه يُنظر:أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، المصدر السابق، ص 159.

[2]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 22.

[3]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 388.

[4]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 224.

[5]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 388.

[6]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 23.

8-3- **مؤلفاته:**مؤلفاته عديدة منها:

*كتاب التبريج في أحكام المغارسة.

*التصيير والتوليج المغفولات لابن الحاجب والشيخ خليل[1].

*نظم بعض الأبيات، والقصيدة الخاصة برحلته جاءت مقاربة للنثر في أغلبها.

واهتم بفن الشعر حيث حبس مجموعة من القصائد التي نسخها بنفسه بالمسجد النبوي مثل:

*دلائل الخيرات لأبي عبد الله الجزولي.

*قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة بالبردة لشرف الدين البوصيري.

*قصائد في مدح النبي عليه الصلاة والسلام للأكحل بن عبد الله الخلوفي.

*في السيرة النبوية الشريفة:كتاب الشمائل النبوية للترمذي وشفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي.

*كما اهتم بنسخ الكتب كالمصحف الشريف الذي تركه حبيسا بالمسجد النبوي مع مؤلفات أخرى، كما دل على ذلك البيت التالي من قصيدته:

وَحَبَسْتُ مَجْمُوعًا عَظِيمًا بِخَطِّنَا تَوَالِفُهُ تُرَى عَلَى العَدِّ كَثْرَةٌ[2]

*ومن آثاره كذلك:"حاشيـة" على "جمع النهـاية" لعبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأندلسي (ت695هـ/1295م)، والذي اختصر به صحيح البخاري، ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة[3].

8-4- **وفاته:**لم يُذكر له أي تاريخ لوفاته.

ثانيا- الوضع العام في الجزائر خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م:

عاشت الجزائر أوضاعا سياسية تأرجحت بين الاستقرار والاضطراب، فالخطر الاسباني الذي تعرضت له السواحل الجزائرية بسبب موقعها الاستراتيجي من جهة والحملة الشرسة على الأندلسيين الذين وجدوا الأراضي الجزائرية ملاذا لهم من جهة أخرى، حيث دام هذا الاحتلال ما يقارب الثلاثة قرون، وقد كان له أثر سلبي بـالغ على الجوانب

1-أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص 215.

2-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 23.

3-عادل نويهض، المرجع السابق، ص 286.

الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية، إلى أن أصبحت إيالة عثمانية بعدما استنجدت بها بصفتها الدولة الإسلامية القوية أنذاك.

1- أهمية موقع الجزائر:

تتمتع الجزائر بموقعها الجغرافي الاستراتيجي الهام حيث تطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة والدول المشكلة لعالمه من جهة أخرى، وتمثل بذلك كتابا مفتوحا للباحثين والجغرافيين كما تعد همزة وصل بين هذه الدول .

تقع الجزائر في شمال إفريقيا، ويحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط[1]، ذلك الموقع مثل مسرحا للحملات الأوربية المتكررة ومهدا للتنافس التجاري[2]، غير أنه شكل خطرا عليها وكبدها خسائر مادية وبشرية كثيرة، انعكست سلبا على التنمية والاستقرار الداخلي[3]، أما من الناحية الشرقية والغربية فإن جوارها مع تونس والمغرب الأقصى[4] أدى إلى نشوب مشاكل في الحدود بسبب غياب الفواصل الجغرافية الطبيعية والبحرية[5]، فقد توترت العلاقات بين الجزائر وتونس التي تدخلت في شؤون الشرق الجزائري حيث شجعت باياته[6]

---

[1]-Thomas Shaw, Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique etc., de cet état, traduit de l'anglais par J. Mac Carthy, Paris, France, 1830, p 8.

[2]-أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246 ه/1519-1830 م، دار الكتاب العربي، ط 1، الجزائر، 2009، ص 17.

[3]-Adrien Berbrugger: « les frontières de l'Algérie », Revue Africaine, volume 4, Alger, 1859-60, p 401.

[4]-Thomas Shaw, op.cit, p 8.

[5]-Adrien Berbrugger: « les frontières de l'Algérie », op.cit, p 401.

[6]-البايات:جمع الباي أو بك ،وهو مصطلح تركي يطلق على كبار القادة والكاف هنا تلفظ ياء وقد اعتمده العثمانيون كلقب لحاكم الولاية أو المقاطعة ولم يشع هذا المصطلح إلا بعد سيطرة الأتراك العثمانيين على البلاد العربية، وهو من الألقاب التركية القديمة التي كانت شائعة لدى الأتراك قبل إسلامهم، ومنها أشتقت بكلربكي أو بيلرباي أي أمير الأمراء، وكان يرأس مجموعة من الولايات.يُنظر:محمود عامر:"المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، 356-381، مجلة دراسات تاريخية، ع 117 و118، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، 2012، ص 369. وسهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000، ص ص63، 64.

على التمرد، لكن العلاقات تحسنت بإبرام معاهدة صلح عام 1038هـ/1628م[1]، وبذلك أصبح وادي سيرت حدا معترفا به بين تونس والجزائر[2]، وهو ما حدث كذلك مع المغرب الأقصى الذي أراد التوسع شرقا، وذلك في عهد الحكم العلوي الذي اقتنع بضرورة ضم الجهات الغربية من الجزائر[3]، حيث أراد الأمير العلوي مولاي محمد بن الشريف التوسع وتحقيق مشروع المغرب التوسعي لتأسيس الدولة العلوية بعد أن دخل نواحي بني سناسن[4] ندرومة، تلمسان(1060هـ/1650م)، الأغواط، عين ماضي، الغسول[5](1061هـ/1650م)[6] وهو ما طرح مسألة رسم الحدود بين البلدين[7]، وتحسنت العلاقة بين الجزائر والمغرب في بداية القرن 12هـ/18م بعد فشل غارات مولاي إسماعيل على الغرب الجزائري سنوات 1089-1098-1104هـ/1678-1686-1692م[8] .

وقد عمل العثمانيون على ضم المغرب الأقصى ومد يد الحكم إليه بعدما ثبتوا حكمهم في تلمسان[9]، وهو ما ظهر من خلال ما قام به الباي محمد الكبير الذي اكتسح التراب المغربي

---

[1]-عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني(1519-1830)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2015-2016، ص 78.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2014، ص 40.

[3]-عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية...، المرجع السابق، ص 78.

[4]-بنو سناسن:ذكرها الوزان باسم جبل بني يزناسن الذي يقع على بعد نحو خمسين ميلا غربي تلمسان، ويتاخم من جهة قفر كرط، وقفر أنكاد من جهة أخرى ،ممتدا على طول خمسة وعشرين ميلا، وعلى عرض نحو خمسة عشر ميلا، وهو شديد الوعورة والارتفاع، صعب المسالك، تكسوه غابات كثيرة تنتج كمية وافرة من الخروب الذي يعتبر الغذاء الرئيسي للسكان، إذ ليس لهم سوى القليل من الشعير، ويضم هذا الجبل مداشر عديدة يسكنها قوم ذو بأس شديد.يُنظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 43.

[5]-الغاسول(أو الغسول):يبعد 45 كلم جنوب البيض، وهي كلمة عربية تعني نوعا من الصابون المستعمل من طرف السكان، فيه عين وافرة المياه، يفيد كمخزن للأغواط كسال وخاصة أولاد مومن، جد سكان الغاسول هو سيدي علي بوسعيد، عقب وفاته انتشر أبناؤه عبر البقاع، أصبحوا يعرفون ببني زروال كتسمية مشتركة بينهم، من بين معالمه التاريخية القديمة:قبة وضريح سيدي علي بوسعيد وهو الولي الصالح للقصر.يُنظر:خليفة بن عمارة، تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى عين الصفراء، المشرية، البيض، النعامة، من الأصول إلى غاية حرب التحرير، تر بوداود عميَر، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، 2013، ص 153.

[6]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص40، 41.

[7]-عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية...، المرجع السابق، ص 78.

[8]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية ...، المرجع السابق، ص 36.

[9]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 22.

محتلا مدينة وجدة متجها نحو جبال الريف بالمغرب قبل إبرام السلام مع مولاي يزيد (1789-1793م)[1].

في الوقت الذي شهدت فيه الحدود الجنوبية – المتمثلة في الصحراء[2]- استقرارا[3] كما لعبت دورا كبيرا في تحسين العلاقات مع دول الجنوب[4] .

تنوعت تضاريس الجزائر، بحيث نجد فيها الجبال والسهول والهضاب والصحراء والواحات[5]، مما أثر بشكل مباشر على توزيع السكان ونشاطهم الاقتصادي، فمنهم من يتمركز في السهول، وهناك من يقطن في الجبال مثل جبال الأوراس الذي يحمي استقلاليتها من الحكم العثماني، بينما ساعدت الظروف السائدة في الجنوب القبائل على الامتناع من دفع الضرائب وعدم الخضوع للسلطة العثمانية، كما ساعدتهم مساحته الشاسعة على ممارسة أنشطة مختلفة، كالرعي إلا أنها كانت تعاني مقابل ذلك من ندرة المياه وقلة الأراضي الزراعية مما أحدث صراعا بين مختلف القبائل.

أما بالنسبة للمناخ، فقد تعدد في الجزائر حيث نجد الاختلاف من منطقة إلى أخرى فمثلا غزارة الأمطار وتغير منسوبها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب ويعود ذلك لتنوع التضاريس في الجزائر[6].

---

[1]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 م، دار هومة، الجزائر، 2016، ص 282.

[2]-الصحراء:تمثل هذه المنطقة الواقعة في داخل البلاد مصدر ثروات أيالة الجزائر وأساس كيانها السياسي، كما تشكل بمفردها أكبر جزء تعتمد الأيالة كل الاعتماد على سكانه.يُنظر:حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تح محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص 46.

[3]-Thomas Shaw, op.cit, p 8.

[4]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 16.

[5]-Thomas Shaw, op.cit, pp 8, 9.

[6]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص27-30.

2- الوضع السياسي:

بعدما اشتد الخطر الاسباني البرتغالي على المغرب الإسلامي بهدف احتلاله، طلبت الجزائر الاستنجاد بالعثمانيين[1]، وبالضبط بالإخوة بربروس[2]، فأصبحت بذلك تحت الحكم العثماني الذي عرف أربع مراحل، كانت بدايتها[3] مع أول حاكم حمل لقب بيلرباي[4] بداية من 926هـ/1519م، وتميزت هذه المرحلة بقيادتهم للأسطول والجيوش البرية، كما التف حولهم السكان في المناطق الساحلية التي كانت عرضة للخطر الأوربي[5].

وتلته مراحل الحكم الأخرى التي تمثلت في عصر الباشاوات[6] من 995هـ/1587م-1069هـ/1659م[7]، ويدوم حكم الباشا ثلاث سنوات، وهو ما يجعله يصب اهتمامه على جمع الأموال فقط[8]، فأثر ذلك التفكير سلبا على الوضع السياسي فكثرت الاضطرابات الداخلية وتمردت قبائل كثيرة[9] خاصة بالمناطق الشرقية والوسطى، ونذكر على سبيل المثال

---

[1]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 24.

[2]-الإخوة بربروس:أبرزهما الأخوان من جزر أرخبيل باليونان عروج وخير الدين، ولد عروج(أوروج)سنة 878هـ/1473م أو 869هـ/1464م وأخوه خير الدين ولد بعده بسنة، أبوهما يعقوب صاحب مهنة صنع الفخار وهو من الجنود الفاتحين، نشأ عروج نشأ بحرية وأحب الانتقام من القراصنة البحريين الأجانب ونزل هو وأخوه ميدان الكفاح البحري بالبحر الأبيض المتوسط وربطا علاقة مع السلطان سليم الأول وخدما السلطة العثمانية التي أمدتهما بالسلاح والمراكب وتوليا محاربة القراصنة الأوربيين في عرضه، واشتهر عروج بلقب بربروس، وخير الدين بلقب بربروس الثاني.يُنظر:عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، دار الأمة، الجزائر، 2014، ص 34.

[3]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 25.

[4]-بيلرباي:أو بيكلربكي، وهو أمير أمراء"الرتبة الثانية من رتب الباشوية"، وتلفظ بيلربي لأن الكاف الفارسية ياء.يُنظر:محمود عامر، المرجع السابق، ص 371.

[5]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص33، 34.

[6]-الباشاوات:جمع باشا ومعناها قدم الملك أو الشاه ثم صار معناها مستخدما، واستعملت بعد ذلك كلقب لحكام الولايات، وأخيرا أصبحت أعلى لقب تشريفي في الدولة، وهو لقب عثماني أطلق على رتب متعددة عسكرية ومدنية.يُنظر:سهيل صابان، المرجع السابق، ص 52.

[7]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 25.

[8]-مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 4، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص 137.

[9]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص36، 37.

تمردات النواحي التالية:منطقة حمزة[1] والساحل(1009-1012هـ/1601-1603م)، بالإضافة إلى تمردات الأحلاف القبلية بقسنطينة[2] وبسكرة[3] وغيرهما[4]، وهو ما أضعف حكمهم الذي استغله الانكشاريون[5] فحكموا البلاد باسم الآغا[6]، فبدأت مرحلة الآغاوات 1070-1082هـ/1659-1671م، وقد تناوب على هذه المرحلة أربع آغاوات[7]، وعقبتها مرحلة الدايات[8] وذلك في الفترة الممتدة بين 1081-1246هـ/1671-1830م، وقد شهدت مرحلة

[1]-منطقة حمزة:من المدن النموذجية للمدينة الإمارة يذكر البكري أنها بنيت على يد حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويصفها أنها ذات سور وخندق وبها آبار عذبة، ويقول المقدسي أن بناءها من طوب وماؤها من النهر والأعين، وهي صنهاجية وبها قوة اقتصادية وحضارية.يُنظر:الطاهر طويل، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، ط 1، الجزائر، 2011، ص ص158، 159.

[2]-قسنطينة:مدينة أولية كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن قد أحاطت بها، تخرج من عيون، وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد، قد عقد في أسفله قنطرة على أربع حنايا، ثم بني عليها قنطرة ثانية على الأولى، قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا، ثم بني فوقهن بيت ساوي حافتي الخندق يعبر عليه إلى المدينة، ويظهر الماء في قعر هذا الوادي من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده، ويسمى هذا البيت العبور لأنه معلق في الهواء، ويسكن قسنطينة قبائل شتى من أهل ميلة ونفزاوة وقسطيلية، وهي لقبائل من كتامة، وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة وبينها وبين مرسى سقدة مسيرة يوم.يُنظر:إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص ص191، 192.

[3]-بسكرة:مدينة عريقة في القدم، أسست أيام كان الرومان يحكمون بلاد البربر، وخربت بعد ذلك، ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا، وهي الآن عامرة، سكانها فقراء تعاقب على حكمها رؤساء كثيرون، فثارت المدينة بإيعاز من إمامها الذي نصب نفسه أميرا عليها، ولم يستطع مللك تونس استرجاعها، تُنعت بباب الصحراء، وعروس الزيبان تقيم بها حامية إنكشارية، وتعرف بإنتاجها الوفير من التمور.يُنظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص ص138، 139.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، دار البصائر، ط 2، الجزائر، 2013، ص 141.

[5]-الإنكشاريون:تطلق على نوع من الجنود الجديدة، أي مجموعة من فرق المشاة النظاميين، والتي كونها السلطان أورخان العثماني في القرن 14 م.يُنظر:أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، دولة الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية"الجيش الجديد"، دار القاهرة، ط 1، القاهرة، مصر، 2007، ص 23.

[6]-آغا:مصطلح فارسي ويعني السيد، اعتمده الأتراك لدلالات متعددة وخاصة في المجال العسكري.يُنظر:محمود عامر، المرجع السابق، ص 361.

[7]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص37، 38.

[8]-الدايات:جمع الداي، وهو المسؤول عن جهاز الحكم بأيالة الجزائر ويعد الممثل الشرعي للسلطان العثماني ويعرف بالصلاحية المطلقة، يرد اسمه في الوثائق مرادفا للأفندينا والسيد ويدعى في الخطاب بالسلطان وتورده وثائق المحاكم الشرعية(الأمين، الهمام، فخر الملوك، مولانا...الخ)لمكانته الكبيرة.يُنظر:نصر الدين سعيدوني، موظفو الدولة الجزائرية في القرن 19 م، منشورات وزارة الثقافة والسياحة مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1984، ص 10.

حكمهم توالي الحملات الأوربية على السواحل الجزائرية، المتمثلة في الاحتلال الاسباني لوهران والمرسى الكبير الذي دام قرنين ونصف قرن[1] بسبب موقع وهران الاستراتيجي حيث وصفها "بربروجر" (Berbrugger) بأنها تبلغ أهمية كبيرة على الساحل كون المرسى الكبير هو الأفضل وميناؤها هو الأحسن، وهي عبارة عن نقطة هامة للتجارة الإفريقية وباب مفتوح للكثير من الشركات[2]، مما أسفر عن تلك الأطماع والهجمات نتائج وخيمة على سكان الناحية الغربية من الجزائر، حيث وصلت الغارات إلى ناحية سعيدة ومعسكر[3]، فكان الجيش الاسباني خلالها ينهب ويسبي ويقتل إلى درجة إبادة قبائل كاملة، وتراجعت الحياة الاقتصادية وانتقل الناس من سكنى القرى إلى اللجوء نحو الخيام والاستقرار بالجبال خوفا من غدر الفرق العسكرية الاسبانية، وكان النصارى يشنون الغارات على المسلمين إلى أن دخل في طاعتهم بعض القبائل مما قوى من شوكتهم، فتأثرت الحياة العلمية والثقافية بسبب غياب الأمن والاستقرار في ربوع القطاع الوهراني[4]، ولم تقل حدة هذه الغارات الاسبانية إلا بعد الفتح الأول سنة 1708م على يد الباي مصطفى بوشلاغم[5] أول بايات وهران[6]، كما مرت بمرحلتين:

---

[1]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 45.

[2]-Adrien Berbrugger : « Reprise d'Oran par les Espagnols, en 1732 », Revue Africaine, Volume 08, 1864, p 14.

[3]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 43.

[4]-المصدر نفسه، ص 44.

[5]-مصطفى بو شلاغم:أول بايات وهران بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي الذي جمع له في توليته بين الإيالة الشرقية والغربية، تولى بايا على مازونة وتلمسان فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية بتمامها سنة 1098هـ/1686م ونقل كرسي المملكة من مازونة وتلمسان معا للقلعة، ثم للمعسكر، وجعلها قاعدته لكونها وسطا بين مازونة وتلمسان، فتح وهران سنة 1119هـ/1708م ونقل كرسي المملكة من المعسكر لوهران، توفي سنة 1146هـ/1734م.يُنظر:الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص ص275، 276.

[6]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 45.

المرحلةالأولى: 1082-1220هـ/1671-1805م: عرفت انجـازا كبيرا تمثل في تحرير مدينة وهران[1] عام 1792م[2]، وكان آنذاك الأعراب والقبائل والباي أشد تحمس لتحريرها فتحقق لهم ذلك[3].

المرحلة الثانية: 1220-1246هـ/1805-1830م: تميزت باضطرابات سياسية، فتدهورت الحياة السياسية والعسكرية، وكان ذلك بمثابة نهاية حكم العثمانيين[4].

وقد تميزت سياسة الحكام الأتراك العثمانيين بعدم التدخل في شؤون السكان، واعتمدت على شيوخهم فقط، حيث يقدم هؤلاء ما يفرضه البايلك على السكان من ضرائب وغيرها ومنذ القرن11هـ/17م انتهجت السلطة العثمانية سياسة تعتمد على القوة تهدف إلى مد النفوذ إلى المناطق الداخلية والخاضعة لحكم القبائل فقط[5].

---

[1]-وهران:بينها وبين أرزاو أربعون ميلا، حصينة ذات مياه سائحة، وأرحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع، وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون، وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة، وبني مسفن، وهم من ازداجة، وكونوا من أصحاب القرشي، سنة 290هـ/903م فاستوطنوها سبعة أعوام، وفي سنة 297هـ/909م، زحفت قبائل كثيرة إلى وهران يطالبون أهلها بإسلام بني مسفن إليهم لدماء كانت بينهم، فأبى أهل وهران من إسلامهم إليهم ،فنصبوا عليهم الحرب ،وحاصروهم ،ومنعوهم الماء ثم عاد أهل وهران إليها سنة 298هـ/910م، وبنوها فعادت أحسن مما كانت ثم خربت ثانية، وحرقت، وبعد ذلك رجع إليها الناس، وبنيت من جديد.يُنظر:إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص140، 141.

[2]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 38.

[3]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية....، المرجع السابق، ص 32.

[4]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص38، 39.

[5]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 142.

قُسمت الجزائر إلى أربع بايليكات في العهد العثماني تمثلت في دار السلطان وهي أول نواة للإدارة العثمانية، وضمت مدينة الجزائر[1] ودلس ومليانة[2] والبليدة والقليعة، وعمرها العنصر الأندلسي، ثم بايليك التيطري وعاصمته المدية، ويعتبر أصغرهم مساحة، يحده سهل متيجة ووطن بني سليمان من الشرق وبني جعد وعريب وقيادة سباو ومنطقة حمزة إضافة إلى بايليك الشرق، وعاصمته قسنطينة[3]، أما بايليك الغرب، فقد امتد إليه الحكم العثماني عام 922هـ/1516م، وكانت عاصمته مازونة[4]، ثم معسكر، ثم وهران، ويحده من الغرب وادي ملوية وشرقا بوحلوان وشمالا البحر الأبيض المتوسط، بينما جنوبا يمتد نحو الواحات الصحراوية[5].

لقد عرف الحكام الأتراك العثمانيين كيف يكسبون ود شيوخ الزوايا ورجال الدين ومنذ بداية القرن 12هـ/18م بدؤوا يفكرون في كيفية التوغل داخل البلاد لإيجاد مصادر مالية للخزينة بعدما تراجع الجهاد البحري[6].

[1]-مدينة الجزائر:(جزائر بني مزغنَى)، هي الجزائر العاصمة اليوم، باللهجة المحلية:دزاير، بالبربرية:لزاير تامنايت وتدعى"البهجة"، "المحروسة"وأيضا"البيضاء"، إكوزيوم زمن الإمبراطورية الرومانية، هي عاصمة الجزائر وأكبر مدنها تقع في شمال وسط الجزائر مطلة على البحر الأبيض المتوسط، تعتبر المدينة أكبر مركز اقتصاديا وميناء بحري بالبلاد، الجزائر العاصمة هي أكبر مركز تجاري واقتصادي ومالي في الجزائر ومن الأكبر في العالم العربي وإفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط.يُنظر:أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، المصدر السابق، ص 150.

[2]-مليانة:مدينة كبيرة بالمغرب الأوسط من أعمال بجاية مستندة إلى جبل زكار، وهي كثيرة الخيرات وافرة الغلات، مشهورة بالحسن والطيب وكثرة الأشجار وتدفق المياه، وبقرب المدينة حمامات بنيت على عين حارة عذبة الماء للاستحمام.يُنظر:زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، تح حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2013، ص 241.

[3]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص42، 44.

[4]-مازونة:مدينة بناها الرومان على بعد نحو 40 ميلا من البحر، تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة، وفيها جامع وبعض مساجد أخرى، كانت مدينة متحضرة جدا في القديم، لكنها كثيرا ما تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس تارة ومن قبل الثوار تارة أخرى، وبالتالي من الأعراب، وجميعهم تقريبا فقراء، لأن الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات.يُنظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 36.

[5]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص46، 47.

[6]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص ص146، 147.

3- الحياة الاقتصادية:

إن النشاط الاقتصادي لأي بلد يقوم على عناصر متعددة منها الزراعة والثروة الحيوانية والصناعة والتجارة وغيرها من الخدمات العامة[1]، وهو ما اعتمد عليه المجتمع الجزائري في العهد العثماني حيث شهد تطورا ملحوظا في مجال الصناعة والمهن اليدوية والمبادلات التجارية خاصة بداية القرن 16م والنصف الأول من القرن 17م بعد قدوم عدد كبير من مهاجري الأندلس[2] الذين استقروا بالجهات الساحلية واستصلحوا أراضيها وعمروا مدنها وهو ما انعكس إيجابا على واقع الاقتصاد حيث تطور فتعددت المنتوجات المحلية، ونشطت التجارة فازدهر العمران[3] بعدما عانت الجزائر من مستوى معيشي خطير سنوات 1786 1787 و 1788م بسبب وباء الطاعون[4] الذي حصد الكثير من الأرواح(16208ضحية)[5].

وتمثلت المنتوجات الفلاحية في الخضر والفواكه والحبوب والقمح والشعير والعسل[6] وقد ساعد على تنوعها ووفرتها عوامل عديدة كاعتدال المناخ وتنوع الغطاء النباتي، غير أنها أُعتمدت على وسائل بدائية كالمحراث اليدوي[7]، بينما تمثلت المنتوجات الصناعية في النسيج ومعالجة الجلود والخشب والحديد[8]، وكانت تعتمد على الصناعة اليدوية، كما ظهرت صناعات أخرى كالفخار والحدادة، إلى جانب صناعة السفن التي شجع عليها النشاط

---

[1]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 304.

[2]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 38.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 161.

[4]-الطاعون:مرض جرثومي معد ينتشر في شكل وباء، واللفظة من عبارة لاتينية Pestis atra وهي الموت الأسود لأن لفظة باستيس وحدها تعني آفة ولفظة الطاعون في اللغة العربية لا تعني مرضا بذاته إنما يطلق في الغالب على مرض وبائي أصبح مرادفا للوباء .يُنظر:مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر حضرية يوسفي، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص19.

[5]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 55.

[6]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 162.

[7]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 305.

[8]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 162.

البحري[1]، فيتحدث "بربروجر" مثلا عن ثروات وهران المتمثلة في المواشي واللحوم والقمح والسمن والحليب والصوف وأنواع عديدة من الفواكه، كما تحتوي ضواحيها على أشجار الزيتون والتين وبساتين الخضر والكروم[2]، أما المناطق الداخلية فقد اشتهرت بإنتاج المواد الأولية والصناعية المتمثلة في المنسوجات، وساعد في ذلك توفر الكتان والصوف[3]، حيث كانت الأسر الريفية تنتج حاجاتها الضرورية، ولم تقتصر الصناعة اليدوية على الرجال فقط بل لعبت فيها النساء دورا كبيرا[4]، وتمثلت الثروة الحيوانية في أعداد كبير من الغنم والإبل في الجنوب الصحراوي أما البقر والخيول والحمير والبغال فقد كانت تربى في مناطق متفرقة من البلاد[5] التي انتشرت بها الأسواق وكانت مقصد مختلف القوافل من كل حدب وصوب لتسويق منتوجاتها، وتبادل التجارب الفكرية والتجارية، ولم تقتصر التجارة على المستوى الداخلي بل تعدتها إلى خارج الحدود الجزائرية[6].

4- الجانب الاجتماعي:

4-1- تركيبة المجتمع: تنوعت التركيبة الاجتماعية للجزائر العثمانية وفقا لأساليب العيش والعلاقة مع السلطة[7]، حيث شهد المجتمع تنوعا بشريا تمثل في الأندلسيين والعثمانيين والمسيحيين واليهود الذين أثروا في شتى المجالات[8]، إذ اتخذ التنظيم الاجتماعي شكلا هرميا تعتليه الطائفة التركية التي انعزلت عن بقية السكان، وذلك لبسط سيطرتها ونظام سلوكها على المجتمع من جهة، والتحكم في المناصب الحكومية من جهة أخرى، كما

---

[1]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 40.

[2]- Adrien Berbrugger : « Reprise d'Oran par les Espagnols , en 1732 », Op.cit, p 15.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 162.

[4]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 318.

[5]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 39.

[6]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص344، 345.

[7]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 35.

[8]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 148.

واصلوا استقدام فرق من منطقة الأناضول، وهو ما ولد العداوة اتجاههم من طرف فئات المجتمع فساءت علاقتهم مع العرب حيث ابتعد هؤلاء عن خدمة الدولة، والقيام بالتمردات[1].

وقد تمثلت فئات المجتمع المتمركزة في المدن فيما يلي:

4-1-1- العثمانيون: يتشكلون من الجنود الأتراك العثمانيين الذين يستقرون في حصون وثكنات مدينة الجزائر كحصن القصبة وبرج النجمة، ولم يتجاوز عددهم 10 آلاف نسمة[2] ومثلوا السلطة الحاكمة التي مارست كل أنواع الظلم والفساد على بقية السكان خاصة المحليين منهم، وكانوا ينظرون إليهم نظرة استعلاء واحتقار، حيث سادت الرشوة كوسيلة تربطهم بالسكان فيما يتعلق بالترقيات إلى المناصب العليا، وكانت الدنوش[3] مظهرا لذلك[4].

4-1-2- الكراغلة[5]: يمثل الكراغلة أبناء عبيد بالنسبة للعثمانيين مُنعت من المشاركة في الحكم، إذ يقتصر دورهم في المحافظة على مقاليد السلطة بإبعاد السكان المحليين عنها، فقد شهدوا استقرارا في تلمسان ومعسكر ومستغانم وغيرها، ومع نهاية القرن 10هـ/16م بلغ عددهم حوالي ستة آلاف في مدينة الجزائر[6]، وقد ظل في تزايد مستمر إثر المصاهرات الجزائرية التركية[7]، وتكونوا نتيجة التزاوج بين الجند الانكشاري ونساء البلاد.

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830) ويليه قانون أسواق مدينة الجزائر1107-1117هـ/1695-1705م، دار البصائر، ط 3، الجزائر، 2012، ص ص40، 41.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص ص223، 224.

[3]-الدنوش:مصطلح عثماني بمعنى مبالغ نقدية ومواد عينية يأخذها خليفة الباي في فصلي الربيع والخريف إلى الداي وتسمى الدنوش الصغرى، أما الدنوش الكبرى فالباي مطالب بالحضور شخصيا إلى مركز السلطة ومعه مردود مقاطعته مرة كل ثلاث سنوات.يُنظر:المرجع نفسه، ص 135.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 153.

[5]-الكراغلة:مصطلح عثماني يعني مجموعة سكانية تكونت نتيجة التزاوج بين الجند الإنكشاري ونساء البلاد، وتكاثر عددهم حتى بلغوا نهاية القرن 12هـ/18م في مدينة الجزائر حوالي 6000 نسمة.يُنظر:ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، المرجع السابق، ص 41.

[6]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 35.

[7]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص89.

4-1-3- الأعلاج: يطلق مصطلح أعلاج على المسيحيين الذين ارتدوا واعتنقوا الإسلام فيصبح العلج بعد ذلك يتمتع بحقوق الرجل الحر، وانصهروا في المجتمع.

أصبح الأعلاج سادة الغزو البحري والتجارة البحرية، وكانوا يمثلون بالنسبة لسكان المدينة المحليين سلطة مضادة للعنصر التركي.

لقد خدم الأعلاج السياسة العثمانية في الجزائر، وحظوا بنفس المكانة والامتيازات الاجتماعية[1].

4-1-4- الحضر: تشمل فئة الحضر سكان المدن، ورغم دورها الاجتماعي والاقتصادي والعسكري إلا أنها حرمت من التطلع السياسي مما جعلها تعمل على التخلص من الحكم العثماني[2] وتمثلت في الأندلسيين الوافدين على المدن الجزائرية طوال القرنين 10هـ/16م بالإضافة إلى فئات أخرى كالسودانيين، وقد تزايد عددهم بكثرة[3]، وقد تولوا مهام عديدة كالقضاء والتعليم وظهر من بينهم الصناع والتجار والبحارة والعلماء والفقهاء[4].

4-1-5- الفئة البرّانية: هم المتبقون من الفئات السابقة، تمثلت في اليد العاملة لمدينة الجزائر، وهم غير دائمين، تشكلت من:

- **زواوة**[5]: هم العمال القادمين من المنطقة الجبلية المجاورة لمدينة الجزائر.

---

[1]-بن عتو بلبراوات، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2007-2008، ص ص121، 122

[2]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص ص155-157.

[3]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 77.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 232.

[5]-زواوة:أو أزواوة، إحدى جماعات الدخلاء(البرانية)يعرفون عادة بالقبائل، ويعتبرون أكثر جماعات البرانية عددا لقرب موطنهم بجبال زواوة(جرجرة)من مدينة الجزائر، اشتغلوا في أعمال البناء وفي حمل البضائع ووزنها وفي حراسة المنازل والحدادة وأفران الخبز ودكاكين بيع اللحم، واشتغل بعضهم كعمال زراعيين في مزارع فحص مدينة الجزائر.يُنظر:ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، المرجع السابق، ص 132.

وقد سجلت بتونس أعدادا لا بأس بها من الفئة المكونة للمجتمع الجزائري والمتمثلة في قبائل زواوة، التي استخدمها البايات في جندهم، وكان عددهم 10 أو 20 ألف في المجموع بالإضافة إلى عناصر من ورقلة، منها حوالي ألفين كانت تقيم بتونس، وكانوا تحت حكم وكيل داي الجزائر[1].

- **البسكريـون**: هم الذين قدموا من جهـة الصحـراء الشـرقيــة الجزائرية ويتميزون باللـون الأسمــر أو البشــرة الســوداء، من أهل الزاب[2] أو من أهــل تقـــرت[3] ومنـطقـة وادي سوف[4] وغيرها من المناطق.
- **الميزابيون**[5]: وهم الإباضيون[6]، منهم من يعمل عند القناصلة الأجانب.
- **الزنوج**: وهم الذين كانوا يعملون أجراء عند الدولة بعد أن حررهم مالكوهم.

---

[1]-André Raymond, op.cit, p 103.

[2]-الزاب:جمعها الزيبان، تشمل من القرى والواحات:سيدي عقبة، ليشانة، طولقة، العمري، الدوسن، أولاد جلال، سيدي خالد، أوماش، أورلال، برج سعادة، وعدة من القرى الأخرى الصغيرة، تخترقها قنوات الري المحكمة النظام والمتفرعة عن وادي بسكرة والجدي.يُنظر:أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 141.

[3]-توقرت:مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل، مسورة بسور من الطوب والطين، تقع على بعد نحو 500 ميل جنوب البحر المتوسط و 300 ميل من تيكورارين، عامرة بالصناع والنبلاء، كانت خاضعة لملوك مراكش ثم لملوك تلمسان وأخيرا لملك تونس، توجد حولها عدة قصور وقرى وأماكن مأهولة على طول مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة، وكلها خاضعة لأمير تقرت عبد الله.يُنظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص ص135، 136.(ينظر ملحق رقم 01)

[4]-وادي سوف:يقع في الناحية الشرقية، وهو مغنى العلم والعمل والتقوى والصلاح، يجاهد أهله جهادا مستمرا ضد غارة الرمال، ويكافحون في سبيل الحصول على الماء، وتلتئم في هذه الناحية الوثيقة الاتصال الروحي والمادي بناحية الجريد التونسي، مجموعة من القرى والواحات الوادعة الخلابة:الواد، قمار، تاغزوت، كوينين، دبيلة، بهيمة، الزقم، عميش يُنظر:أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص ص141، 142.

[5]-الميزابيون:يشكلون إحدى جماعات الدخلاء المهمة بمدينة الجزائر،ينتسبون إلى موطنهم بالصحراء الجزائرية(وادي ميزاب بمنطقة الشبكة)، ارتبط نشاطهم بمدينة الجزائر في الغهد العثماني بالعمل في الحمامات والمطاحن وأفران الخبز ودكاكين بيع اللحم، أعطيت لهم صلاحيات تشريعية لانتمائهم للمذهب الإباضي، حصل بعضهم على ثروات ساعدت على تدعيم مكانتهم وزيادة نفوذهم.يُنظر:ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، المرجع السابق، ص 50.

[6]-الإباضيون:تأسست الدولة الإباضية في القسم الغربي من الجزائر، أسسها عبد الرحمن بن رستم في منطقة جبلية وعرة متخذا مدينة تاهرت عاصمة لها ،أعلنها سنة 160هـ/776م، اشترط في الإمام أن يكون عادلا منتهى العدل عالما بالإسلام وتعاليمه حق العلم، ولم قُضي على الدولة الإباضية في تاهرت انحاز الإباضيون في الجزائر إلى الجنوب حتى اليوم في أرض ميزاب والواحات مثل بسكرة والأغواط وغرداية وورجلان.يُنظر:شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السودان، دار المعارف، ط 1، القاهرة، مصر، 1995، ص ص30، 31.

- **الأسرى المسيحيون**: الذين يقومون بأعمال يدوية أثناء فترة أسرهم[1].
- **سكان الأرياف**: فمثلوا غالبية سكان أيالة الجزائر بحيث كانت تزيد نسبتهم على

95% من مجموع السكان، ويمكن تصنيفهم كما يلي:

قبائل المخزن: وهم السكان المتعاونون مع السلطة.

قبائل الرعية: وهم السكان الخاضعون.

الأحلاف: وهم السكان المتحالفون.

السكان الممتنعون: يتواجدون في المناطق النائية والجبلية[2].

بالإضافة إلى استعمال المصطلح الرعية الذي يشكل كتلة سكان الحضر.

في التقسيم التقليدي للمجتمع كان بين أهل السيف المكلفون بالحكم وأهل القلم مسؤوليتهم الدين والعلم والرعية، هذه الأخيرة كان لها مهمة النشاطات الاقتصادية من إنتاج وتجارة فقد لعبت دورا مهما داخل المجتمع[3].

سادت التفرقة بين مجتمع المدينة ومجتمع الريف، فكان يأتي الفلاح في آخر القائمة الاجتماعية، ونجح العثمانيون في تدعيم سلطتين في الريف الجزائري الأولى سلطة روحية تحميهم، والثانية دنيوية تتمثل في شيوخ القبائل المُدعمة بالسيف والبرنس والأراضي مستغلين عرق الفلاحين وأهل البادية، فمن لا يدفع الضريبة يصبح مخزنيا[4] أي من ضمن القبيلة التي اصطنعتها السلطة الحاكمة، وأعفتها من الضرائب مقابل خدمة السلطة الحاكمة[5].

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص ص155-157.

[2]-ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ-العهد العثماني-، المرجع السابق، ص 105.

[3]-André Raymond, op.cit, p 88.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص ص155-157.

[5]-محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط 1، دمشق، سوريا، 1969، ص 41.

وأما منطقة الصحراء: التي تمثلها كلٌ من مدن بسكرة وميزاب(موطن الميزابيين) والأغواط وغيرها، فكانت خاضعة لإدارة المشايخ الذين يتقاضون نوعا من الغرامة مقابل حمايتهم لأهالي هذه المدن[1].

إذن كان سكان المدن الكبرى عبارة عن تنوع كبير في تركيبته ، فتشكيلة العناصر العرقيـة والطـائفية واللغوية المكـونة له جعلت منه تبـاينا كبيرا مقارنـة مع سكـان الريـف الذين كانـوا أكثـر تجـانسا[2].

2-4- الوضع الصحي:أما عن الجانب الصحي، فبالنسبة للطاعون فقد وجد بداية القرن 16م بتلمسان، وعندما دخل الأسبان وهران سنة 1509م بدئوا في إنشاء مصحة من أجل علاج المصابين بهذا الوباء، وفي فترة حكم حسن آغا(941-951هـ/1534-1544م ضرب هذا المرض وهران وحصد أرواح عديدة، مما أرغم الأسبان مغادرة المدينة وخيموا خارجها، واستمرت هذه الآفة حوالي ثلاث سنوات، وفي 1552م الفترة الحقيقية التي تفشى فيها الطاعون في الجزائر بحيث صرح بربروجر(Berbrugger) بأنه الأقدم في الجزائر[3] أما في قسنطينة فضربها الطاعون عامي 1602 و1603م[4]، وفي عام 1605م ظهر هذا الوباء بالجزائر من جديد ودام سبعة أشهر، وحصد 700 قتيل في اليوم، وفي 1611م مجاعة رهيبة ضربت الجزائر، وقد تزامن الطاعون مع هذه المجاعة بدون انقطاع؛ من سنة 1620 حتى سنة 1629م، وكان آنذاك عدد النسمة 200 ألف، وتراجع هذا العدد بقوة، وفي 1622م ضرب الطاعون من جديد قسنطينة وأيضا بسكرة[5]، وقد سجل تصاعدا خلال سنوات 1654، 1659، 1660 ، 1663، 1664، 1675م، وهذا الغزو للمرض بدأ من الشرق

---

[1]-حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 45.

[2]-André Raymond, op.cit, p 117.

[3]-Jean Marchika, La peste en Afrique septentrionale Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830, Thèse pour le Doctorat en médecine, Université d'Alger, Faculté mixte de médecine et de pharmacie d'Alger, ALGER, 1927, pp 22-25.

[4]-Eugène Vayssettes, Histoire de CONSTANTINE sous la domination TURQUE de 1517-1837, présentation de Ouarda Siari-Tengour, éditions :Média-Plus, CONSTANTINE, ALGERIE, 2010, p 68.

[5]-Jean Marchika, op.cit., pp 37-41.

نحو الغرب ثم من الغرب نحو الشرق ثم نحو الجنوب[1]، وفي سنة 1718م شاهد "لوجيي دو تاسي"(Laugier de Tassy) سفينة انجليزية حين إرسائها محملة من الإسكندرية أين كان وباء الطاعون أكثر فتكا، ومات قبطان السفينة في الطريق وكذلك التجار الذين كانوا هناك ويضيف بأنه لطالما كنا نخدع أنفسنا في الجزائر لكي لا نتخذ أي احتياط لمنع الطاعون أو الحد من انتشاره، لاعتقادنا أننا نتعارض مع أحكام الله الشرعية والعقيدة والقدر إذا قمنا بذلك الفعل[2].

وأطلق العرب على سنة 1738م اسم:"سنة الطاعون" الذي اجتاح في تلك السنة البلاد وعرفت تلمسان في نفس السنة اضطرابات، أين قضى الطاعون على باي وهران يوسف ولد بوشلاغم[3]، وفي 1758م انتشر الطاعون وتزامن مع الزلازل ثم الصراعات الداخلية والمجاعة ونقص في المياه[4]، أما ما بين سنتي 1778 و 1779م ظهر الطاعون ثم تلاه الجراد، مما تسبب في مجاعة رهيبة في شمال أفريقيا خاصة بوهران[5] التي اجتاحها سنة 1786م، فحصد حينها الكثير من الأرواح ببايلك الغرب، منها معسكر، وفي 1787م عاد الطاعون بقوة للجزائر[6].

من يوم 27 أفريل إلى غاية 14 جوان من سنة 1785م كانت نسبة الموت مرتفعة قدرت ب:8066 ضحية(224 مسيحي، 6748 مسلم، 1093 يهودي)، وقتل الوباء ثلث سكان الجزائر[7]، وتفشى في الجزائر، واجتاح الجراد لسنوات عديدة خلال القرنين 11-12هـ /17-18م، وشكل مرض الطاعون أخطر هذه الأمراض خلال العهد العثماني، مما أثر كثيرا على الوضع الصحي للسكان، والتي ارتبطت بدورها بعوامل أخرى أهمها الزلازل

[1]-Jean Marchika, op.cit., p 49.
[2]-Laugier De Tassy, Histoire du Royaume d'ALGER, 1725, p 125.
[3]-Jean Marchika, op.cit, p 78.
[4]-Ibid, p 106.
[5]-Ibid, p 108.
[6]-Ibid, p 125.
[7]-Ibid, p 136.

والفيضانات والجفاف واجتياح الجراد للأراضي الزراعية، فعرفت ظهور العديد من الأوبئة الفتاكة خاصة الطاعون خلال القرنين11 و12هـ، أهمها سنوات: 1010هـ/1601م و1026هـ/1617م و1141هـ/1728م و1162هـ/1749م و1200هـ/1785م و1207هـ/1793م.

وتحدث بعض الرحالة عن طاعون سنة 1200هـ/1785م الذي ضرب مدينة الجزائر والذي أتى على أكثر من 20 ألف نسمة من سكانها، وذكروا أسباب ظهور هذه الأوبئة التي كانت من بينها توافد التجار والبحارة والحجاج والطلبة من الشرق الأوسط إلى الموانئ الجزائرية، كما يرجع السبب أيضا إلى تردي الأوضاع الاقتصادية، خاصة المجال الزراعي الذي انعكس سلبا على المجالات الأخرى[1].

5- الحركة الثقافية:

يمكن قياس الحياة الفكرية بالمؤشر الثقافي لأي بلد حتى نحكم على مستوى الفرد والمجتمع، لكن لا يمكن لها أن تزدهر إلا إذا استقر الوضع السياسي وساد الأمن وتطور المجتمع[2]، ولقد كانت الجزائر تزخر بمستوى ثقافي كبير قبل أن تصبح أيالة[3] عثمانية حيث كثر علماؤها الذين ألفوا في مختلف العلوم وفروع الأدب وتركوا رصيدا كبيرا من المؤلفات، فلعبوا دورا إيجابيا عظيما في تنشيط الحياة الفكرية في المغرب والمشرق[4].

بالإضافة إلى أن الفضل يعود في ذلك إلى العنصر الأندلسي الذي أثر تأثيرا إيجابيا على الحياة الفكرية خاصة في المناطق الغربية كمازونة ومعسكر وتلمسان حيث شهدت حضورا

---

[1]-سمير مشوشة:"ابن حمادوش الجزائري وأبو راس الناصري يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن18م"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 12، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2015، ص299.

[2]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 43.

[3]-أيالة:أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إداريا إلى أيالات، والأيالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية والأقضية إلى نواح والنواحي إلى قرى، ولقد أشرف على الأيالات في الدولة العثمانية أمير الأمراء ثم الوزراء بعد القرن 16 م، حيث كانوا يمثلون السلطان ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري للأيالة، ولهم النفوذ المطلق عليها ،ما عدا الحالات القضائية.يُنظر:سهيل صابان، المرجع السابق، ص 45.

[4]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص464، 465.

كبيرا لهم، غير أن المناطق الشرقية من البلاد عاشت تدهورا كبيرا على المستوى الثقافي[1] ويعود ذلك الضعف إلى عدم اهتمام الحكام العثمانيين بالتعليم ومراكزه المتمثلة في الجامعات الباعثة على طلب العلم التي بدورها تعمل على تربية العقول وتخريج العلماء[2] فاقتصر الدور على الكتاتيب القرآنية والرباطات والزوايا والمساجد والمدارس[3]، والتي مثلت المؤسسات الرسمية للتعليم أكثر من الدور الثقافي ولعب الوقف دورا في تسييرها[4]، ففي الشرق الجزائري نشير إلى بعض إنجازات الباي هناك حيث أسس جامع سيدي الكتاني ومدرسة على شكل ملحقة التي أنهاها سنة 1189هـ/1775م وبنى في العام الموالي مسجدا آخرا ومدرسة في سنة 1789م بجوار مسجد سيدي لخضر وتم تعيين المعلمين من طرف الحاكم، وكانت تتم مكافئتهم من ميزانية المساجد، وتُدرس بها القواعد والفقه والتفسير والعقيدة وعلوم الحديث، وتحتوي المدرسة على مسجد أو قاعة للصلاة وقسم في آن واحد وخمس غرف، واحدة للمعلم وأربع للطلبة، ومكان للوضوء وغرفة للتخزين، وكل هذا يتبع نظاما داخليا تحت حكم صالح باي[5].

ولعل السبب في إهمال التعليم يعود إلى الانشغال بالجانب السياسي، والعمل على استقراره[6]، كما أثر سقوط دولة الموحدين سلبا وبشكل مباشر على الحياة الثقافية حيث انقسمت إلى ثلاث دويلات متصارعة حول الحكم، فهاجر العلماء الجزائريون إلى الدول المجاورة خاصة المغرب الأقصى، من بين هؤلاء الفقيه المالكي[7] أحمد العقباني[8]، بينما حرص آخرون على السفر والترحال لتبادل المعارف وتنويع المصادر وتوسيع الآفاق العلمية، وكذا ملازمة مشاهير العلماء والشيوخ في مختلف المراكز الثقافية المنتشرة في

---

[1]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 43.

[2]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 40.

[3]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية...، المرجع السابق، ص ص45، 46.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 227.

[5]-Eugène Vayssettes, op.cit, pp 134, 135.

[6]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 40.

[7]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 465.

[8]-أحمد العقباني(ت 980هـ/1571م):أحمد بن محمد بن قاسم العقباني، أبو العباس فقيه مالكي، مشارك في عدة علوم، من أهل تلمسان، وبها نشأ وتعلم، انتقل إلى فاس بالمغرب، وتصدر للتدريس بجامع القرويين، توفي بفاس.يُنظر:عادل نويهض، المرجع السابق، ص 236.

مختلف بقاع العالم الإسلامي، فيحصلون بذلك على إجازات علمية[1] المتمثلة في الإجازات النثرية والمنظومة بين العلماء المسلمين عامة، وما كتبه بعض العلماء الجزائريين البارزين، مثل إجازة الشيخ محمد شقرون بن هبة الله[2] للشيخ محمد بن عسكر[3].

كما انتشرت ظاهرة التصوف[4] الديني، ولعب دورا كبيرا في بسط الحكم العثماني بالجزائر[5].

أما عن النتاج العلمي، فإن أغلب إنتاج الجزائر خلال العهد العثماني يكاد ينحصر في العلوم الشرعية والصوفية والمجالات الأدبية، فنجد القرءان الكريم وعلومه والحديث الشريف الذي يعتبر من أهم العلوم التي ألف فيها الجزائريون في ذلك العهد، أما الفقه فلقد كان الإنتاج فيه يرتكز على المالكي لأن معظم سكان الجزائر يتبعون مذهب الإمام مالك بالإضافة إلى المذهب الحنفي الذي دخل الجزائر منذ مجيء العثمانيين، وأيضا هناك مذهب الإباضية.

وأما في المجالات الأدبية، نجد اللغة والنحو والبيان والعروض والشعر، ولم يهتم الجزائريون في العهد العثماني كثيرا بالتأليف في علوم اللغة عموما، ولكنهم أكثروا

---

[1]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 471.

[2]-محمد شقرون بن هبة الله(ت 983هـ/1575م):الوجديدي، المعروف بشقرون، التلمساني من أكابر فقهاء المالكية، عرف بمالك الصغير في وقته، له مشاركة في علوم المنطق والفرائض والبيان، وُلي الإفتاء بتلمسان، رحل إلى فاس سنة 967هـ/1559م فنال حظوة عظمى عند الغالب بالله السعدي(عبد الله بن محمد) فنصب له كرسيا للتدريس داخل قصره وقلده الفتوى ورئاسة العلم بحضرة مراكش وسائر أقطار المغرب الأقصى، توفي بفاس، له شرح على أرجوزة أبي إسحاق التلمساني في الفرائض.يُنظر:عادل نويهض، المرجع السابق ، ص ص188، 189.

[3]-فوزية لزغم، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 2009، ص378.

[4]-التصوف:علم مدون تعرف به كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس شرعا وعقلا ،وهو العكوف على العبادة والانقطاع لله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه عامة الناس من مال وجاه ومختلف ملذات الحياة، ويفرض الإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.يُنظر:عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830م، دار هومة، الجزائر، 2016، ص 20.

[5]-المرجع نفسه، ص ص74، 75.

الاهتمام بالنحو خاصة[1]، في حين كانت حالة الشعر في العهد العثماني مزدهرة نسبيا، فقد تعددت أغراضه حسب بواعثه الذاتية، الدينية، السياسية، الاجتماعية وغيرها.

وفي مجال التاريخ، فكان لسيطرة ظاهرة التصوف الأثر السلبي حول الاهتمام بعلم التاريخ والسير مما أدى إلى النقص في التأليف في هذا المجال[2]، فيذكر أبو القاسم سعد الله القصور العلمي، ويرجع سببه إلى سيطرة التصوف، والروح الدينية السلبية لأن فن التاريخ والأخبار منسوب عندهم إلى السير العامة، ومتصل بأدب المجون، ويتفق مع الباحث الفرنسي ليفي بروفنصال(Provençal) الذي"اعتبر المغاربة قليلي الاهتمام بالتاريخ لأنهم يعتبرونه من المسائل الدنيوية، وأن الاشتغال به من باب اللهو والعبث"[3]، ولم يكتب الجزائريون في التاريخ العام إلا قليلا، وبالمقابل لهم عدة أعمال في التاريخ المحلي[4] مثلما حدث في شأن احتلال وهران، حيث دفعت ظروف تحريرها الثاني 1792م إلى خلق الروح الحماسية للمثقفين، وللباي محمد الكبير نفسه في بعث الحركة العلمية فاتحا بذلك مجالا هاما للحركة العلمية التأريخية، ويعتبر أبو راس الناصر من المهتمين الذين تصدروا تأريخ هذا الحدث من خلال عدة مؤلفات، والتي تناولت أيضا أخبارا تاريخية أخرى[5]، ويعتبر باي الغرب محمد الكبير من أشهر البايات الذين شجعوا العمل الثقافي الجاد والنهوض به على أكمل وجه بحيث شجع العلماء بمساعدات وأجازهم بأموال، واستفاد أبو راس نفسه من هذا العطاء.

---

[1]-نبيلة شلابي:"الحالة العلمية بالجزائر في العهد العثماني(القرنان الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد)، من خلال رحلة أبي راس المعسكري"فتح الإله ومنته"، مجلة الإحياء، مج 19، ع 23، ص-ص695 -724، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2019، ص ص707-711.

[2]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 321.

[3]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 24.

[4]-نبيلة شلابي، المرجع السابق، ص 713.

[5]-طاهر قاسمي:"كتابات المؤرخين المغاربيين خلال العهد العثماني"، مجلة الإنسان والمجال، ص ص27-63 ، ع 05، المركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر، 2017، ص 36.

كما اهتم بتشجيع حركة النسخ والتأليف، علماً أن حركة النسخ قد شاعت في الجزائر قبل وأثناء العهد العثماني، فقد كان يقتني كتباً صماء، ويأمر باختصار الكتب المطولة ونسخ المخطوطات النادرة، إذ كان يجيز كل واحد منهم بسخاء حسب عمله وجهده[1]. وقد ترك رجال الحواضر الرحالة، وعلى رأسهم الحسين الورثيلاني تراثا ثقافيا جما في القرن 12هـ/18م، ويشهد ذلك على التواصل بين علماء الجزائر والمشرق العربي إضافة إلى إنتاج أبي راس الناصر المعسكري الذي تنوع بين النظم والتدوين[2]، فلم يكن إذا للسلطة العثمانية وجود في المجالات الاقتصادية والثقافية، كما احتفظ المجتمع الجزائري في تلك الفترة بمقوماته السابقة من حيث انقسامه إلى جماعات تقوم كل منها برعاية شؤون مصالحها فيما بينها، وبذلك رفعت الدولة يدها عن تلك الجماعات وتحددت العلاقة فيما بينها وبين الدولة في حدود الطبقية[3].

1-عبد القادر بكاري:"الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجاً"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 6، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، دار كنوز، الجزائر، 2013، ص 121.

2-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 50.

3-محمد دادة:"التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني، خصائصه وموضوعاته"، مجلة عصور الجديدة، ع 3-4، ص ص119-129، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2011-2012، ص 122.

خلاصة الفصل:

نستخلص مما سبق أن موقع الجزائر الجغرافي أثر على استقرارها الداخلي، حيث انشغل حكامها في الدفاع عن حدودها الشرقية والغربية، بالإضافة إلى التحرشات الأوربية، وهو ما أرغمها على الاهتمام بالجانب العسكري على حساب التنمية الداخلية وقد لعبت التضاريس دورا سلبيا، حيث منعتها السلطة العثمانية من إخضاع قبائل الجنوب الأمر الذي اضطرهم إلى شن حملات ضدها، والتي كلفتهم خسائر جسيمة.

كما شهدت الجزائر مزيجا بين مختلف الأجناس خاصة في المدن، أما المجتمع الريفي فقد تميز بالتجانس البشري، وأدى ذلك إلى نمو ديمغرافي كبير عاش أوضاعا صحية متردية، وانتشرت الأمراض والأوبئة، أخطرها الطاعون الذي خلف خسائر بشرية كثيرة كانت لها آثار سلبية وخيمة على مختلف نواحي الحياة.

وأما من الناحية الاقتصادية فإن المجتمع الجزائري شهد تطورا وتنوعا في الإنتاج فعرفت الزراعة والصناعة اليدوية أوج ازدهارها رغم الإمكانيات البسيطة، إلا أن السكان تمكنوا من تحقيق اكتفائهم الذاتي فيما يحتاجون إليه من ضروريات الحياة اليومية.

ولا يمكن تحقيق تطور ثقافي بدون أن تستقر الأوضاع السياسية، إذ عاش الوضع الثقافي نوعا من الجمود الفكري باستثناء بعض الفترات التي يستقر فيها الوضع السياسي كما لا يمكن أن نجحد وجود إنتاج علمي من خلال تداوين بعض العلماء، خاصة في النظم والنثر كما ظهرت طرق صوفية مختلفة.

الفصل الثاني: واقع المجتمع الجزائري بعيون الرحالة المغاربة خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م

تمهيد

أولا- الحالة السياسية والأمنية

ثانيا- الحياة الاقتصادية

ثالثا- الأوضاع الاجتماعية والصحية

رابعا- الحركة الثقافية والعلمية

خلاصة الفصل

تمهيد:

بعدما عرفت الرحلة الركود في القرن 10هـ/16م لعدة أسباب تطرقنا لها في المدخل وبقيت في طي الكتمان بحسب ما أورده المؤرخ أبو القاسم سعد الله[1]، استعادت نشاطها في القرنين 11 و12هـ/ 17 و18م، وبلغت ذروتها ذهابا وإيابا.

فقد شهد القرن 11هـ/17م بعض الرحلات الخاصة بالمغرب العربي مع ظهور أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر المعروف بالعياشي في رحلته الحجازية المشهورة ب: "ماء الموائد" والمعروفة كذلك ب"الرحلة العياشية"، ورحلة أحمد المقري[1]، المسماة: "رحلة في المشرق والمغرب"، ورحلة عبد الرحمن المجاجي المشهورة باسمه.

ثم برزت الرحلة بعد تلك الفترة أكثر فأكثر، بالتحديد في ق 12هـ/18م، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر رحلات كلٌ من: أحمد بن عمار[1]:"نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب"، ورحلة الحسين الورثيلاني:"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" التي تعد موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في هذا القرن خاصة الجزائر

[1]-محمد برشان:"أثر ركب الحج في بناء حضارة المجتمع الصحراوي الجنوب الغربي الجزائري نموذجا"، مجلة الخلدونية، ع 6، دار كنوز، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2013، ص 196.

[1]-أحمد المقري:هو شهاب الدين لقبا وأبو العباس كنية، ينسب إلى القبيلة العربية قريش، أما نسبته إلى مقرة، فهي قرية من قرى الزاب(بين بريكة والمسيلة)، ويُفترض أنه ولد في سنة 990هـ/1582م أو 992هـ/1584م، نشأ بتلمسان التي ولد بها ثم ارتحل إلى فاس، رحلته الأولى إلى المغرب الأقصى سنة 1009هـ/1600م، ثم إلى المشرق سنة 1027هـ/1617م.يُنظر:أحمد بن محمد المقري التلمساني، رسائل المقري، تح أسماء القاسمي الحسني، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2009، ص ص95، 96، 99، 123، 134.

[1]-أحمد بن عمار:لا يُعرف عنه تاريخ الميلاد والوفاة والمكان، ويُقال أنه من أهل القرن 12 و13هـ/18 و19م، عاش إلى ما بعد سنة 1205هـ/1790م، فكان عمره سنة 1159هـ/1746م حوالي 40 سنة، فقد ولد في الجزائر حوالي سنة 1119هـ/1707م.تولى وظيفة الفتوى على المذهب المالكي سنة 1180هـ/1766م إلى غاية 1184هـ/1770م، أدى فريضة الحج سنة 1166هـ/1752م مع الحسين الورتلاني الذي قرأ معه في القاهرة وقال عنه:"الفاضل بالاتفاق والعلامة على الإطلاق، ألف بتونس رسالة في التفسير والأدب وتاريخ في سيرة وآثار باي تونس علي باشا بن حسن، توفي بالحرمين الشريفين حسب تلميذه أبو راس، ألف عددا من الكتب منها "لواء النصر في فضلاء العصر" و"نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب".يُنظر:أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص ص224-226، 230.



بالإضافة إلى رحلة عبد الرزاق بن حمادوش[1] المسماة:"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، ورحلة أبي راس الناصر:"حلتي ونحلتي في تعداد رحلتي" و"فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" وغيرهم، وجل هؤلاء الرحالة كان اتجاههم نحو المشرق للحج أو لطلب العلم أو للهجرة، فسجلوا انطباعاتهم كلٌ حسب مشربه وتكوينه فمنهم من غلب على كتاباته الطابع الديني، ومنهم من اهتم بالعلم ورجاله، ومنهم من تحدث عن المدن ووصف المسالك والممالك، وفي الأخير أصبحت كلها ضرورية، لا غنى عنها للمؤرخين والجغرافيين والأدباء وعلماء الاجتماع[2] فاشتهروا فيها وألفوا الكثير، لكن لم يُطبع منها إلا القليل، ولا يزال الكثير باق على حاله مخطوطا، ومنها ما يُعتبر ضائعا.

ويمكن تحديد المسالك في المحاور التالية:

1- **من تافيلالت إلى إقليم الزاب:**مرورا بإقليم الساورة[3]،ومن أهم محطاتها ما يلي:بشار[4]

---

[1]-عبد الرزاق بن حمادوش:هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري، رحالة ولد في مدينة الجزائر سنة 1107هـ/ 1695م، وتوفي بعد حوالي تسعين سنة دون معرفة التاريخ بالضبط ولا المكان، كان يشتغل ببيع الكتب وتجليدها ونسخها في مدينة الجزائر، وامتلك دكاناً من أجل ذلك قبالة الجامع الكبير، وعلى الرغم من محاولته الجمع بين العلم والتجارة لكنه لم ينجح في ذلك لأنه كان لا يفارق الكتب، وتعلم عن طريق الدرس، والإجازة والرحلة، اهتم خاصة بالطب، والفلك فألف في ذلك عدة تآليف.يُنظر:عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة :"لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال"، تح:أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص 9. وأبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 و2، المرجع السابق، ص ص292، 425، 428.

[2]-أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، عالم المعرفة، ط 3، الجزائر، 2009، ص 209.

[3]-الساورة:يرجع العياشي أن أصل تسمية الساورة هو الأساورة ثم حرفت على ضرب من التخفيف إلى الساورة بكسر الواو أو بسكونها على اللسان العام، وحسب ما ورد عن الرازي أن جمع السوار أسورة وجمع الجمع أساورة.
يُنظر:عبد الله حمادي الإدريسي، صحراء وادي الساورة تاريخا ومناقب وبطولات، ج 1، دار بوسعادة، ط 1، الجزائر، 2013، ص 29.

[4]-بشار:ولاية من ولايات الجنوب الغربي الجزائري، علوها يزيد عن 780 متر عن مستوى البحر الأبيض المتوسط، تعد مركزا اقتصاديا هاما لأنها تقع على الحدود الجزائرية المغربية، وتبعد عن فقيق ب21 كلم، وتصل بين فقيق وقصور توات.يُنظر:المرجع نفسه، ص 08.

بوسمغون[1]، ربا[2]، الغاسول، وادي المغيلي، شعبة الملح، عين ماضي، تاجموت، بسكرة وسيدي خالد[3].

2- من الساورة إلى ورقلة[4]:مرورا بإقليم توات[5]، ومن أهم محطاته ما يلي:

سوف، توقرت، ورقلة، غرداية، عين صالح، أولف، تمنطيط[6]، تبلبالة، عقلة البرابر وتندوف[7].

---

[1]-بوسمغون:تبعد 160 كلم جنوب البيض، تسمية مشتقة من أبي سمغو أو سمكو من اللهجة البربرية لأهل مكناسة بتفيلالت المغربية، أحد القصور النادرة في الجنوب الغربي التي ذكرها ابن خلدون، من بين القبائل التي كانت تخزن به:أولاد زياد، وأولاد سيدي الشيخ، استخدام تمازيغت المحلية(الشلحة)إلى يومنا هذا، من بين معالمها القديمة:قبة وضريح سيدي بوسمغون وهو الولي الصالح للقصر، ضريح ومكان تعبد سيدي أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية.يُنظر:خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص 150.(ينظر ملحق رقم 02)

[2]-ارباوات(جمع اربا):تبعد 100 كلم جنوب البيض جمع اربا، مشتقة من الكلمة الأمازيغية"تربايت"، تربابة(أي :الوادي)، وهو أحد القصور النادرة التي ذكرها ابن خلدون، وهي تسمية جماعية تحدد قصرين وهما:اربا التحتاني، وهو الأقدم وعلى بعد كلم واحد، واربا الفوقاني، مرت عليها السارية التركية للباي محمد الكبير عقب الهجوم على الشلالة سنة 1786م، تأسيس اربا الفوقاني من طرف سيدي سليمان بن بوسماحة في بداية القرن 16م، العرشان المعروفان:العفافنة، والكراكبة، ومن بين معالمها الأساسية:قبة وضريح سيدي معمر أبو العالية وهو جد البوبكريين، وسيدي بوتخيل جد أولاد سيدي بوتخيل لعين الصفراء.يُنظر:المرجع نفسه، ص ص148، 149.(ينظر ملحق رقم 03)

[3]-محمد برشان، المرجع السابق، ص 195.

[4]-ورقلة:مدينة بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور وحولها نخيل كثير، ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى، لورقلة أمير يشرفونه كالملك، يعيل نحو ألف فارس من حرسه، ويجبى عليه من إمارته 150 ألف مثقال، ويؤدي إلى جيرانه الأعراب خراجا مرتفعا، وهي أشهر الحواضر التي ترتادها قبائل الشعانبة، وحولها سور عتيق، وفيها بني سيسين، وبني واجين، وبني إبراهيم، وقد كانت أولى القرى التي هاجر إليها الإباضيون.يُنظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 152.

[5]-توات:واحة كبيرة بالجنوب تمتد من الغرب إلى الشرق وتضم عدة قرى أو القصور، والتوات مركز تجاري وملتقى طرق الشمال والجنوب والمحيط وتونس، وأشهر مدنه تيميمون وقرارة، ومحط رحال القوافل المتوغلة في الصحراء نحو النيجر، وتأسست في المنطقة عدة زوايا نشرت العلم وكونت الطلبة.وهي إحدى مناطق الإقليم التواتي الثلاث(قورارة، توات، تيدكلت)، وهي اليوم سياسيا تابعة لولاية أدرار إحدى ولايات الجزائر.يُنظر:مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 67.وعزالدين جعفري، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2017-2018، ص 28. (ينظر ملحق رقم 04)

[6]-تمنطيط:منطقة صحراوية من مقاطعات بلاد توات الشهيرة.يُنظر:عبد الله حمادي الإدريسي، المرجع السابق، ص 10.(ينظر ملحق رقم 05)

[7]-محمد برشان، المرجع السابق، ص 196.

أولا- الحالة السياسية والأمنية خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م:

إن إرهاق السكان بالضرائب رغم أوضاعهم الاجتماعية المالية المزرية جعلهم يتمردون على السلطة الحاكمة بغية التخلص من الحكم العثماني[1] الذي تغيرت نظرته اتجاه السكان ابتداء من القرن 12هـ/18م بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية نتيجة نقص الموارد البحرية الذي دفعها إلى تغيير طبيعة العلاقة مع السكان، ففرضت على الأهالي ضرائب جديدة بما فيهم المرابطين، مما أدى إلى ظهور ثورات داخلية في الريف، بينما ظلت العلاقة على طبيعتها مع العلماء والمرابطين بالمدن[2].

ومن خلال رحلاتهم سوف نتعرف على الصورة التي رسمها لنا الرحالة المغاربة حول المجتمع الجزائري خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين 17و18م:

1-تطرق الرحالة عبد الرحمن المجاجي إلى الأحداث التي شهدتها الجزائر خلال القرن 11هـ/17م، والتي عايشها كشاهد عيان من خلال رحلته، مكتفيا بمرحلة عودة ركب الحج الجزائري، فوصف حفاوة استقبال الباشا العثماني رفقة الركب أثناء دخولهم مدينة الجزائر والذي ماثلته طبيعة استقبال أمير مدينة بسكرة التي تعكس صورة الواقع السياسي الذي راح المجاجي يثني عليه وعلى صنيعهم مع ركبه، فحسب نظرته قد يكون هذا من السياسة المنتهجة من قبل السلطة العثمانية في كسب ود الرعية خاصة فئة المثقفين منهم كالعلماء وما يفسر سبب ذلك هو السياسة الخفية الرامية لكسب التأييد، احتمالا لأزمات متوقعة ويتضح ذلك من خلال استغلال بعض من كان في الركب لهذه العلاقة الطيبة لأميره مع الحكام في قضاء بعض المصالح، وهو ما يعكسه المجاجي نفسه في قوله:

مُرَادِي مِنْكَ إِنْ شَاءَ رَبِّي وَصَلْتُهُ ... لِحَضْرَتِكَ العُلْيَا بِهَا تَقْضِي حَاجَةِ

[1]-يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص48-50.

[2]-منصور درقاوي:"الموروث الثقافي اللامادي بالجزائر العثمانية على ضوء المصادر الأوربية(العادات والتقاليد-أنموذجا)"، مجلة عصور، ع 34-35، ص ص27-66، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2017، ص 38.

وهذا ما حصل بالفعل عندما رافق الركب شيخ من بني جلاب خصيصا لطلب المعونة من السلطة العثمانية، وربما استعمل واسطة كأمير الركب أو من أحد مرافقيه ممن تكون لهم مكانة مقربة عند السلطة الحاكمة[1].

فمن خلال رحلة المجاجي يمكن القول أن السلطة العثمانية مهدت قبليا لمصالحها المستقبلية على حساب قضاء مصالح عامة لفائدة المجتمع الجزائري في المناطق التي زارها، وهو ما ترتب عنه ممارسة علاقات قائمة على تحقيق أهداف متبادلة تميل نواياها لبسط سياسة الحكم العثماني.

2-أما فيما يخص الرحالة العياشي، فعندما نزل رفقة ركبه بالجنوب الجزائري دخل قرى

تسابت[2] وبلاد أوكرت[3] التي تعتبر المحطة الأولى لرحلته، حيث تطرق لوضعها السياسي بصورة مقتضبة، فحسب شهادته أنها تخضع لأمير سجلماسة[4]، وبعدما حل بالقليعة[5] ثم بورقلة وجد حكمهما في يد السلطان الذي وصف حكمه بأنه لا يتعدى حالة مجتمعه، فرغم مظهره البسيط إلا أن أهل القرية يتحاكمون إليه ويطيعون أمره[6]، لكن المدينة ظلت أغلب الفترات خاضعة لحكام إيالة الجزائر بشكل مباشر عن طريق توجيه حملات عسكرية أو بشكل غير مباشر من خلال إظهار التبعية[7].

---

[1]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص ص147، 148.

[2]-قرى تسابت(أو تسبت):إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد نحو 250 ميلا شرق سجلماسة و100 ميل من الأطلس، يضم أربعة قصور وقرى عديدة، سكانه فقراء جدا، لا تنبي أرضهم غير التمر وقليل من الشعير، بشرتهم سوداء.يُنظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 133.(ينظر ملحق رقم 06)

[3]-أوكرت(أو أوكيرت):أو بلاد الخنافسة، نحو 14 قصرا معظمها على الضفة اليسرى لوادي مقدن، والناحية خصبة بزراعتها ونخيلها، ومن أهم مراكزها زاوية سيدي عمر، ويتردد على أسواق الناحية قبائل الأغواط وأولاد سيدي الشيخ، والموضع في طريق القوافل القادمة من ميزاب ومتليلي والقاصدة للسودان.يُنظر:مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 71.(ينظر ملحق رقم 07)

[4]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 107.

[5]-القليعة:وتدعى المنيعة، منازلها مبنية من الطوب، تستمد أهميتها من واحتها البديعة ومياهها الدافقة وتوجد بتلك الواحة جميع أنواع الفواكه، والزهور فتعتبر جنة الجنوب.يُنظر:أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 152.

[6]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 111.

[7]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية-دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط 2، الجزائر، 2009، ص 494.

وتحدث عن بسكرة بأنها غرقت في الفتن، وتدهورت أوضاعها، فيرى العياشي أن حالها أصبح مُزري، تفاقمت فيها الصراعات بين مجموعة من الأهالي وأمير البلاد الذي اتهمهم بالتآمر ضده، فأمر بقتلهم جميعا، حيث قتل منهم نحو 200 رجل، مما أدى إلى نشوب الشحناء بينه وبين أخواله أولاد الشيخ أحمد بن جلاب الذين كانوا من قبل من شيعته، وبهم تمكن من البلد ثم سقطت مكانته فيما بعد رغم أنه كان يُعرف بحسن السيرة[1].

وشاهد بمنطقة مكوسا التابعة لوادي ريغ[2]، قد مُنع سكانها من دخول الحجيج إليها بسبب اتهامهم بالاتفاق مع سلطان واركلا بعدما بلغهم أن بعض صعاليك[3] الحجاج تسلموا السلاح مقابل خدمته، فظنوا أنهم متفقون معه، وأن بلدهم سيسكنها المغاربة، فشددوا حراستهم التي اعتبروها جهادا، وقدموها على الحج، ينتظرون المدد من أمير ريغ وكلهم حقد على أهل واركلا[4]، و تلت هذه المدينة تكرت قاعدة وادي ريغ ومقر أولاد جلاب[5] فحسب قول المؤلف أن أمراءها[6] وأسلافهم من بني مرين[7] وأولاده على سيرته، يحظى علماؤهم بمكانة

---

[1]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 115.

[2]-وادي ريغ:يقع غربي جنوب عمالة قسنطينة، وهي مجموعة من مدن وقرى آهلة عاملة غنية، وتشمل من الشمال إلى الجنوب مدن وقرى وواحات:مغير، وغلانة، جامعة، تامغنة، مقار، المقرين، تقرت، تماسين، القوق، وقد كانت هذه الجهة مركز إمارة إسلامية مستقلة، ازدهرت واتسع حكمها وعمرانها هي إمارة بني جلاب.يُنظر:أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 142.

[3]-الصعاليك:لا يُقصد بهم قطاع الطرق من اللصوص وإنما هم في أعراف رحلة الحج المغاربية الحجاج الفقراء غير النظاميين الذين لا يملكون تكاليف السفر، ويعتمدون على إحسان الآخرين إليهم، لكنهم عالة على الركب لا ينفعونه بالحراسة ومنهم من يحج للتسول ولا يميزون الحلال عن الحرام.يُنظر:أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص106.

[4]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 119.

[5]-بنو جلاب:سلاطين تقرت، هم من بقايا بني مرين حكموا تقرت ونواحيها من القرن 15 إلى 19م، مؤسس هذه الإمارة هو الحاج سليمان المريني الجلابي، وقد حكم من 1414 إلى 1431م، وخلفه ابنه علي، ثم حفيده أحمد، وقد غزا صالح رايسي تقرت سنة 1552م أيام أحمد بن سليمان كما حاصر تقرت صالح باي أيام الأمير فرحات، وحكمت تقرت أميرات أيضا منهن عيشوش أرملة الأمير عامر وذلك ما بين 1833، و1840م، وآخر أمير جلابي هو سلمان بن علي الكبير(1852-1854م).يُنظر:مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 85.

[6]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 120.

[7]-بنو مرين:اختلفت آراء المؤرخين في أصل بني مرين، فمنهم من ذكر أنهم فخد من الطبقة الثانية من قبيلة زناتة من البتر أحد فرعي البربر والتي تفرقت عنها شعوب كثيرة فمنهم مغراوة، وبنو يفرن، وبنو واسين، وبنو مرين، وبنو عبد الواد، وبنو توجين، وقد أرجع ابن الأحمر نسب بنو مرين إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فمنهم من أرجع نسبهم إلى البربر، ومنهم من أكد عروبتهم.يُنظر:نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685-706هـ/1286-1306م دراسة سياسية حضارية، ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، 2004، ص ص2، 3.

بينهم وعند حاكمهم، فكانوا يستشيرونه في أفعالهم، ما ميّزه عن بقية الأمراء في حكمه وتصرفاته، وله حكم نافذ في أهل مملكته والأعراب الذين يترددون عليه[1].

وعاشت بسكرة أوضاعا متدهورة نتيجة عدم استقرار حكمها الذي تقلب بين الترك العثمانيين وعساكر الأعراب، فقام الترك ببناء حصن على رأس الماء الذي يسقون منه وسيطروا بذلك على البلاد، كما تعرضت لغارات عساكر الأعراب من الخارج، فلحق الضرر بأهاليها بسبب ظلمهم وفرض الضرائب عليهم[2]، وهو ما يوضح أن الوجود العثماني وصل عسكريا إلى بسكرة[3].

فمن خلال رحلة العياشي يتضح جليا أن الأوضاع السائدة في المجتمع الجزائري الصحراوي خلال القرن 11هـ/17م من العهد العثماني، عرفت اضطرابات وصراعات داخلية، يعود سببها لغياب سلطة نافذة في المنطقة؛ مما أثر سلبا على واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والصحية والثقافية، حتى الجانب العمراني لم يسلم منها.

3-أما خلال القرن الموالي أي 12هـ/18م، فقد نقلت لنا رحلة الهلالي السجلماسي طبيعة الحكم العثماني في بسكرة الذي وصفه بأنه جائر، ونفس الانطباع في المناطق التي مر بها إلى جانب إغارة العرب عليها، مما جعلها تعيش حالة ضعف، فتدهورت أوضاعها وهذا يدل على ضعف الحكم المركزي، فملاحظته لها تدل على أنها عامرة ولها مكانة ذات أهمية كبيرة[4].

4-الملاحظ أن الجزائر قد عاشت أوضاعا مزرية في مختلف الجوانب خلال القرن 18م نتيجة ممارسات الحكم التركي بها، وهذا ما ذكره الرحالة الحسين الورثيلاني إذ يقول:"...غير أنه خال من السلطان وأحكامه، فالوطن سائب...عمّره الله على يد سلطان عدل"، ويشير أيضا إلى أنه من عادة الحكام الأتراك العثمانيين وجندهم الظلم والتعدي

---

[1]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 122.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 381.

[3]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 29.

[4]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 218.



وأخذ الرشوة[1]، فساد فيها القتال والفتنة بين المسلمين نتيجة ضعف الحكام[2] الذين انتقدهم الورثيلاني لعدم توفير الأمن وسوء الأخلاق[3]، كما يعود السبب في عدم السيطرة إلى تحصن بعض السكان بالجبال، فلم يفد فيهم حتى الصالحون، لذلك أراد علماء بجاية أن يتدخلوا لإصلاح أحوال المسلمين، فتوجه الورثيلاني والوفد الذي معه من أجل ذلك قاصدين القرى التي خربت لعلها ترجع للعمارة، وكان أمرهم أنذاك في يد سلطان[4] مجانة[5].

ومما لاحظه صاحب الرحلة أن الظلم ساد، وانتشرت الفتن في زمورة[6]، فمنذ القرن11هـ/17م بسطت السلطة العثمانية سياسة معتمدة على عامل القوة قصد مد النفوذ نحو المناطق الداخلية والخاضعة لحكم القبائل فقط[7]، ويرجع السبب في ذلك إلى فساد الحكام العثمانيين[8] الذين عاقبوا السكان وفرضوا عليهم الجباية بالقوة[9].

وحسب شهادته أيضا عندما حل ببسكرة، لاحظ نفس الأوضاع المزرية هناك فأصبحت المدينة القديمة حطاما، مما أدى إلى هجرة سكانها وإقامة بنايات بضواحي البساتين، واستولى عليها الترك وعساكر العرب بالتناوب، وأقام الأتراك العثمانيون برجان واحد داخل المدينة والآخر خارجها[10]، ونفس الحال بالنسبة للنمامشة، يضيف الرحالة حيث نهبت خيراتهم وانتشرت الرشوة وأُستغل العلماء في شرعية أفعالهم.

---

[1]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص 258.

[2]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثلانية، تح محفوظ بوكراع وعمار بسطة، ج 1، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011، ص 45.

[3]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص 248.

[4]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 8.

[5]-مجانة:مدينة ذات سور من طابية، وهي كثيرة الزعفران والزرع وبها معادن حديد وفضة، ومنها الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب، ولهم واد غزير الماء يزرعون عليه وأسواق صالحة.يُنظر:إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 189.

[6]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 81.

[7]-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 142.

[8]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 114.

[9]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص 259.

[10]-Hadj Sadok(M) : « A TRAVERS LA BERBERIE ORIENTALE AU 18EME SIECLE AVEC LE VOYAGEUR AL- WARTHILANI », Revue Africaine, VOLUME 95, 1951, p 328.

وهكذا في غيرها من عمالة الجزائر[1] التي تعتبر الأصغر[2]، وانقسم الشرفاء بين الولاء والعصيان[3].

وفي خضم هذه الظروف والفتن عمل الورثيلاني على سياسة الإصلاح بين القبائل في بني ورثيلان وغيرها، وردهم إلى طريق الدين بعدما كان حكم السلطان غير نافذ فيهم لصعوبة طبيعة البلاد، فانفلت من يد السلطان الأمر، فخربت الكثير من القرى[4]، ولم يعتنوا بالأحكام الشرعية، ونبذوا أكثر الأحكام الجاهلية وتركوها[5]، فشاع بينهم قطع الميراث للنساء، فحتى إذا مات الرجل يرث مال أخيه وزوجته، مما سبب انتشار الفتن[6] رغم محاولة الأولياء والمرابطين وشيوخ الزوايا في إصلاح الحالة العامة للناس، فنجد مثلا أن الورثلاني كان يستغل مكانته السياسية الكبيرة عند مختلف الحكام للإصلاح، مثل محمد بن أحمد المقراني حاكم بجاية ونواحيها ومحمد بن القاضي الشريف حاكم زواوة[7].

وأشار الورثيلاني إلى مكانة مدينة قسنطينة في البلاد، حيث تمثل مصدرا كبيرا لدعم الجزائر بالأموال، خضعت لحكم الباي، وذكر بأن بها قصبة عظيمة وعساكر كثيرة من الأتراك العثمانيين وحصون وأبراج وأسوار وثغور، كثغر بجاية وجيجل والقل وبونة تحتمي به من العدو، وكذلك المجال الذي طغت فيه العرب وزاغ فيه أهل البدو، كتبسة وزمورة وبسكرة وحمزة وبوغني وسباو وثغور المغرب[8]، فتفشى فيها الظلم كثيرا والفساد وصرف أموال الخزينة في أمور شخصية[9]، حيث انشغل حاكم قسنطينة وولاته وعساكره

---

[1]-عمالة الجزائر:هي أصغر العمالات، أشهر جهاتها الفلاحية سهل متيجة البديع، وسهول السرسو الغنية بزراعة الحبوب، وبها جبال الجرجرة المرتفعة الآهلة وجبال الونشريس ذات الغابات الخلابة، والنجود المرتفعة قليلة العمران فيها، أشهر مدنها على ساحل البحر العاصمة الجزائر وتنس وشرشال، أما في الداخل فمدن البليدة والمدية وبوفاريك ومليانة وتيزي وزو والأصنام وثنية الأحد والأغواط وواحة بوسعادة.يُنظر:أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 148.

[2]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص 241.

[3]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 114.

[4]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص 256.

[5]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 111.

[6]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص 243.

[7]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص 257.

[8]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 2، المصدر السابق، ص ص685-687.

[9]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص 258.

من الأتراك العثمانيين بصرف أموال الخزينة لأغراضهم ومصالحهم الذاتية وتعزيز سلطتهم[1].

يتضح لنا مما سبق عدم اكتراث الورثلاني بالأتراك العثمانيين ورد فعلهم أمام هذه الأوضاع السائدة، وسمح له مركزه العلمي والديني بالنقمة على السياسة العثمانية، ولعل حالة التدمير والخراب التي شهدته الكثير من المناطق بسبب الفتن والحروب بين بعض القبائل أو بينها وبين الأتراك العثمانيين الذين فقدوا نفوذهم، وخاصة على سكان الجبال قد حز في نفسه، واعتبر السياسة العثمانية مسؤولة عن الوضع العام بالجزائر، والذي تميز كذلك بإتباع حكامه لسياسة دينية داخلية وخارجية من أجل الحد من تأثير الحركة الصوفية كما أن عيشه في البادية وملاحظته للتجاوزات التي عانى منها البدو من طرف العثمانيين جعلته يتخذ موقفا معاديا اتجاه أهل الحضر والحكام العثمانيين.

5-في حين يتحدث الرحالة محمد بن عبد السلام الدرعي من خلال شهاداته عن تناحر بنو العمومة حول السلطة على منطقة تقرت، وأُستعملت في ذلك كل أساليب الفساد مثل الرشوة وسفك الدماء، وكان للأتراك العثمانيين يد في ذلك حسب ماورد عن الرحالة الدرعي[2]، مما يعكس صورة الحكم العثماني الفاسد القائم على الرشاوي في تولية المناصب التي انعكست سلبا على الرعية نتيجة تردي الوضع الاقتصادي، بسبب هدر الأموال العامة لتحقيق مصالح شخصية، كبسط السيطرة على البلاد.

6-وجاء الحديث عن رحلة غير حجازية متمثلة في رحلة داخلية قادها الباي محمد الكبير باي وهران التي سجلها وتحدث عنها بكل تفاصيلها ابن هطال كاتب الباي، فيبدأ بتعليل غزوات الباي، إذ يقول بأن بعض المناطق الصحراوية لم يطلها الحكم العثماني لبعدها ولطبيعة حكمها، فقرر محمد الكبير باي الغرب رفقة عسكره أن يخضعها[3]، فخاض غزوات باتجاه الجنوب والجنوب الغربي للجزائر.

[1]-سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 99.

[2]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 216.

[3]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 35.



وتعد حملة الأغواط سنة 1784م من أهم الحملات[1]، حيث أخضع كل بلد مر بها في طريقه للطاعة ودفع الضرائب[2] على العديد من القبائل[3]، كالأغواط وحميان[4] وعمور[5] وسعيد، وكلها قبائل كانت تقف عائقا أمام السلطة العثمانية، إلا أن سكان عين ماضي نقضوا عهدهم[6] بعدما رجع الباي إلى معسكر، بحيث امتنعوا عما فرض عليهم[7]، ورفضوا سلطته عليهم ودفع الضريبة، إلا أنه فرضها عليهم من جديد[8] بمساعدة الداي بابا عثمان له[9]- ويقصد به محمد عثمان باشا[10]-، حيث قام بإرسال قوات نجدة وأمده بالعُدة والعتاد[11]، فأرغم أهلها بدفع الخطية مع الغرامة السنوية التي كانوا امتنعوا من أدائها[12].

---

[1]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص 273.

[2]-أمين كرطالي:"نشر وتحقيق لمخطوط"نبذة من سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران"لمؤلف مجهول-الجزء الأول-، ص ص151-179، مجلة عصور الجديدة، مج 9، ع 1، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2019، ص 161.

[3]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص 273.

[4]-حميان:كنفدرالية تشمل أغلب القبائل البدوية لمنطقة المشرية، وتنقسم إلى شافع وجمبة، وحسب ابن خلدون تنحدر النواة الأساسية لحميان من عرب بني هلال من فرع زغبة بني يزيد.حميان شافع(عكرمة، البكاكرة، بنو مطرف، أولاد خليف، أولاد منصورة)، حميان جمبة(بنو عقبة فرع الفراحدة، بنو عقبة فرع أولاد فارس، بنو عقبة فرع أولاد التومي، الغياثرة فرع أولاد أحمد، الغياثرة فرع أولاد مسعود، لمقان، المغاولية، أولاد مبارك، أولاد سرور، سندان).يُنظر:خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص ص138، 146.

[5]-عمور:كنفدرالية تقيم في الجزء الجنوبي من الجنوب الغربي الجزائري، وتتكون من ثلاثة فروع:فرع أولاد بوبكر(عرش أولاد عبد الله، عرش أولاد قطيب، عرش المذابيح)، فرع أولاد سليم(عرش أولاد بوشارب، عرش أولادالشحمي، عرش المرينات)، فرع الصوالة(عرش أولاد عامر، عرش أولاد سليمان، عرش أولاد عليات).يُنظر:خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص ص131، 132.

[6]-أحمد الشريف الأطرش السنوسي، تاريخ الجزائر في خمسة قرون، دار البصائر الجديدة، ج 1، الجزائر، 2013، ص 219.

[7]-أمين كرطالي، المرجع السابق، ص 161.

[8]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص 273.

[9]-أحمد الشريف الأطرش السنوسي، المرجع السابق، ص 219.

[10]-محمد عثمان باشا:داي الجزائر 1766-1791م، في ذكر ولايته يقول المؤلف أنه لما مرض علي باشا الملقب ببوصباع نادى وزراءه وجمعهم، وأوصاهم بولاية محمد باشا وكان ذلك عام 1179هـ/1766م.
بايعه العلماء ثم نقيب الأشراف ثم الوزراء وكافة الديوان وجميع الناس، عرف عنه العدل والالتزام بالأحكام الشرعية ويحب الجهاد، توفي سنة 1205هـ/1790م بعد مرض.يَنظر:أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ويليه محمد عثمان باشا، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص101، 102، 155.

[11]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر...، المرجع السابق، ص 273.

[12]-أحمد الشريف الأطرش السنوسي، المرجع السابق، ص 219.

وكتب أيضا أنه في عام 1786م قرر محمد باي تنظيم حملة عسكرية ضد الشلالة[1] التي رفض سكانها دفع الضريبة واعترفوا بالسلطة العلوية، وكان لرفضهم هذا مصلحة اقتصادية تتمثل في حمايتهم من دفع الضرائب[2]، ويُرجح سبب الغزو للنفوذ الواسع لأحمد التيجاني[3] الذي ولد ببلدة عين ماضي ويعتبر المؤسس للطريقة التيجانية[4] التي ظهرت في الوقت الذي بدأ العثمانيون يتخوفون من نشاط الطرق الصوفية عموما[5]، لذلك انتهجوا سياسة خاصة معهم، وحاولوا في بعض الأحيان التقرب والتفاهم مع مرابطهم، وفي أحيان أخرى وقفوا منهم موقف حياد، لكن هذا التحالف لم يدم بحيث تغيرت هذه النظرة ابتداء من القرن 12هـ/18م بسبب تغير ميزان القوة ونقص الموارد البحرية، ففرض الحكام العثمانيون على الأهالي ضرائب جديدة، بما فيهم رجال الطرق الصوفية[6]، وحاولوا ضم عين ماضي والأغواط وغيرهما إلى إقليم وهران، لذلك توجه الباي محمد الكبير في حملته المعروفة

---

[1]-الشلالة(الظهرانية والقبلية):الظهرانية تقع على بعد 140 كلم جنوب البيض، هاجمها الباي التركي محمد الكبير سنة 1786م، بها أربع فرق حضرية من البربر والأشراف الأدارسة وهم:أولاد اعمر، أولاد خنفر، أولاد حمزة، أولاد زيان، يخزن فيها البوبكريون، الكرارمة، الدراقة، وأولاد معلا، استخدام تمازيغت المحلية(الشلحة)إلى يومنا هذا، من بين معالمها القديمة:قبة وضريح سيدي محمد بن سليمان وهو الولي الصالح للقصر وأب سيدي الشيخ.

وأما الشلالة القبلية:135 كلم جنوب البيض، أسست في القرن 12 م، يخزنون أولاد عبد الكريم، اختفاء تدريجي لتمازيغت، تعريب سكان القصر عن طريق انصهار العناصر البربرية داخل الكتلة العربية أو ذهابهم صوب قصور أخرى ذات أغلبية أمازيغية.يُنظر:خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص ص151، 152.(ينظر ملحق رقم 09)

[2]-المرجع نفسه ، ص ص95، 96.

[3]-أحمد التيجاني:مؤسس الطريقة التيجانية، ولد في عين ماضي سنة 115هـ/1737م، فقرأ بها على شيوخها القرءان الكريم وغيره إلى أن بلغ نحو العشرين سنة فتوجه إلى فاس لأخذ العلم على علمائها، وبعد فاس قضى فترة غير قصيرة يتردد على الصحراء وتلمسان، فقد بقي في الأبيض سيدي الشيخ خمسة أعوام يتعبد عند ضريح سيدي الشيخ المتبرك به لأن التقاليد تذهب إلى أن سيدي الشيخ كان من نسل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كما زار التيجاني عين ماضي ولكن لم يمكث فيها طويلا فهو فيها معروف ولم يكن فيها من العلماء والصلحاء لذلك توجه إلى تلمسان التي بقي بها أيضا حوالي خمس سنوات(1181-1186هـ/1767م-1772م)، لذلك تاقت نفسه إلى الحج فمر بزواوة حيث أخذ الطريقة الخلوتية على محمد بن عبد الرحمان الأزهري، وتوقف في تونس ومصر وأخذ عن بعض صلحائها، وبعد حوالي سنتين في المشرق عاد التيجاني إلى تلمسان التي كان يتردد بينها وبين فاس، ثم انعزل عن المدن تماما حين ذهب إلى توات وأبي سمغون، التي استقر فيها نهائيا بعد قلق وتجوال، ولكن بايات وهران لاحقوه ونغصوا عليه حياته هناك أيضا فاتجه إلى فاس سنة 1211هـ/1796م بأهله، وقد رحب به السلطان سليمان وأحضره مجلسه وأعطاه دارا كبيرة وراتبا، وقد اشتكى التيجاني إليه من جور الترك وظلمهم، وظل في فاس إلى أن توفي سنة 1230هـ/1814م.يُنظر:أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص ص509، 510.

[4]-خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص 97.

[5]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 512.

[6]-منصور درقاوي، المرجع السابق، ص 38.

إلى عين ماضي ثم الشلالة والأغواط[1]، حيث دعمه أولاد سيدي الشيخ وأولاد عبد الكريم[2] في ذلك رغبة منهم في حماية مجال تحركهم[3].

وفي بداية رمضان 1200هـ/نهاية جوان 1786م توجهت السرية التركية المتكونة من 7000 جندي مدعمين من قبائل مختلفة نحو الشلالة، وأقامت معسكرها بالخيثر[4]، وفور نزوله أبلغ الداي سكان الشلالة بضرورة الاستسلام أمام الفتح رغم استعدادهم للمقاومة ودعوتهم للجهاد، وتم قتل العديد منهم وجرح وأسر البعض، فاستسلم فيما بعد الأهالي وطلبوا من الباي الأمان لهم ولأبنائهم ونسائهم، فسامحهم الباي وتوقف القتال الذي خلف العديد من الخسائر من الجانبين، وتم فرض ضريبة سنوية على قصر الشلالة، كما رهن الشخصيات البارزة للقصر مدة أربعة أشهر قبل أن يطلق سراحهم[5].

وحسب شهادة كاتب الباي أحمد بن هطال، فقد قام بثورة الأغواط المستعصية معتمدا فيها على العنصر الجزائري المتطوع أكثر منه على الجيش العثماني، فأخضع من خلالها القبائل المجاورة بما فيهم ميزاب، وفرض عليهم الضرائب[6].

وفي طريقه تزود وشن الغارات على المتمردين في بعض الأماكن، إلا من طلب الأمان كالأحرار الغرابة وأولاد صالح وأولاد يعقوب القبالة وأولاد يعقوب الغرابة وغيرهم[7]، فمن القبائل التي أخضعها قبل أن يتجه نحو الصحراء قبيلة هاشم وفليتة والأحرار، وشتت قبيلة

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 512.

[2]-أولاد عبد الكريم:أو الكرارمة، نطاق انتشارهم جنوب غرب البيض، الشلالة، المحرة، تنحدر قيلة أولاد عبد الكريم من عربي ذي أصل شريف من قبيلة بني هشام اسمه عبد الكريم.يَنظر: خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص 157.

[3]-المرجع نفسه، ص 97.

[4]-الخيثر:تقع على 75 كلم شمال النعامة، منبع وفير المياه، يرتاده خاصة أولاد سيدي خليفة، ويمثل بالنسبة إليهم مكان التجمع والمعقل الروحي، سمي هذا القصر الصغير بالمهدية خلال العهد العثماني، قصر صغير لأولاد سيدي خليفة يتواجد بالقرب من الخيثر، من بين معالمه العتيقة توجد قبة وضريح سيدي خليفة(حوالي 1570م/حوالي 1650م) وهو الجد الأول للقبيلة، وكذا قبة جده سيدي عيسى.يُنظر:خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص 135.

[5]-المرجع نفسه، ص ص98، 101.

[6]-أحمد الشريف الأطرش السنوسي، المرجع السابق، ص 219.

[7]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص39، 44.

الأعشاش التي كانت تقطع الطرق بالقرب من الحدود المغربية[1] إذ لا تمر بهم قافلة إلا استلبوها، ولا آوى إليهم شريد إلا قتلوه، وموقعها قرب مغنية[2].

ولقد احتمى الأعراب بموضع القعدة لصعوبتها، لكن رغم ذلك تمكنوا من قتل وأسر الجميع، لكن النساء والشيوخ والصبيان لم يتعرضوا لذلك عملا بوصية الباي، وأما الكهول والشبان والأعيان فأوصلهم إلى مكان تواجد[3] المحلة[4]، فاعتذروا ووافقوا على أن يعطوه قدرا من الأموال ورؤوس الأنعام.

ثم ارتحل عنهم ونزل بموضع يسمى زنينة[5] القريبة من الدبداب، وهي لبعض الأعراب الذين لا حكم عليهم لأحد[6] ولا يعترفون بسيد، وعددهم كبير وذي قوة، وسمع الباي محمد الكبير بأن باي التيطري وصلهم وعسكر بجوارهم، لكن طارده السكان فقتل منهم رجلين ثم انسحب مرتبكا ومتلبسا، مما حمّس أكثر محمد الكبير ضد الزنينة فأراد تحويل معسكره نحو أبواب المدينة غير أن أحد قادته حاول تجنيبه ذلك الهجوم، واصفا إياها بالضعف وأنهم غير قادرين على المقاومة[7]، ورغم ذلك إلا أن محمد الكبير أمر خليفته ومتولي خدمته، السيد محمد بن عبد الله أن يذهب إليها، فأخذ معه بعض العسكر ليقاتلهم، لكنه دخلها من غير قتال[8]، فأخذ جميع ما فيها من خيرات، كالقماش والقمح والشعير والسمن وغيرها، وهذا يدل على

---

[1]-صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، 2012، ص 174.

[2]-أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح:الشيخ المهدي البوعبدلي، دار عالم المعرفة، ط 1، الجزائر، 2013، ص 145.

[3]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص45، 46.

[4]-المحلة:مفرزة من العسكر شكلت من أجل جمع الضرائب كل سنة مرة، تتجول على القرى والقبائل وتجمع الضرائب المفروضة عليهم ويطلق عليها مفرزة التحصيلات المحلية، وتنتقل من منطقة إلى أخرى وأثناء قيامها بجمع الضرائب يتحمل الأهالي نفقات إطعامها ومصاريفها.يُنظر:عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر:محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت، لبنان، 1989، ص ص141، 142.

[5]-زنينة:المعروفة حاليا الإدريسية ولاية الجلفة، يتكون أهلها من حوالي 47 من أصول 4 :العبيد(العبد)أولاد عبد الله-الطيابية أولاد الطيب بن سلمان أو حفينات-أولاد الزيتوني-أولاد محمد بن مالك(الجنادة).يُنظر:لخضر بن محمد تناح الحمدي النائلي، المرجع السابق، ص 198.

[6]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 47.

[7]-Gorguos(A) : « EXPEDITION DE MOHAMMED EL KEBIR BEY DE MASCARA DANS LES CONTREES DU SUD », Revue Africaine, Volume 3,1858, p 186.

[8]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 48.

قوة الحملة من أجل تحقيق النصر، ويعتبر في حد ذاته إشارة إلى قوة أولاد نايل[1]، كما خضع أهل تاجموت وعين ماضي لخدمة الباي، ففرض عليهما قسطا معتبرا كل عام، فقبلوا ذلك وشرعوا في الدفع، وأذعنت مشائخ بني الأغواط وعلمائها بالطاعة مقابل الأمان، فقال لهم الباي محمد الكبير:"إن أتيتم بما ذكرتم، ووفيتم بما وعدتم، فلكم مني الأمان"[2]، لكنهم نقضوا العهد فيما بعد، لعل السبب يعود إلى تحمل شريحة كبيرة من المجتمع الريفي عبئ الضرائب أواخر القرن 12هـ/18م، الأمر الذي أدى بها إلى خروجها عن ولاء العثمانيين[3] فدفع بالباي محمد الكبير إلى الرجوع للمحلة وجمع كبراء قومه واستشارتهم في كيفية قتالهم فوجد الكل متفقين على رأيه ومسَلمين أمرهم إليه، فبدؤوا بهدم الأسوار، وأوصاهم ألا يقطعوا الأشجار والنخيل[4]، ففي وقته انتشرت العافية وتآخت القبائل واصطلحت وتركت الفساد والعناد[5]، فقتلوا وأسروا منهم جماعة وأصابوا من بني الأغواط وأحلافهم الكثير وفرّت البقية من شدة الهلع، وأرسل إليهم كتابا يقول فيه:"بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، إلى كافة علماء بني الأغواط، بعد السلام عليكم ورحمة الله:إن بلغتم كتابي هذا أخرجوا غدا عيالكم وأولادكم من هذه الظالم أهلها، وانحازوا خارج المدينة إلى جهة وعليكم أمان الله، وإن خفتم من بعض العسكر أن يوقع بكم وكلت بكم من يحرسكم، ولا تختلطوا بالقوم التي أراد الله هلاكها، فإن قبلتم النصيحة فاحذروا الفضيحة، وإن أبيتم فإثم أولادكم عليكم والسلام"[6].

فأبهرهم الباي بحسن معاملته معهم وحلمه عليهم، فقدم إليه العلماء ومدحه أفصحهم لسانا بأبيات ودعا له بالنصر وطلب منه العفو، فاشتكوا للخليفة ضعفهم والتمسوا شفاعته مقابل أداء ما توجب عليهم، فقبل طلبهم، غير أنهم طلبوا منه أن يكتب لهم بالأمان، فامتنع من الكتابة ورفض التراجع عما فرضه على أن يكون ذلك كتابا بينهما، فرجعوا لأهلهم

[1]-الشافعي درويش:"علاقة قبائل أولاد نايل بالسلطة العثمانية في الجزائر من خلال كتاب رحلة الباي محمد الكبير"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 04، ع 01، ص ص841-859، جامعة زيان عاشور، الجزائر، 2020، ص 854.

[2]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص49-52.

[3]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 302.

[4]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص54، 55.

[5]-الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 290.

[6]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 59.

مبشرين، وأدوا ما عليهم من خيل وخدم وعروض، وبعد نزوله بعين ماضي استشاره أهل تاجموت[1] حول كيفية الدفع، فأعلن أهل عين ماضي طاعتهم له[2]، ثم خرجوا بنسائهم وعلمائهم مقدمون النساء أمامهم كعادتهم، لكن السلطان أذن للعلماء في التقدم، حيث كان محبا للعلماء والصلحاء، قريب الغضب، سريع الرضا، شديد الحزم والأوامر والإمضا[3] ففرض عليهم لزمة خفيفة وأمنهم، وقدم إليه أولاد يعقوب القبالة لدفع ما اشترط عليهم فدفع أهل عين ماضي ضريبتهم وتعذر عليهم جزء منها، وقدم بنو الأغواط اللزمة وما بقي منها يحملونه إلى معسكر.

وجاءه بنو ميزاب طمعا في نقض عهدهم مع بني الأغواط ليخرجهم من بلادهم ويسلمهم إياها، إلا أنه رفض ذلك وتركه مسألة بينهما مستثنيا قضية أسرى بني ميزاب آمرا بتحريرهم[4] وعودتهم إلى بلدهم وذويهم بعد إطلاق سراحهم من الأغواط[5] ، وقد قدم إعانات مادية ومعنوية لكل من كان بعين ماضي، فعفى عمن عفى وأصلح وساعد من بحاجة إليه من قبائل وجند[6]، فكان حلمه أمر شهير، فما عاقب أحد في حق أو غيره إلا صار بعد ذلك يحنو عليه ويحسن إليه[7]، وقام بإرجاع كل ما ضاع من القوم إليهم من خيل وإبل[8]، فتميز بالكرم والجود والإحسان، فاعتلى مقداره على الملوك[9]، وبذلك تمكن الباي من تحقيق غايته بطرق مختلفة بين الحنكة والقوة وغيرها، فنال مدح بعض أدباء العصر بقصيدته الهمزية تزيد على الخمسين بيتا منها:

وَمَنْ خَصَّهُ الرَّحْمَنُ بِالمَجْدِ وَالعُلاَ وَحَازَ الفِخَارَ وَالمَعَالِي سَنَاءُ[10].

---

[1]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص60-64.

[2]-المصدر نفسه، ص 68.

[3]-الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 290.

[4]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص69، 70.

[5]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية....، المرجع السابق، ص110.

[6]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 71.

[7]-أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 150.

[8]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 77.

[9]-أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 150.

[10]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 72.

وقيل فيه أيضا:

ذُو المَفَاخِرِ أَعْيَتْهُ مَآثِرُهُ مِنْ دُونِ أَدْنَاهَا وَقَفُوا عَلَى العَدَمِ[1]

كما استقبلت المحلة بالضيافة في العديد من المناطق التي قصدتها، مثل أولاد عوف فقدمت الإبل إلى غريس[2] التي كانت تنتظر قدوم الباي، فوردت عليه الناس من معسكر باستمرار، وبات أكثر الناس يراقب الصبح كأنهم في أعياد، وزالت عنهم كل الأحزان فقيلت فيه أيضا أبيات منها:

لَعَمْرُكَ قَدْ سُرَّتْ بِلاَدَ المَغَارِبِ سُرُورَ ضَمِيءَ بَشَرٍ بِالمَشَارِبِ.

وفي غريس قسم الإبل التي تعرضوا له بها، كتعويض لمن ضاعت منه من قبل، ثم دخل معسكر وقد تحقق له ما أراد[3].

ومن خلال ما جاء في الرحلة فإن الباي محمد الكبير عمل على توسيع نفوذ العثمانيين من خلال غزوته للجنوب الغربي، كما كان يريد قطع الاتصال بين الجهة الغربية وعين ماضي، وتقوية نفوذ أولاد سيدي الشيخ على حساب أحمد التيجاني، وتأكيد قوته بحملته ضد الشلالة[4]، كما نستخلص من رحلته العديد من المميزات التي اتصفت بها شخصيته فنذكر منها قراراته الحاسمة وإقدامه على القيام بها على أساس الشورى، ويظهر ذلك في تقديره للعلماء وإعلاء مكانتهم، وأخذ الأمور على محمل الجد، بالإضافة إلى حلمه رغم قدرته وخاصة تُجاه الفئة الضعيفة من المجتمع وما يفيد الإنسانية.

---

[1]-الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 293.

[2]-غريس:يعتبر سهل غريس من بين أهم وأوسع السهول الزراعية الخصبة في الجزائر وشمال إفريقيا، ويقع شمال جبال سعيدة، وجنوب مدينة معسكر(أم عسكر أو الراشدية)، وسمي بسيط غريس غريسا لأنه كان مغروسا بأنواع الشجر المثمرة، وكان سكانه من بني زروال ومن ساكنهم من بني توجين ومغراوة.
يَنظر:لخضر العربي:"أعيان من أشراف منطقة غريس بمعسكر من خلال كتاب عقد الجمان النفيس"، معسكر:المجتمع والتاريخ، كتاب جماعي، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، 2014، ص ص137، 138.

[3]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص90- 92.

[4]-خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص 97.

7-أما رحلة أبي راس الناصر فقد صُنفت ضمن الرحلات الحجازية التي تحدث فيها عن أوضاع العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة، ومن أبرزها فتح وهران الثاني عام 1792م وغيرها من الأحداث[1].

وكما شهدت مرحلة الدايات خلال القرن 12هـ/18م في زمانه أوضاعا متدهورة داخليا وخارجيا، حيث ظهرت الثورات الطرقية، كثورة ابن الأحرش ودرقاوة والثورة التيجانية[2] وتمردات بعض القبائل[3]، كأولاد علي بن طلحة وفليتة وحميان وبنو الأغواط وغيرهم[4] والعصيان الذي قام به سكان فليسة[5] بالقبائل الكبرى عام 1767م الذي دام ما يقرب من سبع سنوات[6]، بالمقابل فإن علماء عصر أبي راس الناصر قد ساندوا نظام الدايات، ليس لتقربهم من السلطة بل الواجب يستدعي ذلك لتضافر الجهود من أجل القضاء على الفتن الداخلية والتصدي للمخاطر الخارجية المتمثلة في التحرشات الاسبانية ولا يتحقق ذلك إلا بالاستقرار السياسي الذي يمكن السلطة من التحكم في جميع الأوضاع ولشرعية ذلك جندت السلطة الحاكمة المثقفين لتبرر نفوذها على المجتمع ومقاومة المعارضين، حينئذ ظهر عدد هام من التآليف التاريخية، كان قاسمها المشترك تمجيد السلطة العثمانية القائمة، فقد نوه أبو راس من خلال ذلك بخصال بعض البايات أمثال مصطفى بوشلاغم الذي كان يرعى شؤون العلم، ومحمد الكبير 1792م فاتح وهران فأشاد بفتح وهران، والقضاء على الأسبان من خلال

[1]-عبد الجليل شقرون، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي أحمد دراسة و تحقيق، رسالة دكتوراه في تحقيق المخطوطات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2016-2017، ص ص47، 48.

[2]-حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط 1، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص ص23، 24.

[3]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 20.

[4]-أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص145، 146.

[5]-سكان فليسة:كانوا سكانا جهلة لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين، وكان فيهم من يتبع الكتاب والسنة، وكانوا من جملة الجاهلية، يقتل بعضهم بعضا ويقطعون الطرقات على المسافرين، ويسرقون، ويمنعون البنات من الإرث.يَنظر:أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص 44.

[6]-يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص49.

كتاباته في مختلف تآليفه، كما ذكر الدور الذي لعبه الدايات في الدفاع عن حدود المغرب الأوسط، وتحقيق استقلاليته[1].

وبذلك يمكن القول أن السياسة التي انتهجتها السلطة العثمانية منذ قدومها إلى الجزائر والتي كرسها حكامها متمثلة في الممارسات التي ظهرت خلال حكمهم، كالتفرقة الاجتماعية وفرض الضرائب ومحاباة فئة من المجتمع وعزل البقية وتهميشها، لم تعد بالإيجاب على مختلف المجالات سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا، ثقافيا وصحيا نظرا لانتشار الثورات والتمردات الداخلية ضد الحكم خاصة في منطقة الجنوب الغربي والصحراء وهو ما عطل حركة التقدم والانفتاح ومواكبة التطورات الخارجية، غير أن هناك من الحكام من كان له أثر إيجابي، وكمثال على ذلك ما ظهر في شخص الباي محمد الكبير الذي أعاد للسلطة معناها الحقيقي من خلال انجازاته التاريخية.

لقد كانت هذه الاضطرابات السياسية الداخلية منها والخارجية من العوامل التي أثرت كثيرا على الحياة الفكرية والأدبية والثقافية عموما، بل أنها كانت السبب في كثير من الأحيان في عدم الالتفات إلى التعريف بالشخصيات العلمية والأدبية، فضاعت مجهوداتهم وفقدت الكثير من أعمالهم، وتصنيفاتهم، بما في ذلك الكثير من رحلاتهم.

وإذا كنا اليوم نعرف شخصيات بعض الرحالة الذين عاشوا في العهد العثماني، وكذلك نعرف رحلاتهم، فإن هناك شخصيات أخرى ملتبسة ما زال الغموض يكتنفها ،سواء في شخصيتها أو في رحلتها، إما بسبب ضياع المؤلفات والتصنيفات أو بسبب حجزها في مكتبات خاصة.

ثانيا- الحياة الاقتصادية خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م:

كثير من المظاهر الاقتصادية قد لفتت انتباه أنظار الرحالة وأثارت فيهم أحاسيس الإعجاب والاستحسان، حيث تحدثوا عن أنواع المزروعات المنتجة وتعيين مواضع

---

[1]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص ص20، 21، 24.

الأسواق والإشارة إلى بعض الصناعات التي اختص بها بعض الأهالي[1]، كما توقفوا عند الكثير من نقاط المياه والأنواع المختلفة من الأنعام وإنتاجها الوفير.

1-هذا ما تحدث عنه العياشي إثر مروره ببعض المناطق، إذ وصف لنا تلك الحالة الاقتصادية في بعض الأماكن التي شاهدها، فيذكر مثلا قرى بني عباس ووفرتها على النخيل الكثير والفاكهة والبساتين والمجاري من المياه العذبة[2].

كما شهدت قرى تسابت حركة وتبادل تجاري نشيط، فتباع هناك نقدا ومقايضة الخضر والفواكه والتمور، ضف إلى ذلك الأنعام، كالخيل والإبل على أنواعها ومعاملاتهم في ذلك تقدر بأربع وعشرون موزونة، ومثقال الأربعيني يعادل مثقال شريفي نسبة للأمير الشريف حاكم سجلماسة، وقد أشار الرحالة أن صرف الذهب رخيص بمنطقة توات التي تعد مجمعا للقوافل التجارية من مختلف الجهات، كمنطقة تنبكت التابعة لمالي وبلاد أكيدز من أطراف السودان، وتنوعت فيها البضائع والسلع، كالخيل وملابس الملف والحرير، وبقدوم الركب إلى أسواقها تزداد حركة ونشاطا[3]، وبذلك تعتبر هذه المنطقة نقطة أساسية تعبرها القوافل التجارية والدينية لما تميزت به من أسواق ورخص للسلع حتى أصبحت تجذب أيضا جميع القوافل المارة داخل إقليمها[4]، كما تميزت بلاد أوكيرت[5] التي هي عبارة عن قرى كثيرة ذات نخل وافر وتبادل تجاري، حيث اشترى منها الركب الزاد وبدلوا الإبل ما ضعف منها[6].

---

[1]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 96.

[2]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 76.

[3]-المصدر نفسه، ص ص79، 80.

[4]-رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2014/2013م، ص 28.

[5]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص81.

[6]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 71.

وتعرف منطقة زيرارة بمياهها الجوفية والعذبة، وتفرقت هذه المنابع عبر المناطق التي مر بها الرحالة، ومنها ماء أبي الرغاوي بالقرب من مصلى السيد الحاج أبي حفص فتحتوي تلك المنطقة على كلأ كثير، أما الغنم فهي قليلة.

وعند توجهه نحو واركلا أشار إلى تناقص نقاط المياه، لكن كثرة في النخيل والزرع والإبل والغنم والسمن واللحم[1] التي قدمت بها قافلة من الأعراب، فاشترى منهم الركب ما احتاجوا إليه بأرخص الأثمان[2]، ويتعامل أهل المنطقة في تجارتهم بدراهم نحاسية، فكل 24 منها تقابل ربع ريال، وعن عملية استخراج المياه عندهم فتكون بواسطة الحفر الشاق فتفيض من تحت الصخور كميات كبيرة من الماء، ونفس الأمر يحدث عند أهل وادي ريغ[3]، وأما بوادي سوف فهناك مياه عذبة وغزيرة، وليست بعميقة، ونخيل، وأنواع من الخضر والبقول التي يعالجها الفلاحون بفضلات الإبل بعد غرسها، بالإضافة إلى ممارسة أهلها هواية الصيد التي تعتبر مصدر معيشتهم، إلى جانب التمور وأجود الثمار، وتُخزن منتوجاتهم في زرائب من جريد النخل[4].

وفي ضحى يوم الاثنين نزل خارج بسكرة بسبب الوباء، واضطر الناس لدخولها لشراء الزاد، وجمعت هذه البلاد بين التل والصحراء، لذلك وجد فيها تنوع في الثروات كالنخيل والزرع والزيتون والكتان ومزارع حناء، إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها، فضلا عن وفرة في المياه، مما جعلها أحسن مكان للعيش لولا إجحاف عساكر الأعراب وحكام الترك عليها[5]، إلا أن الركب وجد غلاء في الأغواط إذ أن يُقدر مُدَين فاسيين بريال قمح، ويملك أهلها سمنا كثيرا، فيشتري الناس حاجته منه وقد بلغ الشعير حوالي ريال للصاع، والدقيق أكثر من ذلك، أما الإبل فهو قليل هناك.

[1]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص112- 114.

[2]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 83.

[3]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص118، 119.

[4]-المصدر نفسه، ص 123.

[5]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 101.

بينما في قرية الماية لم يجد الرحالة حتى ما يباع، إلا الملح مقابل الطعام بالمقايضة وفي بوسمغون وجد السلع أرخص بكثير من البلاد التي مر عليها الركب[1]، ويذكر بأن وادي جير[2] من الأماكن الغنية بالمياه حيث تعد نقطة سيول، فكل مكان فيها ينتهي بسد بالإضافة إلى وجود سد آخر بطاية الحمار، وساقية من الماء الجاري العذب بقرى بني عباس[3] (ينظر الملحق رقم 10).

ولما نزل العياشي ضحى بين قرية والن والقليعة وجد بها آبار كثيرة طيبة الماء، لكن قليلة النخل[4]، وبأولاد جلال ماء غزير عذب بين جبلين وأودية مساعد، ومياه كثيرة بمنطقة الأشبور والغاسول والكراكدة ووادي الناموس، لكن ما لاحظه الرحالة أن وادي بوكايس نضبت به المياه بعدما كانت وفيرة، عكس وادي زلمو ووادي بوعنان اللذين يجريان بالماء العذب[5].

2-ويذكر الهلالي السجلماسي في رحلته أن قرى بشار، ومنها قرية واكدة تشتهر بتمورها الوافرة، وتسقى مزارعها بنظام الفقارات، وفي أم الياس موضع فيه نخل، وماء قرب فقيق ويوجد في قصرها سوق لمختلف البضائع منها الجلود والبرانس متقنة الصنع، ورخيسة الثمن[6].

وأما أرض أم القرار الشرقية فهي قاحلة، والتمر فيها غال جدا ورديء النوعية عكس تمر أم القرار الغربية التي تسمى أيضا بأم قرار السفلى، فنوعيته جيدة[7]، وبوسمغون بلدة

---

[1]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص546- 548.

[2]-وادي جير(أو جر):يعتبر المعبر الطبيعي بين سهل متيجة في الشرق وسهول الشلف في الغرب، تحف به جبال موزاية وصماتة، ويشكل بمنعرجاته الكثيرة خانقا يسلكه طريق الجزائر-وهران، ويضطر المسافر إلى قطع مجراه في العديد من الأماكن لا تقل عن 14 معبرا.يَنظر:رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)، تر ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د ت، ص 61.

[3]-رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت...، المصدر السابق، ص 76.

[4]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 79.

[5]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص545- 551.

[6]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص146- 148.

[7]-المصدر نفسه، ص ص161، 162.

غنية بشعير ذو جودة[1]، الذي يتم علاجه أثناء الحرث وما بعده[2]، وبالقرب من قرية الكراكدة يوجد نهر جار وشجرات ومزارع[3]، إلا أن أهلها لا يملكون ما يقتاتونه سوى البلوط[4].

وصادف الركب إثر تنقله أعرابا يبيعون جلود البقر والمزاود والقِرب بسبب غياب المحصول من الزرع والتمر، لكنهم يقتاتون اللحم، وحالهم مزر، وأوضاعهم المعيشية سيئة[5]، وشاهد الرحالة أن أعراب قرية عين ماضي يبيعون الجلود واللحوم والإبل والأغنام، ولهم بحيرات داخل سورهم فيها أشجار وقرع[6]، كما سجل معلومات عن شهرة بعض المناطق بتربية أنواع الأنعام[7]، وكذلك هي كثيرة أشجار التين والرمان التي شاهدها الرحالة بقرية تجموت التي وجد بها أيضا نشاطا تجاريا من بيع وشراء لبضائع متنوعة كالبرانس والجلود المدبوغة والعطرية.

وعند وصوله الأغواط وصف خيراتها المتعددة والمتنوعة من نخل وشجر التين والسمن والشعير، لكن لقي بها الأسعار غالية[8]، عكس أهل قرية دمد[9] فقراء، فلا يكسبون سوى الدجاج والحمام، حتى أغنامهم فهي قليلة ويبيعونها ليقتاتوا[10].وتحدث واصفا تمر قرية سيدي خالد بجودتها، وأخبرنا بأفضلها التي يقال لها "الحرة" ورغم وفرتها فهي غالية[11]

1-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 165.

2-فاطمة بلهواري:"وصف الجنوب الصحراوي الجزائري في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط-رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي-"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 06، ع 07 ، ص ص37-47، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، ص 42.

3-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 170.

4-المصدر نفسه، ص 174.

5-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 176.

6-المصدر نفسه، ص ص180، 181.

7-فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص 43.

8-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص183، 184.

9-دمد:مكان يقع بمدينة مسعد ولاية الجلفة.يُنظر:لخضر بن محمد تناح الحمدي النائلي، المرجع السابق، ص 205.

10-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 198.

11-المصدر نفسه، ص 201.

أما بقرية أولاد جلال فيصف ما يميزها من ثروات كالنخيل والشجر التي تسقى بالآلة ويتاجر أهل البلد في التمر والشعير والدلاع، ويخزنونه لفصل الشتاء ليبيعونه للحجاج[1].

أيضا شاهد صاحب الرحلة بمدينة بسكرة وفرة في النخيل والمزارع التي احتوت على الخضر وشجر الزيتون وغيرها من الثروات[2]، وما لاحظه هناك هو بيع أهل البلاد للبغال والتمور، لكن مادة الدقيق غير موجودة لديهم، بل وجده يباع في قسنطينة إلى جانب الثياب والجلود[3]، وفي قرية سيدي عقبة فإن الشعير بها وفير ورخيس الثمن[4]، فقد رصد الرحالة في كل مرة غلاء السلع أو رخصها، كالغلاء الذي وجده في مدينة الأغواط[5] وأضاف واصفا قسنطينة بما تحتوي عليه من منابع المياه واتساع أراضيها للمزارع بفضل خصوبتها، حيث تنتج النخيل وشجر الزيتون ومحاصيل أخرى[6].

وعليه فيعتبر ذلك الوصف الذي تضمنته هذه الرحلة عن الأحوال الاقتصادية لبعض المناطق الداخلية والصحراوية الجزائرية التي جابها الهلالي عند عبوره لطريق الحج شهادة حية لما تزخر به من معلومات، كثيرا ما وردت عند غيره من الرحالة لهذه الحقبة التاريخية لكنها قليلة، فقد شدت انتباهه جوانب كثيرة من الأنشطة المختلفة لقاطني تلك المناطق في قوله:"وقد شهدت بصدق أحوالهم مشاهد "، حيث وصف بدقة ثرواتها التي غلبت عليها نقاط المياه في أغلب المناطق، وتنوع محاصيلها الزراعية والحيوانية، كما لا يمنع ذلك وجود الفقر ببعض النواحي.

3-يذكر الورثيلاني في رحلته المشهورة من خلال مشاهدته أن قسنطينة فيها أسواق كثيرة ودكاكين واسعة، واللحم فيها بكثرة مثل السمن والقمح والتين، وما أحسنها من زرع ودرع وضرع، فتأتيها القوافل من كل النواحي.

---

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 206.

[2]-المصدر نفسه، ص 216.

[3]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 218.

[4]-المصدر نفسه ، ص 220.

[5]-فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص 43.

[6]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 218.

لكن ما لاحظه صاحب الرحلة أن أشجار الفواكة قليلة هناك على الرغم من عذوبة ووفرة ماؤها الذي يُستغل في شتى مجالات الحياة[1]، وأما بقرية الجمعة فوجد بساتين وعيون في وسط العمارة نحو مائة عين كما قيل[2]، وبقرية الشيخ العالم سيدي أحمد بن مزيان بساتين وعين جارية وسط داره[3]، ووجد في بجاية فواكه كثيرة منها الزيتون والعنب والتين ما عدا التمر والليمون، وبقرب المدينة واد يسمى وادي آقبو[4]، أما في زمورة فتتوفر على مياه كثيرة، وأرضها ذات زرع وضرع بلا اشتباه، طعامها جيد وسوقها عامر مفيد، قليلة الأشجار، كثيرة الأمطار والعيون، وكثيرة الزيتون[5]، وعن منطقة قصر الطير فتبدو بادية قاحلة الأراضي، لكن عشبها أخضر صيفا وخريفا وبالمرجة ماء عذب سائغ شرابه وزرعه كثير، وكذا ضرعه.

وحسب ملاحظاته فنفس الثروات تزخر بها منطقة الولجة، حيث تمثلت في الجمال الكثيرة التي يمتلكها أولاد دراج، بالإضافة إلى ذكر المؤلف لمناطق أخرى، كبريكة ومدكال التي يقول عنها بأنها أول موضع يشاهد فيه النخل من جهة بجاية ومسيلة[6]، أما بسكرة واصفا نعمها فتتميز بكثرة النخيل، ووفرة المياه حتى بين المنازل، وأشجار مثمرة خاصة الزيتون[7] الذي يُطحن بطاحونات مائية، وكذلك مادة الكتان الجيدة، ومزارع الحناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول واللحوم والسمن التي عجت أسواقها بالجملة[8].

وتميزت بلدة زمورة بسوقها النشط، ووفرة المياه والمزارع والقمح[9] والسمن واللحم واشتهرت بصناعة الثياب الرفيعة والأنيقة من الصوف والكتان[10].

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 423.

[2]-الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، مج1، ص 15.

[3]-المصدر نفسه، ص 16.

[4]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 63.

[5]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 81.

[6]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 64.

[7]-Hadj Sadok(M), Op.cit , p 328.

[8]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 88.

[9]-Hadj Sadok(M), Op.cit., p 328.

[10]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص ص375، 376.

4-لقد أمدنا الرحالة الحضيكي في رحلته بمعلومات من خلال وصفه لكل منطقة مر بها فذكر خيراتها من أشجار ونخيل وفواكه ومياه، ومن بين هذه المناطق القنادسة وبلاد فقيق وبوسمغون ووادي الشُبور وقرية عين ماضي التي زخرت أراضيها بأجنة التين والعنب.

وذكر نقاط المياه الموجودة بالأغواط ووادي سيدي خالد، بالإضافة إلى النخيل والفواكه وحسب مشاهدته فقد تميزت المناطق الرابطة بين الأغواط وبسكرة بثرواتها المتنوعة من نخيل ومياه وفواكه وأشجار، فمدينة بسكرة وقرية سيدي عقبة غنيتان بخيراتهما وأهمها الماء والمزارع والنخيل وغيرها[1].

5-وعدد بن عبد السلام الدرعي وهو يصف خيرات المناطق التي مر بها، المتمثلة خاصة في نقاط المياه الكثيرة والمراعي والأشجار والمراتع وغابة الصفصاف والكلأ والوديان الجارية مياهها، إلا أن ما لاحظه بقرى القنادسة هو قلة المياه والنخل[2]، عكس قرى بشار وبعض المناطق القريبة منها، ففيها ماء عذب وكثير وحركة تجارية بالأسواق أين يباع ويشترى كل ما يحتاجه الحاج من كسوة وإبل وسمن، وتجتمع فيه مختلف الأعراب كحميان وغيرهم، فضلا عن غناها بثروات طبيعية من أشجار وثمار وأنهار، كما تحضى بمكانة تجارية مميزة لموقعها الهام الذي يمثل نقطة التقاء وعبور التجار من مختلف الأماكن، منها سجلماسة وتوات وتلمسان.

كما تطرق الرحالة إلى العديد من الأماكن التي لاحظ فيها الفقر من حيث المياه باستثناء بعضها التي تتوفر على تلك الثروة والنخيل كمنطقة أبي رزق[3](فخد من قبائل الأغواط) والذين انتبه لهم الرحالة عندما مولوا الركب الحجازي بكل ما يحتاجونه من الإبل حيث لفتت انتباهه مسألة رخصها وجودتها[4]، ووجد بمكان يسمى بلياطة الخيرات من الفواكه والخضر على اختلافها مثل البصل والخوخ والتمر، وبمكان يقال له الرصفا الحمراء خيرات متنوعة ذكرها الرحالة من خلال شهادته فوجد عندهم اللحم والشعير والدقيق كما

[1]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص ص83- 86.

[2]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص ص180- 184.

[3]-المصدر نفسه، ص ص187- 193.

[4]-عمر بن قايد:"منطقة الأغواط وجوارها من خلال رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي(ت 1239هـ/1823م)؛ قراءة اجتماعية ثقافية"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 09، ع 01، ص ص205-225، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018، ص 215.

تزخر بلدة تيوت بالنخيل وأشجار العنب والتين والرمان والخوخ، وذلك لغنى المنطقة بالمياه الجوفية والسطحية، على غرار مغدر الغنجاء وبئر أبي الغيران وخنق المدادي وقرية أبي سمغون التي توفرت هي أيضا على ثروة حيوانية كالأغنام[1].

ووجد الركب خلال سيره أماكن بها مياه كثيرة وعذبة كواد الخنافيس والدويس وارباوات والكراكدة وأشجارا ومزارعا بالأغواط وأجنة كرم وخوخ بالغاسول، لكن الماء بها قليل[2]، وتحيط بعين ماضي الأجنة والحدائق ترويها عين عذبة تنبع من سفح جبل بقربهم[3]، وقد ذكر العياشي تلك العين عند عودته بأنها في مكان منخفض بين جبلين به حسيان[4]، وأثناء سيره صادف كذلك عيون ماء كثيرة بمنطقة واد الحميضة وسلمانة والحواجب والبرج وعيون السلطان[5].

اهتم الناصري بالماء في جميع الأماكن التي أوردها في منطقة الأغواط وما جاورها فتحدث في كل مرة عن الماء وطبيعة المراعي، كذكره لعذوبة ماء الكراكد لا ينقطع صيفا ولا شتاء، وأن مياه عين ماضي كلها حبس على ذكورها دون إناثها، ومن ثمّ تطرق لقلة ماء وادي مزي خاصة بالصيف[6].

ومن خلال معاينته نقل لنا الرحالة الكيفية التي يتم بها سقي النخيل والأشجار بأولاد جلال، فيشير إلى استعمال مياه الآبار[7]، وقد نالت بسكرة حيزا واسعا من الوصف لدى الرحالة، وذلك لما تتمتع به من خيرات كثيرة ومتنوعة كالنخل والزرع والزيتون الناعم والكتان الجيد والماء العذب الجاري والرحوات الكثيرة التي تطحن بالماء ومزارع الحناء والفواكه والخضر والبقول، ووفرة اللحم والسمن في أسواقها.

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص ص187- 193.

[2]-المصدر نفسه، ص 197، 198.

[3]-المصدر نفسه، ص 204.

[4]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 108.

[5]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص ص208، 209.

[6]-عمر بن قايد، المرجع السابق، ص 210.

[7]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 216.

وهذا ما نقله العياشي في القرن 11هـ/17م حيث قال:"ما رأيت شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصن ولا أجمع لأسباب المعاش..." [1]، وقال عنها المؤرخ البكري:"...وهي مدينة كبيرة، كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وحواليها بساتين كثيرة، وفيها غابة كبيرة مقدار ستة أميال، فيها أجناس الثمار، منها جنس يعرف بالكسبا أو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس يعرف بالباري أبيض أملس، كان عبيد الله الشيعي يأمر عماله بالمنع من بيعه، والتحضير عليه، وبعث ما هنالك منه إليه، وأجناس كثيرة يطول ذكرها، لا يعدل بها"[2].

فالآبار التي توجد ببسكرة حسب الرحالة كثيرة وعذبة، وجنات تسقى من مياه النهر وبها أيضا جبل من ملح يقطع منه كالصخر الجليل، ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملونه في أطعمتهم.

ويذكر أن بطبنة التي تنتمي إلى مدن الزاب مياه وبساتين، وشاهد بسيدي عقبة أنواعا من الأشجار والمياه العذبة والمزارع الكثيرة والسوق[3].

وقيل في بلدة تهودة القريبة من سيدي عقبة:"تهودة كثيرة البساتين والنخيل والزرع وجميع الثمار"، وأما زريبة الوادي فهي تفتقر لهذه الخيرات، لكنها تشتهر بتسويق مادة القطران في قرب المصنوعة من الجلود، فيشتريه الحجاج للإبل، وأما أليانة وبادس هي قرى قيل عنها في الروض المعطار:"وبادس مدينة بينها وبين تهودة بالمغرب مرحلة وبادس لهما أسواق وبسائط ومزارع جليلة، يزرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه كثيرة سائحة"، ووُصفت الزاب في الروض المعطار:"الزاب كثيرة نخيلها فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة[4].

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 224.

[2]-المصدر نفسه، ص ص225، 226.

[3]-المصدر نفسه، ص ص227- 229.

[4]-المصدر نفسه، ص ص239، 240.

6-وجد الباي محمد الكبير بمنطقة واد العبد وهو في رحلته الكثير من الشعير[1] والخيل والجمال التي قدر عددها ب 500 جمل[2]، وفي طريقه التي مر بها وجدها أيضا غنية بالأنعام حيث بلغ عدد الإبل عما يزيد عن الألف رأس، وفاق عدد الأغنام الأربعة آلاف حسب شهادة كاتبه ابن هطال.

وبمدينتي تاويله والخضراء شاهد بساتين كثيرة ومزارع، ووجد أن تاويله أكثر عمارة ومزارعها واسعة، وفيها القمح والشعير والحبوب وفاكهة الرمان الكثير، كذلك منطقة تادمامة تزخر بالقمح والشعير وغير ذلك[3]، كما لاحظ أن أهل القعدة يملكون الكثير من الأبقار والوفير من الشعير[4]، ومدينة الزنينة-القريبة من الدبداب- تعد من المناطق الغنية بالقماش والغرائر والسمن وغير ذلك من مطامير القمح والشعير الكثير، ويملك أهل تاجموت وعين ماضي المال والصياغة والخيل، كما توجد عيون ومزارع كثيرة في منطقة الحواجب قبالة تاجموت، لكن الرحالة انتقد منطقة الأغواط بالخصوص لعدم صلاحيتها للزراعة[5]، ويتعامل أهلها في تجارتهم بعملة تسمى السلطاني[6]، وأما الضريبة التي يدفعونها فتقدر بخمسة آلاف ريال، إضافة إلى مائتين وخمسين بعيرا وأربعة أفراس[7] وفي طريقهم إلى الأغواط مروا بمناطق عديدة غنية بينابيع المياه من بينها المكدر والخير[8] والبيضاء[9] وتاويله وواد شلف وسبقاق وقرب مليانة[10] وبواد الدهان[11]، وتمثلت كل هذه النقاط من المياه في الآبار والوديان والغدران، وبالرغم ما ذكره الرحالة من خيرات إلا أن هذه المنطقة الصحراوية تبقى قليلة الاهتمام لدى الباي محمد الكبير لعدم صلاحيتها للزراعة كما

---

[1]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 36.

[2]-المصدر نفسه، ص 38.

[3]-المصدر نفسه، ص ص40- 42.

[4]-المصدر نفسه، ص 47.

[5]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 131.

[6]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص49- 51.

[7]-المصدر نفسه، ص ص61، 62.

[8]-المصدر نفسه، ص 75.

[9]-المصدر نفسه، ص 37.

[10]-المصدر نفسه، ص ص40، 41.

[11]-المصدر نفسه، ص 90.

قال:"وأجابهم لما طلبوه لشؤم بلادهم وقبح أرضهم...لا نبات فيها تعيش به الدواب ولا شجر بساحتها يكون منه الاحتطاب..."[1].

كما وجد عند قبائل أولاد يعقوب القبالة عددا من الإبل والخيل، وعند أهل عين ماضي الخيل والدراهم والشعير[2].

7-وأما في الجانب الصناعي، فحسب أبي راس الناصر لقد عرفت الجزائر في القرن 12هـ/18م إنتاجا وافرا ومتنوعا تمثل في منتوجات نسيجية وصوفية تقليدية أشهرها البرنوس والشاشية التي لقيت رواجا كبيرا في المبادلات التجارية داخل البلاد وخارجها فانتشرت عدة ورشات لصناعاتها، وتتصدرها برانس زمورة ومعسكر، غير أن صناعتها وتجارتها تراجعت مع بداية النصف الثاني للقرن18م، كما تميزت الجزائر أيضا بالمنتوجات الزراعية المختلفة مثل القمح والشعير والزيت، والتي تعتبر محاصيل ذات طابع تجاري، ففي سنة 1120هـ/1708م سمح الإنتاج الوفير للحبوب خاصة القمح بتصدير أكثر من 150 ألف شحنة من مختلف موانئ الإيالة[3]، حيث يذكر الأسير تيدنا(Thedenat) -في مذكراته- أنه كان يتم تصدير الحبوب والصوف والشمع من ميناء مستغانم، ففي سنة 1787م شحنت من تلك المنتجات 26 مركبا من ميناء أرزيو[4] الذي لعب دورا فعالا في المجال التجاري[5]، مما يعكس تطور الحياة الاقتصادية آنذاك[6]، كما توفرت على ثروة حيوانية هامة خلال العهد العثماني مثل الكباش التي كانت مصدرا لكميات وافرة من الصوف والجلود التي أُستغلت في صناعة البرانس والخيام[7].

---

[1]-رقية شارف:"الواقع الاقتصادي للجزائر من خلال نماذج لمؤرخين جزائريين نهاية القرن 12هـ/18م وبداية القرن 13هـ/19م"، مجلة العلوم الإنسانية، ع 41، 53-62، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014، ص 58.

[2]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص69، 70.

[3]-سمير مشوشة، المرجع السابق، ص ص296، 297.

[4]-احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني(مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص ص134، 135.

[5]-رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 131.

[6]-احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 135.

[7]-سمير مشوشة، المرجع السابق، ص 297.

ما يمكن استخلاصه من خلال هذه الرحلات هو أن أصحابها قدموا لنا تقريبا نفس الملاحظات ونفس الوصف من خلال تنقلهم مع الركب المرافق لهم، فمشاهداتهم ومعايناتهم تركزت جلها على ثراء المناطق التي مروا عليها بالثروات الهائلة من النخيل ومن مختلف الأشجار بكل أنواع الثمار والفواكه، وما تنتجه الأرض من خيرات من زرع وقمح وبقول وغيرها، فتميزت الأراضي بخصوبتها وبعض تقنيات السقي، هذا بالإضافة إلى التطرق بإسهاب إلى نقاط المياه المتعددة والمتنوعة في عذوبتها ومنابعها، كما تطرق الرحالة إلى الأسواق التي شهدت حركة تجارية مهمة من خلال البيع والشراء سواء بالدراهم أو عن طريق المقايضة، فضلا عن غنى جل المناطق بالثروة الحيوانية المتنوعة من إبل وأبقار وأنعام وغيرها مما يعكس غنى المناطق المذكورة بالحليب والسمن وكذلك اللحوم والصوف والجلود التي ساهمت في تميزها بالصناعات النسيجية والجلدية، كما لا ننكر أن هناك مناطق عانت من الفقر المطقع، فلا يملك أهالي بعض الأماكن حتى ما يقتاتونه في اليوم، ويعود ذلك حسب الرحالة إلى فقر أراضيهم بثروة الماء خاصة وقلة الثروة الحيوانية، وأراضيهم قاحلة، وبهذا لقد لوحظ التفاوت على مستوى القبـائل المتفرقة في طريقة عيشهم ومواجهتهم للمصاعب، ناهيك عن اللصوصية وعدم الاستقرار فيما يتعلق بمسألة الأمن.

ثالثا- الأوضاع الاجتماعية والصحية خلال القرنين 11 و 12هـ/17 و18م:

لم يكن الواقع الاجتماعي أحسن وضعا من الواقع السيـاسي في هذا العهـد، وهذا أمر طبيعي، فالتداخل بين مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية وغيرها أمر واقع لا خلاف فيه ذلك أن الحياة السياسية لا بد أن تلقي بظلالها على جميع مظـاهر الحياة، فهي المحور الذي تدور حوله جميع هذه المظاهر خاصة الحياة الاجتماعية التي سنحاول من خلال ما دونه بعض الرحالة المغاربة حولها أن نوضح صورة المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية وأن هذه الحياة الاجتماعية تبقى حياة مضطربة وغير مستقرة باعتبارها تجمع متناقضات.

1-لقد اقتصرت رحلة المجاجي على ذكر كيفية تنظيم ركب الحج الجزائري، فتحدثت عن العديد من الأمور المتعلقة بهذه المؤسسة، مثل دور أمير الركب وأصحاب بقية المهام

والتعرف على المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأمنية[1]، وكان يبدأ الإعداد لركب الحج بفترة زمنية كافية قبل انطلاقه، فأول خطوة الإعلان عن موسم الحج، إذ يجوب المعلن الرسمي المدن والقرى للإبلاغ عن انطلاق اللقاءات لوضع الطرق في تنظيم الركب، وكانت تتم هذه العملية بين الهيئة الرسمية والصلحاء من أهل العلم[2].

فتمثلت أدوار الأمير في الإشراف على أمور الركب كله، وأما الدليل فهو الذي يرشد الركب إلى الطريق ونقاط الماء وغيرها، بينما البراح أو المنادي فهو الذي يسمع الناس الأوامر الصادرة عن أمير الركب، بالإضافة إلى حاملي الرايات أو العلامين الذين يقومون بالإعلان وإعلام الركب عن المبيت أو الرحيل أو في احتفالات الذهاب والإياب.

كما يبين أن للأمير مهام أخرى كمسؤولية كراء الدور للمبيت في بعض المدن وتأمين ما يخص الحجاج من المؤن، إما بالشراء أو الإعانة التي يتحصلون عليها في طريقهم ويقوم الركب بشراء أو كراء الخيل والإبل كوسيلة للسفر حسب المؤلف بالإضافة إلى الدواب الأخرى كالبغال والحمير، ويعتمد البعض من الحجيج على المشي على الأقدام ويرافق الركب قطعان برعاتهم على طول الطريق، فيزودون الحجاج باللحم الطري، حيث وجدوا في الركب فرصة التنقل معهم لبيع مواشيهم.

ويشير الرحالة إلى المصاعب التي صادفت الركب كتعرضه للسرقة وقطاع الطرق خاصة في المناطق العمرانية أين يجتمع أجناس من الناس وتعمر أسواق، وحسب المجاجي أيضا فإن الطريق التي كان يمر بها والرابط بين مليانة وشلف من المناطق غير المؤمنة[3]، فعانى الحجاج الجزائريين من عدم وجود الأمن على كامل طريق الرحلة بسبب تمرد بعض القبائل والإغارة على الركب كعرب النمامشة وقبيلتا أولاد عكاز وأولاد صولة[4].

---

[1]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 139.

[2]-ليلى غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010-2011، ص 56.

[3]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص ص139- 142.

[4]-أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني(1518-1830 م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2017-2018، ص 147.

وكان الركب وهو في طريقه ينتفع من التجارة وحلقات العلم ولقاء الصالحين والتبرك بالمزارات، فيكرمون عند نزولهم ويستقبلون بشوق لأن الركب يضم أسرا وعائلات كعائلة محمد بن علي أبهلول[1] وأبو الحسن بن ناجي صاحب الخنقة الذي ذكره ضمن المجموعة التي حجت معه[2]، واستقبلوا بحفاوة في بسكرة من طرف قائد الجيش وأميره وفي جو بهيج.

وتكرر المشهد في مدينة الجزائر من طرف خطيب المدينة وجماعة من العلماء، حتى أوصلوهم إلى دار السلطان، إضافة إلى انتظارهم من طرف أحبابهم وأقاربهم من كل حدب وصوب[3]، إذ كان أهل القرى والمدن يستقبلون الحجاج بالطبول والمزامير وإقامة الولائم والأفراح وتجديد واجهات المنازل وفرشها، وحيثما حلَ الركب يلقى الضيافة والبشاشة من طرف السكان التي تملأ طريقه[4].

وقد حظي ركب المجاجي بكرم الضيافة ببسكرة ومدينة حمزة عند قبيلة بني موسى القاطنة قبيل مدينة الجزائر، فمدحهم وأثنى عليهم، لكنه مقت بعض الأخلاق الذميمة الشائعة التي حاول الخلاص منها، فتمنى العودة للحج مرة أخرى، حيث يقول في ذلك:

يُمَتِّعُ فِيهَا القَلْبَ وَالنَّفْسَ وَالحَشَا وَيَرْتَاحُ مِنْ أَرْضِ البِلاَدِ الذَّمِيمَةِ[5].

2-وحسب رحلة العياشي فقد تطرق إلى بعض من عادات أهل بلدة بوسمغون التي مر بها فيقول بأنهم يتجهون جميعا إلى صلاة العيد بأسلحتهم لاتخاذ الحجارة هدفا لهم حتى أثناء الخطبة والصلاة، وهو الأمر الغريب فيهم الذي لفت انتباه العياشي[6].

أما في منطقة توات فإن طلاق المرأة يستدعي شهودا ليشهدوا على عدم طلاقها إلا لتأديبها، فيقول أحد أهالي المنطقة في ذلك:"اشهدوا أني ما طلقت امرأتي إلا كي أكسر من صورتها وشدتها، فمتى أرادت التزوج استظهر بذلك الرسم"، فلا تتزوج إلا بعد الرجوع

---

[1]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 146.

[2]-ليلى غويني، المرجع السابق، ص 53.

[3]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 147.

[4]-أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 208.

[5]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 149.

[6]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 549.

إليه، ويعتبر ذلك حكما بينهم[1]، عكس ما كان متعارفا عليه، أي دون اللجوء إلى القضاء كما كان شائعا في المدن مثل الجزائر، أين كان القضاء يؤدي دورا بارزا وفعالا في عمليات الطلاق[2].ومن أساليب صد أعدائهم أنهم كانوا يمنعونهم من منابع المياه بردمها[3]، فوجدت جل مناهل الماء قد دفنها أولاد محمد عرب توات مخافة من عدوهم من قبيلة سعيد أن يغيروا عليهم[4].

وحسب ما ورد عن العياشي أيضا أن أهل بلدة مكوسا القريبة من واركلا يمنعون الحجاج من الدخول إليها حماية لأنفسهم ومخافة على أمنهم[5]، وتم حبسهم هناك بتهمة تواطؤهم مع سلطان واركلا ليأتي رجاله ويأخذون الأموال من أهلها لأن مكوسا من طاعة وادي ريغ وليست من طاعة واركلا[6].وشاع بين أهل بسكرة أن عرب أولاد نصر بن بوعكاز يغيرون على إبل الركب فتُمنع من السرح، وهو ما يحدث مشقة نتيجة حبسها والشراء لها مما يصعب الدخول للمدينة[7]، فتفاقمت أكثر كونها مناطق عبور خاصة لقوافل الحجيج، فقد شاعت هذه الظاهرة بكثرة في المناطق الصحراوية[8].

وبين بلدة الدويسة وأولاد جلال يذكر العياشي أن أعرابها بما فيهم النساء والصبيان يدفعهم الجوع للسطو على ركب الحجاج على حافتي طريقه، فيغتنمون منه قوتهم، مما يرغم الركب للرجوع إلى وادي ريغ لاستفحال الخطر في المناطق المحاذية لها إلا في الليل.

---

[1]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 84.

[2]-خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006، ص 217.

[3]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 107.

[4]-عاشور سرقمة، المرجع السابق، ص 296.

[5]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 119.

[6]-عاشور سرقمة، المرجع السابق، ص 297.

[7]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 539.

[8]-رشيد حفيان، "الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م"، شهادة ماجستير، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2013/2014، ص 48.

وشاهد عند وصوله الأغواط تفشي الوباء بها[1]، مما جعل أهلها يتخذون إجراءات خوفا من انتشاره أكثر في المدينة، كما منعوا من دخول الناس إليها، ووصلوا حتى أنهم لم يفتحوا أبواب منازلهم عند البيع والشراء، بل كانوا يدلون الزرع مثلا من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه، تلك الظروف أدت إلى ارتفاع الأسعار في المدينة حسب شهادة العياشي[2].

وفي حديثه عن أحواز الكراكدة، يذكر بأن بعض الطوائف، ومن بينها عرب مولاي محمد والعمور أُشتهرت بالغارات والسرقة[3]، وفي وصفه للقبائل والمدن يذكر بأن قبائل من زريبة حامد، من بينها عرب نميلة وأولاد سيدي المبارك[4] بن ناجي اشتهرت بوجود أعلام يُتبرك بهم، وعرفوا آخرون بالكرم وحسن الضيافة، وذلك ما ورثوه عن جدهم حسب قولهم[5]، وسألوا العياشي عن بعض القضايا في أمور دينهم كمسألة الفرار والخروج من بلادهم مخافة الإصابة بوباء الطاعون الذي كان منتشرا آنذاك[6].

كما لاحظ أن أهل بلدة أكرك لا يقلون كرما عن سابقتهم، ففيها أمير يحسن ضيافة الحجاج، وعندما حل ببلدة تكرت قاعدة وادي ريغ ومسكن أمرائها أولاد جلاب وجدها تحت حكم أمراء توارثوا صفة العدل بين السكان، والشورى وتقديرهم لعلمائهم[7] ويضيف كذلك بأن أولاد صولة هم قوم من الأشراف عرفوا بنسبهم بين أهل البلد[8].

وعندما وصل الركب قرية أولاد جلال التي تعتبر من أكبر قرى الزاب، شاهد الرحالة جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين الذين يسمّون الغرباء مهاجرين، ولديهم مدرسة

1-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص544- 546.

2-محمد مزين:"المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول والقرنان 16 و17م"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 09، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995، ص 281.

3-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 548.

4-أولاد مبارك:لديهم نفس الجد الواحد وهو فقيه جاء من الساقية الحمراء مع زنجي يسمى مبارك كان بوابا له، استقر بتيوت أين تزوج حيث أنجب ثلاثة أبناء، وبعد أن وافت المنية الفقيه قام الزنجي مبارك بتربية أبنائه بعد ذلك تم تسميتهم أولاد مبارك كذكرى لهذا الزنجي الذي رباهم.يُنظر:خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص 145.

5-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص537، 538.

6-عاشور سرقمة، المرجع السابق، ص 298.

7-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص119، 120، 122.

8-المصدر نفسه، ص 539.



خاصة، ولا تؤدى لهم أتاوة[1]، وأما منطقة العوينة وأولاد سيدي مخلوف، الأشراف بها فقراء[2]، فقد بلغ الجهد منهم كل مبلغ إذ ذبحوا الفرس التي أعطاها لهم العياشي ليأكلوها[3].

وفيما يتعلق بالجانب الصحي فإن بلد سيدي عقبة وبسكرة انتشر فيهما الوباء حسب ما ذكره العياشي، مما أعاق دخول الركب إلى مسجد سيدي عقبة فبقى خارج بسكرة الذي أهلك الكثير من سكانها[4]، وأصاب الطاعون معظم سكان تلك البلدان[5]، كما سيطر الجوع على أهل قرية الماية، فغاب عنهم ما يقتاتون به لدرجة أنهم أكلوا لحوم إبل الركب التي ماتت[6].

3-كما نقل لنا الرحالة الهلالي السجلماسي البعض من فضائل سكان المناطق الصحراوية من حسن الضيافة والاستقبال والكرم الزائد[7]، وتلقاهم كبراء أهل قرية سيدي عقبة وأعراب أولاد صولة[8]، وحتى أولاد جلال بالبشاشة والفرح وحسن الضيافة، وقدم لهم أعراب نواحي تقرت تمرا كثيرا[9].وقد شغلت صاحب الرحلة قضية انعدام الأمن في غالب المناطق التي مر أو أقام بها فتطرق لها كثيرا في رحلته[10]، بحيث تفشت ظاهرة اللصوصية إلى حد القتل في غالب المناطق التي عبرها في صحراء الجزائر، فقد تعرض الركب للسرقة والتهديد والرمي بالرصاص ليلا قرب بوسمغون[11]، كالسارق الذي أخذ مدفعا من يد حارس الركب وسلبه برنسه وهرب، وعندما تبعوه رماهم بالرصاص.

1-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 106.

2-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص545، 546.

3-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 107.

4-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص539، 540.

5-عاشور سرقمة، المرجع السابق، ص 298.

6-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 547.

7-فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص 44.

8-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص219، 220.

9-المصدر نفسه، ص 207.

10-فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص 44.

11-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص162، 163.

ومن الدوافع لذلك النهب والسلب هو الحالة الاجتماعية المزرية، كالبؤس الشديد الذي تعود أسبابه إلى قسوة ظروف المنطقة اقتصاديا من نقص للماء وغيرها، مما يترتب عنه نقص في الكلأ، إلى جانب سطو القبائل الرحل على أموال وأملاك الناس[1].

واعتاد أولاد صولة تعرض طريق التجار الميزابيين المرافقين للركب، فينهبون منهم ما يملكونه[2]، فقد عرفت قبيلتا "أولاد عكاز" و"أولاد صولة" الظاعنتان بين الصحراء والسهوب الشرقية باعتدائهما على الحجاج، وسلبهم أموالهم وأملاكهم ورواحلهم، فطالت غاراتهم حتى الركب المغربي[3].

ولا ننكر وجود الأمن في بعض الأماكن التي تخلو من السراق حسب شهادة الرحالة نفسه، وهذا بعد مبيت الركب قرب بلدة الكراكدة[4]، وظل توفير الأمن في الطريق الشغل الشاغل للحجاج وذويهم بسبب كثرة اللصوص والمجرمين والحرابة على طول طريق الحج، فيستبيحون حمى الركب ومحارمه[5].كما فند الرحالة ما عرف عن أولاد جلال أنهم قطاع طرق، بل بالعكس حسب ما جاء في شهادته:"نحن ما رأينا منهم إلا الخير، فقد خرجوا زائرين للركب، وقد سمعنا أنهم عزموا على محاربة الحجاج، وخرج بعضهم بمدافعهم، فنهاهم طلبتهم وأهل الخير منهم فانتهوا"[6].

وعليه فإن هذه الرحلة قد كشفت عن حالة من الفوضى واللاأمن للعديد من مناطق بلاد الجنوب الجزائري خلال مرحلة الحكم العثماني، مما يقيم الحجة على غياب نفوذ السلطة الحاكمة في فرض وجودها لأجل ضبط سلامة المسالك، فقد عاش المجتمع الصحراوي خلال هذه الحقبة التاريخية وضعية مزرية تمثلت في البؤس والفقر نتيجة السياسة العثمانية المنتهجة من جهة وندرة المياه وقلة الأراضي الزراعية من جهة أخرى مما أحدث صراعا

---

[1]-فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص 44.

[2]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 220.

[3]-أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص ص147 ،148.

[4]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 170.

[5]-أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 146.

[6]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص206، 207.

بين مختلف القبائل[1].وامتعض الهلالي في رحلته من بعض السلوكات كعادات النساء في بوسمغون المتمثلة في تسوقهن رفقة الركب[2]، وتطرق في حديثه عن وجود زاوية للحجاج في بسكرة يزورها الدراويش، فيستقبلون الناس فيها ويضيفونهم أحسن الضيافة[3]، وأشار الرحالة إلى أحد أولاد المرابط الشهير سيدي الشيخ[4]، صاحب البيض[5] سيدي الحاج عيسى شاعر المنطقة[6]، ثم وصف حال أعراب أولاد نايل[7] بالمعيشة الصعبة، وأن أولاد مليك قوم يدعون الشرف[8]، وتحدث كذلك عن قوة وعدد قبائل أولاد جلال البالغ 700 رجل[9].ومن ثم انتقل إلى وصف مذهب وأخلاق أمزاب فيقول:**"...أن لا خير فيهم، بل هم خوارج إباضية"**، يخافون من الأعراب، ويحجون إلى تونس لاكتساب الفلس، ولا ينفعون الركب، ويغطون رؤوسهم وبعض وجوههم، وينزلون وسط الركب مع الصعاليك، وهم إباضيين[10]

---

[1]-أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص28، 29.

[2]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 79.

[3]-المصدر نفسه، ص 218.

[4]-أولاد سيدي الشيخ: قبيلة جزائرية انتشر أبناؤها في الجنوب الغربي من الوطن، أكثرهم رحل وقليلهم مقيمون مستقرون، ينتمون إلى الشيخ عبد القادر بن محمد المتوفي سنة 1023-1024هـ/1615م، ودفن بالأبيض وقبته تحيط بها مجموعة من القصور.ُنظر:مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 79.

[5]-البيض:عاصمة الولاية، قديما كان هنا قصر كبير يقطنه القراريج(الأغواط كسال)، وقد وجدت سرية جيري في سنة 1845م أطلالا معتبرة، هجر هذا القصر خلال فترة حديثة عقب حرب الأغواط كسال ضد جيرانهم، تأسست عام 1853م فوق موقع روماني، يؤرخ إنشاء مركز جيريفيل بتاريخ 1852م، المكان الذي أقيم فيه المركز يسمى البيض، يشكل القراريج أحد فروع كنفدرالية الأغواط كسال.يُنظر:خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص 153.

[6]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 184.

[7]-أولاد نايل:تنسب قبائل أولاد نايل إلى جدهم محمد بن عبد الله الخرشفي المعروف بسيدي نايل والمولود بفقيق جنوب المغرب الأقصى على الحدود الجزائرية المغربية نهاية القرن الخامس عشر أو مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وأحد أجداده هو سيدي عبد السلام بمشيش أحد أشهر علماء المغرب في القرنين السادس والسابع الهجري، وجده الأكبر هو إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة، انتقل محمد بن عبد الله إلى المغرب الأوسط قاصدا زاوية الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني الذي تتلمذ على يديه ونهل مختلف العلوم في زاويته وهو من لقبه بنايل، وعُرفت ذريته بأولاد سيدي نايل.يُنظر:سنوسي نائبي:"واقع العلاقات بين قبائل الهضاب العليا الوسطى وتخوم الصحراء والسلطات العثمانية في نهاية القرن 18 وبداية القرن 19م-قبيلة أولاد نايل أنموذجا-"، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع 8، ص ص 210-218، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2017، ص ص210، 211.

[8]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص199، 200.

[9]-المصدر نفسه، ص 206.

[10]-المصدر نفسه، ص 196.

من أتباع عبد الله بن أباض[1]، ويظهرون المسكنة والضعف مع أنهم في بلدهم جمرة من الجمار فيما يقال، ولم يذهب من جماعتهم للحج مع الركب إلا ستة نفر أو نحوها، وهم يرجعون في مذهبهم إلى أهل جربة التونسية أهل فتواهم[2].

4-ومن خلال رحلة الحسين الورثيلاني أنه حينما عزم رفقة ركبه من العلماء والفضلاء لأداء فريضة الحج ذاع الخبر[3] الذي من عادتهم بث خبره قبل شهور من بدء موسم الحج وهذا بعد حصول أمير ركب الحج الجزائري على موافقة السلطة المركزية[4]، فقرر بقية الناس من كل حاضرة وبادية ضرورة مرافقتهم رغبة في زيارة بيت الله الحرام[5]، فأقبل عدد كبير منهم على الرحالة من جبل زواوة، نحو 300 رجل، واشتغلوا بهم إلى أن ذهبوا إلى قسنطينة ثم إلى تونس بعدما ودع أهل بجاية، كما ودع في طريقه كل من سكان حمزة ووانوغة ووادي بجاية وغيرها[6].

وبلغوا بيت الفاضل سيدي أحمد الطيب، واجتمعوا بفضلاء من الناس بعدما زاروا أضرحة ومقابر زواوة[7].

أشار الرحالة أيضا إلى كرم أهل وعلماء قسنطينة، منهم الفقيه سيدي الحسن نجل الشيخ سيدي أحمد زروق بن مصباح[8].

وحسب الورثيلاني أن أهل زمورة لم يخفون جودهم، فأصروا على مبيتهم، ونذكر منهم عرش بني فرقان وأولاد عبد الواحد وأولاد أبي الهوشات وعلمائهم وفضلائهم وصلحائهم المضيفين، كالقرومي والعلامة سيدي محمد السعيد بن قري وإمام الجمعة سيدي محمد الصغير[9]

---

[1]-عبد الله بن أباض:المري التميمي مؤسس فرقة تحمل اسمه، وهو من رجال النصف الثاني من القرن الأول الهجري وأوائل الثاني، ظهر في بداية الأمر في حضرموت واحتل صنعاء.يُنظر: مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 86.

[2]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 197.

[3]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 7.

[4]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 86.

[5]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 7.

[6]-المصدر نفسه، ص 28.

[7]-المصدر نفسه، ص 13.

[8]-المصدر نفسه، مج 2، ص 703.

[9]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص 374.

وبعد العودة انتظر الركب سكان موطنه ووطن بني يعلى، ففرح بقدومه العام والخاص[1]، وإثر زيارته لضريح الولي الصالح سيدي محمد بن يحي اجتمع من وطن بني يعلى وبني ورثيلان جمع كثير ذبحوا واستضافوهم ضيافة كبيرة.

وحسب شهادة صاحب الرحلة أيضا فإن مناطق كلٌ من أهل إيلماين وزمورة ومن بني أحمد وبنو عشاش، نساؤها ورجالها تشهد نفس الحفاوة في الاستقبال وضرب البارود والفرحة بالضيوف والتردد عليهم بأعداد كبيرة، حتى عاد الركب إلى وطنه ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة عام 1181هـ/1767م[2]، وبهذا تميزت المناطق التي وردت في رحلة الورثيلاني بكثرتها وجودها وكرمها وتقدير علمائها.

ولاحظ الرحالة تفشي القتال والخصام بين أفراد المجتمع بسبب غياب السلطة النافذة[3] وابتعاد العامة عن الدين الإسلامي ورفض تطبيق أحكامه وعصيان أولي الأمر من الحكماء والصلحاء[4]، مما أرغم أهل الصلاح من سكان بجاية على إصلاح ذات البين حتى تعود العمارة إلى حالتها السابقة بعدما خربت، وكان لسلطان مجانة دورا في ذلك[5].

أما في قسنطينة فلاحظ كثرة السب والقبح واللعنة في أسواقها، لذا كثر الظلم فيها[6] ونفس الرذائل والمنكرات انتشرت بين أهل زمورة، فطغت نار الفتنة والمعاصي وانعدم الحكم فيها وابتعدوا عن الله[7] فأذاقهم لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون تعصبا وأنفة، فجار عليهم حكامهم .ومن أوصافهم البدع الشنيعة والأحوال الخسيسة والرذائل المخالفة للشريعة، فلم يتصفوا بالحق، فغلب عليهم الباطل، ولم يتب منهم إلا القليل، فترى جليسهم الفساق من الرجال ومن يخدع من النسوان، غير أن أولاد موسى بن يحي ولوا عن الظلم وامتثلوا للنصيحة فأفاض الله عليهم بكثرة الأموال[8].

---

[1]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 2، المصدر السابق، ص 702.

[2]-المصدر نفسه، ص 704.

[3]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص 45.

[4]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 72.

[5]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص ص7، 8.

[6]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص ص358، 359.

[7]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 81.

[8]-المصدر نفسه، مج 2، ص ص700-702.

ووجد الرحالة في أرض الحضنة عربا متفرقين، وقال أنهم أولاد دراج المنحدرون من قبيلة ربيعة[1]، فوصفهم بالجهل والجفاء والتعدي، وهم فرق عديدة، وقد تحصل الفتنة بينهم فيموت الثلاثون والأربعون في يوم واحد[2]، كما ساد بينهم كل أعمال الرذيلة من سرقة وبغض ونميمة وتعدّ وغيرها لابتعادهم عن الطريق السوي[3]، لكن فيهم أهل الخير من العامة والخاصة، فبينهم أفاضل وصلحاء من أولاد العريب وأولاد الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم وغيرهم[4].

واشتهرت قسنطينة بصلاحها، أمثال الحاج بن قانة صاحب الفضل والمكانة المرموقة إذ يستنصر الضعيف، ويصلح أحوال المجتمع رغم تعاقب الحكام واختلاف ممارساتهم،لكن عند عرب النمامشة تفشت ظاهرة السرقة والتمرد، فعاشوا هاربين في الصحراء[5] ومن العادات السلبية في منطقة زمورة أن نساءها باديات مكشوفات[6]، وكانت ظاهرة الاختلاط موجودة في الأوطان الجزائرية رغم أن هذه البيئة محافظة، ودعا الرحالة إلى محاربة هذه الظاهرة، وحث الناس على ترك السماع والغناء الذي يفتح بابا للمعاصي فحذر الرجال من ترك زوجاتهم وبناتهم وأبناءهم يحضرون التجمعات الصوفية الذي شوهه ذوو السوء[7].

وبعد عودة الورثيلاني من الحجاز في سنة الستين أشار إلى استفحال الوباء ببسكرة الذي هتك بكثير من سكانها، نحو سبعين ألف نفس[8]، ووجدها قد حل في قسم منها الخراب وقتل من أهلها عدد كبير، فلم يبق منهم إلا القليل الذين سكنوا خارج المدينة ابتعادا عن ظلم الأتراك العثمانيين[9]، وكان الطاعون أخطر هذه الأمراض خلال العهد العثماني بحيث أثر

---

[1]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 72.

[2]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 84.

[3]-المصدر نفسه، ص 86.

[4]-المصدر نفسه، ص 84.

[5]-المصدر نفسه، ص 107.

[6]-المصدر نفسه، ص 81.

[7]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 77.

[8]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 89.

[9]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 72.

كثيرا على الوضع الصحي للسكان[1]، واندثرت أسواقها وحماماتها، وطمست معالمها إثر الوباء، بالإضافة إلى جور الحكام الترك وظلم الأعراب فيها[2].

إن الواقع الاجتماعي المعاش في المجتمع الجزائري يعكس غياب العدالة الاجتماعية وعدم نفوذ السلطة الحاكمة وضعفها في تسيير الأمور والتحكم في زمامها.

5-وحسب ما جاء في رحلة الحضيكي، فقد تميز أهل بسكرة بالكرم وحسن الضيافة، ومن مظاهر ذلك استقبالهم للركب بالترحيب والتحبيب بالخيل والبغال المزينة، غير أن الرحالة حذر ركب الحجيج من الوقوع في فتنة جمال نساء بلدة عين ماضي اللائي يخرجن للتسوق مع الحجيج، ولا يبيع ولا يشتري في تلك البلاد غالبا إلا النساء، ولقد افتتن بهن عامة الحجاج، وهن متبرجات بزينتهن، لا حياء معهن ولا دين، وحُكي أنهن لا يصلّين أصلا ولا يغتسلن من الحيض ولا من الجنابة مخافة من الماء، مع أنهن ادعين الشرف.ولا تخلو المنطقة من خطر قطاع الطرق، حيث يتحدث الحضيكي عن ظهور الخيل ورجال متسلحة تركض نحو الركب الذي اجتمع ونصب العلام الراية، وتأهب الناس لقتالهم فتراجعوا.

كما ذكر أكثر من مرة الأماكن التي يتمركز فيها السراق مثل وادي الناموس وغسران الذي قال عنهم أنهم ينتهبون الحجاج كثيرا ويقطعون عليهم[3].

6-ووصف الرحالة محمد بن عبد السلام الدرعي المناطق الصحراوية-ومنها القنادسة- بالكرم وحسن الضيافة بالخيل والبارود التي اشتهر بها كذلك المرابطون من بني الشيخ بن أبي زيان، كهولا وشيوخا وصبيانا[4].

ومن القبائل الصحراوية ذكر:أولاد سيدي الشيخ مع من انضاف إليهم من أولاد زياد من حميان القاطنون في ارباوات وقبيلة من بلاد الأغواط كثيرة العدد، حيث يذكر الرحالة بأنها أعظم من حميان عُرفت سابقا بسطوها وسرقتها، فتابت فيما بعد، ونفس الطبائع أُتصف بها أهل أم قرار الغربية وأعراب حميان وغيرهم الذين كانوا ينهبون العطاء من أهل بوسمغون

---

[1]-سمير مشوشة، المرجع السابق، ص 299.

[2]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص 241.

[3]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص ص84- 86.

[4]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 184.

الضعفاء والفقراء[1].كما يؤكد أن أخطر الأعراب وأشدها سرقة ومكيدة على الحجاج هم أعراب وادي سيدنا خالد آل بوعكاز[2]، فحسب شهادة الرحالة التي أبداها في حق تلك الناحية، فإن أكثر البلاد سرقة واختلاسا هي بلاد الجريد خصوصا بسكرة وما والاها من بلاد الزاب كما ذكر من قبل[3].

ولقد راجت في بعض المناطق التي مر بها الدرعي عديد من الخرافات[4]، منها ما كان يعتقد فيه أهل ارباوات في تسمية قصر الريح الذي بناه سيدي الشيخ[5]، وعن الأغواط فهي محط القوافل التجارية والأركاب الحجازية، فيذكر الرحالة أن ركبه عندما خيّم في المكان المخصص خرج أهل المدينة كعادتهم لملاقاتهم مبرزين الكرم والفرح بقدوم الركب[6]، بالإضافة إلى ما لاحظه من عادات نساء منطقة الأغواط أنهن يرافقن ركب الحجاج وهن متزينات[7]، فيما يمتنعن نساء عين ماضي عن الاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس لاعتقادهن أنه يعقمهن، فضلا عن تركهن للحجاب، بل يبدين زينتهن في مرافقة ركب الحجيج، ويتولين أمور البيع والشراء[8].

7-أما من خلال رحلة محمد الكبير، فيذكر كاتبها ابن هطال بأن منطقة سبقاق عرفت بضراوتها وسرقتها، وهو ما تعرض له جيش محمد الكبير في حملته على الأغواط حين حاول قطاع الطرق الاستيلاء على ممتلكاتهم لولا فطنة الجند وجسارتهم[9].وتعددت قبائل هذه المنطقة التي ذكرها ابن هطال مثل الأغواط وحميان وعمور وسعيد وميزاب[10] وأهل

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 193.

[2]-المصدر نفسه، ص 209.

[3]-المصدر نفسه، ص 897.

[4]-المصدر نفسه، ص 193.

[5]-المصدر نفسه، ص ص197، 198.

[6]-عمر بن قايد:"منطقة الأغواط وجوارها من خلال رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي"(ت1239هـ/1823م)؛قراءة اجتماعية ثقافية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 09، ع 01، ص ص205-225، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018، ص 2015.

[7]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص ص197، 198.

[8]-المصدر نفسه، ص ص204، 205.

[9]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 43.

[10]-أحمد الشريف الأطرش السنوسي، المرجع السابق، ص 219.



أنقاد والأحرار الغرابة والأحرار الشراقة، ومشائخ الأعراب كأولاد خليف[1]، وطوائف العرب مثل أولاد صالح وأولاد يعقوب القبالة وأولاد يعقوب الغرابة[2] كالمخاليف[3] وغيرهم[4] كقصر العجالة وقصر الرحامنة[5]، ومن الرعية كأولاد خالد وأولاد إبراهيم[6]، كما لاحظ أن من عادات أهل عين ماضي تفضيل نسائهم على علمائهم ورجالهم[7].

ومما زاد في مصاعب الجزائر الداخلية في هذه الفترة حدوث زلازل مخربة في أعوام 1716، 1717 و1755م، وظهور الأوبئة في أعوام 1752، 1753 و1787م[8] حيث اجتاح مدينة الجزائر الطاعون سنة 1785م، وهتك ما يزيد عن 20 ألف نسمة[9]، وانتشر بها دون انقطاع إلى غاية منتصف سنة 1793م، فما بين 1792 و1793م قتلت حوالي 12 ألف شخص[10]، أيضا عنابة تدهور وضعها الصحي جراء اجتياح الأمراض والأوبئة لها طيلة فترات متلاحقة ما بين 1756 و1786م مما أثر على الوضع الديمغرافي والاقتصادي[11] وبعد زلزال وهران 1790م تبعته المجاعة عام 1792م، وبدأت تتناقص حالات الطاعون في الجزائر نهاية عام 1796م.

---

[1]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 39.

[2]-المصدر نفسه، ص 44.

[3]-المخاليف:سكان مدينة سيدي مخلوف، وينسبون إلى سيدي مخلوف بن خلف الله.

يقطنون بين الجلفة والأغواط، وينقسمون إلى 4 أقسام حسب تموقعهم:مخاليف الصحراء-مخاليف لزرق-مخاليف الشايفة-مخاليف أولاد ذايد قرب البروقية.يُنظر:لخضر بن محمد تناح الحمدي النائلي، إتحاف السائل بذكر نسب وفرق وألقاب أولاد سيدي نائل ومن جاورهم من الأعراش والقبائل، مطبعة بن سالم الأغواط، ط 1، الجلفة، الجزائر، 2019، ص 204.

[4]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 70.

[5]-المصدر نفسه، ص 75.

[6]-المصدر نفسه، ص 90.

[7]-المصدر نفسه، ص ص66- 69.

[8]-يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 48.

[9]-سمير مشوشة، المرجع السابق، ص ص298، 299.

[10]-Jean Marchika, op.cit, p 141.

[11]-ناصر الدين سعيدوني:"الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني"ص ص 86-109، مجلة الأصالة، ع 35/34، الجزائر، 1976، ص 94.

ثم عاد وقتل من 20 إلى 25 شخص في اليوم الواحد سنة 1797م[1]، فانتشر القحط والجفاف في بعض السنوات الأخرى مما أدى إلى موت الآلاف من الناس، وانتشر الفقر والبؤس، وقلت المؤن والمحصولات الزراعية، مما أدى إلى تذمر وتمرد الأهالي[2]، وهذا على الرغم من حرص الحكام على الحد من خطورة تلك الأوبئة، والتقليل من أضرارها بمختلف الوسائل، كإتباعهم لنظام الحجر الصحي، مع فرض رقابة صارمة على المناطق المصابة من أجل عزلها[3]، لكن هناك رأي آخر وهو أن ما زاد في انتشار تلك الأوبئة والأمراض وحدّتها هو جهل الأهالي بأبسط قواعد الصحة وعدم انتهاج سياسة صحية وقائية من قبل القائمين على شؤون البلاد من خلال المحافظة على النظافة وغير ذلك[4].

8-وأما عن التقاليد العثمانية، فقد دخلت بعضها إلى الجزائر، كمسألة شرب القهوة والدخان(الرنجيلة)، والسماع إلى الموسيقى، فانتشرت الأماكن الخاصة بذلك في الأرياف والمدن خاصة في مدينة الجزائر منذ القرن 10هـ/16م، فكانت قبلة لمختلف شرائح المجتمع بما فيهم الجند، حتى صار ذلك محل مسائل إفتاء لأبي راس الناصر وعلماء الجامع الأعظم.ونالت طائفة الأشراف[5] مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة عند الحكام العثمانيين فلا يُطبق عليهم ما يُفرض على بقية السكان، ويتمتعون بالحماية وكامل الحقوق والمزايا السبب الذي أغرق أبا راس في عداء أعيان غريس له، فضايقه أولاد سيدي دحو وأولاد سيدي علي الشريف وغيرهم، حتى كاد ينقطع عن التأليف[6]، ويرجع السبب حسب قول أبي محمد العربي المشرفي:"أما علمتم أن الشيخ أبا راس رحمه الله وسامحه، كان إماما عالما نافعا

---

[1]-Jean Marchika, op.cit ,pp 145-147.

[2]-يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 2، المرجع السابق، ص ص49، 50.

[3]-محمد الزين:"نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 17، ص ص129-135، جامعة غرداية، الجزائر، 2012، ص 132 .

[4]-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني...، المرجع السابق، ص ص51، 52.

[5]-الأشراف: ظهرت فئة الأشراف أوائل القرن 11هـ/17م، عددهم الهام وتوزيعهم عبر مختلف شرائح المجتمع جعل منهم جماعات قوية ذات نفوذ لكنها في ذات الوقت تفتقر إلى التنظيم المحكم، الأمر الذي أدى بهم إلى الاكتفاء بالتمتع بالامتيازات التي أكدها ودعمها العثمانيون، ولا سيما الإعفاء الضريبي.يَنظر:أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 242.وعائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص 88.

[6]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص ص21، 22.

مطاعا.....ثم إن النفس الأمارة بالسوء حملته على أن تكلم في المشارف وأولاد سيدي دحو بن زرفة،... ونفا نسبهم"، ويضيف قائلا :"أن أبا راس الناصري كتب عن شجرة المشارف الشريفة، وأخرجهم من الشرف، من سبيل الحسد..."[1]، وذلك بعدما كانوا معتبرين عند الملوك الأتراك العثمانيين، وكانت لهم ولاية في خطة الشريعة، أي القضاء[2].

وخلاصة القول أن هذه الرحلات تمثل قيمة توثيقية لتاريخ الجزائر في العصر الحديث نظرا للفائدة الإخبارية التي تزخر بها، كوصفها لصعوبة المسالك الغربية والشرقية من الجنوب الصحراوي الجزائري، وما كان يمثله هذا الطريق خلال تلك الحقبة التاريخية من مشاق ومخاطر سببها قسوة الطبيعة البالغة من جهة وتسلط الأعراب من جهة ثانية، مما ترتب عن هذه الأحوال انعدام الأمن، فتعرض المسافرون للموت في كل لحظة.

ورغم أن الجزائريين هم أصحاب الأرض، إلا أنهم يمثلون الطبقة الأفقر، فقد عانوا في هذه المرحلة من الفقر بعد أن أثقل كاهلهم بالضرائب بعض حكام الأتراك العثمانيون الذين كان همّهم الوحيد جمع الأموال والحفاظ على السلطة، ولم يكن لذلك أثره على الحياة الاجتماعية فحسب، بل تعداه إلى الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والصحية وغيرها إذ لم يعان السكان من الفقر وحده، بل عانوا كذلك من الأوبئة والأمراض، وهو ما يدل على نقص في الرعاية الصحية كمؤشر على مجتمع متخلف.

رابعا- الحركة الثقافية والعلمية خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م:

تحدثت العديد من المصادر المحلية منها والأجنبية عن وجود حركة علمية واسعة بالجزائر خلال العهد العثماني، وهذا ما عكسه انتشار جليّ للتعليم الذي مسّ كلٌّ من المدينة والقرية والجبل وحتى الصحراء[3]، إذ لا تخلو تلك المناطق من كثرة المدارس الابتدائية وانتشار التعليم بها، وبالتالي ندرة الأمية بين السكان الأمر الذي أبهر جميع الذين زاروا الجزائر خلال تلك الفترة، بالإضافة إلى وجود المساجد والزوايا والرباطات ولعبت الأوقاف

---

[1]-سمية مصدق:"الأنساب في منطقة غريس:عرض ببليوغرافي"، 157-177، معسكر:المجتمع والتاريخ، كتاب جماعي، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2014، ص ص164، 165.

[2]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، المرجع السابق، ص 231.

[3]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج 1، المرجع السابق، ص 313.

والصدقات دورا هاما في نشر التعليم وانتشار المؤسسات كالمدارس[1].كما لعبت المساجد والزوايا دورا كبيرا في الحفاظ على اللغة العربية والدين الإسلامي وتنشيط الحياة الثقافية، وانتشرت علوم اللغة وعلوم الدين، فقد تحدثت كتب الرحالة الأجانب عن انتشار التعليم وأن كل جزائري تقريبا كان يعرف القراءة والكتابة، وكان التعليم حرا من سيطرة الدولة والحكام العثمانيين، وكانت المدارس على مختلف مستوياتها تُموِّلها الأوقاف التي كانت تدعم وتحمي كذلك الطلبة والمعلمين[2].

1-فحسب الرحالة المجاجي، قد كان العلماء يتنافسون لمجالس العلم وحلقات الدروس للاستزادة من العلم والتعمق في التحقيق والبحث مثل ما فعله المؤلف نفسه، حيث أن الجانب الثقافي يلعب دورا هاما بالنسبة لطالبي العلم للأخذ عن العلماء أو اقتناء الكتب أو شرائها أو إعارتها، والاتصال بالمراكز العلمية المختلفة، والسعي لنيل الإجازات، كما فعل عبد القادر جيلالي بن عبد الرحمان بن محمد بن علي أبهلول، فكانت الرحلة تمثل إحدى الوسائل والعوامل الهامة لنشر العلم، وجعل رواده وطالبيه يطلعون على محتواه من مؤلفات أو آراء[3].

ويذكر المجاجي بعض المزارات بالجزائر، منها ضريح سيدي عقبة الموجود في القرية المسماة باسمه-سيدي عقبة- القريبة من مدينة بسكرة، ومقام الشيخ أحمد بن يوسف الملياني بمدينة مليانة، وتتكرر ظاهرة التبرك بالمقام أو الدعاء عنده، وأحيانا حتى التوسل بجاهه للمولى عز وجل، ليستجيب دعواتهم وقراءتهم لبعض كتب المتصوفة أحيانا ككتاب الشيخ الصوفي أبي عبد الله الجزولي[4].

وقد رافق الركب العديد من العلماء جلهم من المتصوفة كأبي الحسن علي(أبو حسون) الذي مدحه المجاجي بسبعة عشر بيتا من الشعر، وذكر توليه مشيخة زاوية جده محمد بن علي أبهلول وشقيقه عبد القادر الجيلالي الذي مدحه كذلك بعلو قدره في علم التصوف

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج 1، المرجع السابق، ص 274.

[2]-أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، عالم المعرفة، ط 2، الجزائر، 2009، ص ص159، 160.

[3]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 157.

[4]-المصدر نفسه، ص 158.

والزهد والتقوى التي ورثها عن والده عبد الرحمن وعمهما أبي علي وعمتهما السيدة عودة اللذين أثنى عليهما، ولم ينس والدهما الولي الصالح محمد بن علي أبهلول، فقد ذكر خصال السيدة عودة الحسنة، وهذا ما يبين أن المجاجي أعطى اهتماما ومكانة المرأة الشريفة في المجتمع الجزائري أنذاك في إعانة المحتاج، وكفالة اليتيم، وإطعام المسكين، وإكرام عابر السبيل، والدفاع عن المظلومين، كما ورثت من أبيها العلم فدرسته في زاويته بمدينة مجاجة القريبة من مدينة شلف، ونالت به التقدير والاحترام، وعرفت بالتقوى حتى شبهها برابعة العدوية، ومدح المجاجي عائلة محمد بن علي أبهلول في 53 بيتا، وصرح بحبه الشديد لهم وعبد الكريم الفكون أمير ركب الحج في أكثر من 22 بيتا ذاكرا خصاله[1]، فحسبه أن هؤلاء العلماء قد خففوا من صعوبة المسالك وطول السفر عن ركب الحج فقال فيهم:

فَنِلْنَا بِهِمْ خَيْرًا عَظِيمَهَا وَنِعْمَةٌ   وَمِنْ بَرَكَاتِ القَوْمِ فُزْنَا بِوَقْفَةٍ

قَطَعْنَا بِهِمْ ضِيقَ المَفَاوِزِ كُلِّهَا   بِلاَ تَعَبٍ وَلاَ كَثِيرِ مَؤُونَةٍ[2]

كما تأثر المجاجي بالجانب الروحي والفكر الصوفي وحب أهله ورواده، فلا يعلم بوجودهم في موضع إلا ويهب إليه بسرعة الأحياء منهم والأموات، وهذا ما نجده في المزارات في جل المناطق التي مر بها، ولذلك ندرك الميول والتوجه الصوفي للمجاجي فكان دائما يمدحهم ويتغنى بمناقبهم[3]، حتى النساء منهم لمكانتهن العلمية والاجتماعية، لذلك طغى على رحلته ذكر الشخصيات العلمية والصوفية ومناقبها.

2-ومما ذكره العياشي في رحلته وخلال مشاهدته وصف بعض المزارات المتمثلة في جملة من الزوايا منها زاوية سيدي أحمد بن موسى التي يوجد فيها قبره[4].

كما نقل إلينا بعض المعتقدات التي لاحظها في بعض المناطق، إذ يعتقد أهل قرية والا أن أول من بنى تلك القرية وأحياها رجل من الصالحين اسمه سيدي محمد بن موسى مدفون فيها، فيحترم العرب النازل بها ويتأثر من تعدى عليه منهم بذلك، ويأتون ببعض صدقاتهم

1-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص ص159، 160.

2-المصدر نفسه، ص 162.

3-المصدر نفسه، ص ص151، 152.

4-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 78.

إليه، ويوجد في روضته سفرا من نوازل البرزلي[1] بخط الإمام ابن مرزوق ومعه إجازات لبعض السادات القادرية بخط مشرقي[2].

وفي أول قرية من قرى تسابت التابعة لعمالة توات شوهد ضريح للولي الصالح عريان الراس تلميذ الولي الصالح المشهور سيدي أبي الرواين دفين مكناسة بالمغرب وحسب شهادة العياشي فيسود تلك القرية الجهل والأمية، وينعدم بها الأولياء والصلاح[3].

وأما بقرية القليعة كان ينزل الحاج سيدي أبو حفص بن الولي الصالح سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة المعروف بسيدي الشيخ، وحتى الآن يدعون أولاده بأولاد سيدي الشيخ، وله حرمة في هذه النواحي خصوصا ولده سيدي أبو حفص المشهور بأعمال الخير، وكثير التردد على الحرمين الشريفين إلى أن توفي سنة 1071هـ/1660م ودفن عند والده بمقبرتهم المعروفة بالأبيض[4] قرب بوسمغون وتؤثر عنه كرامات، وله أتباع وكان يسير غالبا للحجاز بعائلته، ويتبرك به الناس حتى الأمراء، وله مصلى ذكره رجل صالح لركب العياشي الذي صلى به[5].

وبقرية سيدي عقبة يوجد القبر المسمى باسمه وهو مزار لكافة الرحالة المغاربة، أما في بسكرة زار العياشي قبر الشيخ الصالح سيدي بوطيب نصير وبعض الصالحين الأحياء منهم

---

[1]-البرزلي:أبو القاسم بن أحمد، فقيه مالكي، ولد بالقيروان ودرس مدة بتونس، وتوفي بها سنة 841هـ/1438م، وله"جامع مسائل الأحكام ممن نزل من القضايا بالمفتين والحكام".يُنظر:مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 75.

[2]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص107، 108 .

[3]-المصدر نفسه، ص 79.

[4]-الأبيض (أو الأبيض سيدي الشيخ):يقع على بعد 120 كلم جنوب البيض، منبع ماء مهم، كانت ترتاده الزناتة وأسين الرحا ثم العرب من بني عامر انطلاقا من القرن 13م، يتعلق الأمر على الأرجح بغدير البقر، الذي ذكره يحي بن خلدون في القرن 14م، ظهر تحت اسم حاسي الأبيض في بداية القرن 16م، كان سيدي بوتخيل يأتي إليه للاعتكاف، أسس سيدي الشيخ زاوية في نهاية القرن 16م، أخذ اسم الأبيض امتاع سيدي الشيخ في بداية القرن 17م، بعد ذلك حذفت كلمة امتاع، ينقسم الأبيض إلى الأبيض الشرقي والأبيض الغربي، يكتفي أهله بصناعة القطران، يحيطه سور بمقدار 10 أقدام، وهو مسنن ومحصن بأربعة أبراج صغيرة، يفتح على باب واحد، ويُعتبر المعقل الروحي ومكان التجمع الأساسي للبوبكريين خاصة أولاد سيدي الشيخ، من بين معالمه القديمة نجد قبة وضريح سيدي الشيخ.يُنظر:خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص ص152، 153.(ينظر ملحق رقم 11)

[5]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص111، 112.

سيدي محمد بن بوعلي وهو من شيوخ البلدة وأكابرها[1]، وزاوية ومسجد سيدي الشيخ عبد الرحمان الأخضري[2] الإمام المشهور بالكرامات، وله مقدمة في الفقه مشهورة عند أهل ذلك البلد، وبيتهم بيت علم وصلاح، ومن المزارات الشهيرة في تلك البلاد[3] القبر المنسوب لنبي الله خالد بن سنان حسب ما يعتقد أهلها[4]، ومدحه الرحالة العياشي بأبيات لما مرّ بهذا المشهد[5]، وموضع آخر فيه مزارة تزار يقال أنه مات فيه الشيخ سيدي عبد القادر بن أبي سماحة[6].

كما لاحظ الرحالة أن المسجد ببسكرة لا يعمره إلا القليل، فلا ترى به مدرسا ولا قارئا مع أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة، لكنها تميزت بالأولياء الصالحين والوعاظ وطلاب العلم، ومنهم سيدي بو طيب نصير وسيدي محمد الصالح وسيدي عبد الواحد الرماني أحد فقهاء البلد الذي قرأ على العياشي صحيح البخاري واصطحبه لزيارة أبي الفضل وسيدي محمد بن بوعلي[7].

وفي مدينة واركلا جامع المالكية الذي يعكس من خلال خطبة الإمام المستوى العلمي والمعرفي الضعيف، وهذا حسب ما ذكره العياشي في رحلته عند حضوره لصلاة الجمعة[8] وبعدما سئل الإمام من طرف أحد أصحابه عن المهدي المدعو له في الخطبة فقال أظنه

---

[1]-صالح بوسليم وعمر بن قايد:"الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 21، ص ص267-278، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2015، ص 270.

[2]-عبد الرحمان الأخضري(920-953هـ/1514-1546م):ولد في بنطيوس من قرى نواحي بسكرة، وهنا أخذ العلم عن أبيه وشقيقه الأكبر، قضى حياته في التعليم والكتابة في زاوية عائلته في بنطيوس، وتخرج على يديه عدة تلاميذ، هاجم البدع ومن سماهم علماء السوء ودعا إلى العمل بالكتاب والسنة.
أقيمت على قبره قبة وأصبحت زيارته من المغانم عند الناس حتى العلماء منهم، وكان ولاة قسنطينة العثمانيين يعفون زاويته وعائلته من دفع الضرائب لمقامه الديني.يَنظر:أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص ص500-503.

[3]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 542.

[4]-المصدر نفسه، ص 548.

[5]-صالح بوسليم وعمر بن قايد، المرجع السابق، ص 270.

[6]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق ، ص 548.

[7]-المصدر نفسه، ص 540.

[8]-المصدر نفسه، ص 114.

النبي ﷺ[1]، ووجد بالمدينة خزانة للكتب تحتوي على أربعين سفرا من ضمنها التوضيح وحواشي على الصغرى، وحسب ما أورده العياشي فإن أهل البلد يهتمون بالمسائل الفقهية[2].

ومن الأخبار التي نقلها المؤلف أن سيدي محمد بن عبد الكريم التواتي ابن عالم توات في زمانه سيدي عبد الكريم قاضي توات، وبلده بتمنطيط، قد استقر هناك بعدما تفقه في ورقلة مدة من الزمن، وكان متمكنا في الفقه والنحو وعلم العروض، واشتهر بعدة تآليف منها: "ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية"، وشرح منظومة أبي الفرج الاشبيلي في ألقاب الحديث، كما سجل أن أهل البلد اهتموا بأمور دينهم، بالإضافة إلى تذوقهم للشعر[3].

وأما بزريبة حامد فالتقى العياشي بأهل العلم والفقه أمثال سيدي عبد الله بن محمد بن المبارك وإخوانه وبني عمه، فيقول أنهم أهل خير وبركة، ولهم رغبة في التعلم، ولكن ما لاحظه العياشي في بلاد الخنقة أن القلة من أهلها يهتمون بالتحصيل العلمي[4]، بل يهتمون بأمور الدين أكثر، حيث طرحت على العياشي وعلى من رافقه أسئلة عديدة ومتنوعة حول قضايا نوازل منها سؤال في نازلة من الأحباس والآخر في البيوع[5]، ومنها ما جاء على شكل ألغاز كألغاز الحريري التي يقول فيها: ما مثل قولي لكم، وفككت لهم ما سألوا عنه منها، وجاء المساء، فأنشدتهم بيتا من ذلك المعنى، فقلت لهم:

مَا مَثَلُ قَوْلَةِ قَائِلٍ يَا سَادَتِي ذَهَبَ النَّهَارُ وَذَلِكَ الضِيَا فَاتَ[6]

كما سألوا عن قتال أهل واركلا هل يحل لهم أم لا؟ إذ تحججوا بذلك بأنه يجب تغيير المنكر[7]، معتقدين في ذلك أن أموالهم ودماءهم حلال، وأنهم كفار بسبب ما فعلوه[8]، وسأل

---

[1]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 84.
[2]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 117.
[3]-المصدر نفسه، ص ص120-122.
[4]-المصدر نفسه، ص 538.
[5]-المصدر نفسه، ص 82.
[6]-المصدر نفسه، ص 120.
[7]-المصدر نفسه، ص 122.
[8]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 89.

بعضهم، هل يجوز الفرار من الوباء قبل وصوله إليهم في البلد أو لا يجوز بسبب تخوفهم من أن يدهمهم[1]؟

ولاحظ أيضا من خلال مخالطته للناس أن ظاهرة الخرافات قد تفشت وطغت، وتمثلت في الكثير من المعتقدات، كما انتشرت ظاهرة الزهد والكرامات وزيارة العلماء والتبرك بهم، بالإضافة إلى وجود مجالس للمذاكرة وإلقاء دروس فقهية من لدن علماء وفقهاء واهتمام أهل مدينة بسكرة حيث يترددون على تلك المجالس التي يطغى عليها التصوف الذي أعار له العياشي اهتماما بالغا.أما في ورقلة فلا مجال للحركة العلمية حسب شهادة الرحالة أبي سالم العياشي وحتى المؤلفات لا توجد بكثرة، وإن وجدت فهي عند أمير البلدة كما انعدمت الكتاتيب وأماكن حفظ وتلاوة القرآن الكريم.

3-أما من خلال رحلة الهلالي فقد نقل لنا جوانب من الأحوال الثقافية والعلمية التي وجدها بالمناطق الصحراوية، المتمثلة في مشاهيرها وعلماءها وفقهائها وأوليائها وأساليب ومستويات التعليم بها، حيث يشير بوجود زاوية كرزاز بمنطقة فقيق، صاحبها سيدي محمد بن عبد الرحمان، وضريح العلامة الشهير أبي محمد سيدي عبد الجبار وأولاده الأفاضل الكبار صاحب العديد من الكتب، وهذا دليل على وجود حركة علمية، إما تأليفا أو تعليما وتفقها كما وصف خزانة الكتب العظيمة الموجودة بالزاوية التي اشتملت على كثير من تآليف مهمة للأقدمين، وفي فنون متعددة، من بينها رسالة إمام الأئمة مالك رضي الله عنه في القضاء، والعسكريات والبغداديات في النحو، والسفر الأول من الإفصاح عن مسائل الإيضاح للفارسي[2]، والعديد من التآليف البالغة ثلاثة آلاف مجلد التي ورَثها سيدي عبد الجبار وأولاده، غير أن هذا العدد مبالغ فيه نظرا للإمكانيات والظروف القائمة أنذاك، أما حالتها فقد ظهر عليها التلف بسبب عدم مراعاتها والاهتمام بها والاستفادة منها، وبقيت حبيسة الخزانات بدون فائدة تتآكل بفعل التقادم.ويضيف قائلا بأن عائلة أولاد سيدي عبد الجبار، ومنها سيدي الحاج عبد القادر قد اشتهرت بمكانتها العلمية وكثرة تآليفها وكتبها كشرح الأزهري التي توارثها أبا عن جد ومن علماء المنطقة أيضا الفقيه سيدي أحمد

---

[1]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 538.

[2]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص148، 149.

الصايم إمام الأودغير الذي قرأ بفاس وتلمسان وكان يسأل في أمور كثيرة خاصة في الفقه ومن كتبه التقييد للصغير وفتح الباري للحافظ بن حجر...وغيرها[1]، وهو من أولاد سيدي منصور النازلين بقرية تيوت[2] من العرب المرابطين صاحبي المقام المرموق في المنطقة بفضل مكانتهم الدينية، يقرؤون القرءان الكريم ويحفظونه، كشيخ طلبة القرءان الكريم في بلدة قصر العبيد سيدي محمد بن أبي عثمان[3].

وشاهد الرحالة بضحوة زاوية القنادسة أحد رجال العصر الأعيان أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن أبي زيان الذي أسندت إليه مهام الزاوية بعد وفاة والده، ويساعده في ذلك الشيخ والعلامة أبو الحسن سيدي علي بن محمد بن عبد الله الحاحي[4]، ووجد بالزاوية مجموعة من الكتب منها:الاقتضاب لابن السيد البطليوسي على آداب الكتاب لابن قتيبة وهو كتاب مهم في ثلاثة أجزاء، ومكتبة بها حسن المحاضرة للحافظ السيوطي والإتقان له[5] وشرح الواحدي على ديوان المتنبي وكتاب في هيئة السماء والأرض، وكيفية تكوُن الحيوان والنبات منسوب لزكرياء محمد بن محمد بن محمد القزويني، وشرح دلائل الخيرات لسيدي أحمد بن أبي بكر الفقيقي، ذكر بأنه بخط مؤلفه[6].

وزار الركب بمنطقة بوسمغون سيدي محمد الصديق ثم اتجه نحو الكراكدة والغاسول ثم وادي مخيليف أين نزلوا بمنزل يُتعبد فيه[7].وفي قرية عين ماضي لاحظ الرحالة بأن الكثير من أهلها يحفظون القرآن الكريم ويقرؤون مختصر الشيخ خليل ورسالة ابن أبي زيد وصغرى السنوسي وكتاب ابن أبي جمرة في الحديث، ويسردون تفسيري الثعالبي والخازن

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص154-157.

[2]-تيوت:قرية تتألف من 100 إلى 150 منزلا، تقع على بعد 18 كلم شرق العين الصفراء، جمع للكلمة الأمازيغية طيط(عين ماء)، بها سدان صغيران يحافظان على المياه، من 12 إلى 15 برج، بابان أساسيان يدخلون بهما إلى القصر، بساتينها هي الأجمل بين جميع الواحات الغربية، استخدام الأمازيغية (الشلحة)إلى يومنا هذا، من بين المعالم القديمة ضريح سيدي عيسى الولي الصالح للقصر ولالة صفية أم سيدي يحي من أولاد نهار. يُنظر:خليفة بن عمارة، المرجع السابق، ص ص113، 114.

[3]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص156، 157.

[4]-صالح بوسليم وعمر بن قايد، المرجع السابق، ص 273.

[5]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص137- 139.

[6]-المصدر نفسه، ص 143.

[7]-صالح بوسليم وعمر بن قايد، المرجع السابق، ص 273.

وغيرهما، غير أنهم لا يعرفون من النحو شيئاً[1] حسب ما نقله الهلالي أثناء مشافهته لطلبتها، فوجد ألا مستوى لهم نظرا لظروفهم الصعبة في التحصيل العلمي حيث يكتفون بالأخذ من بعضهم وملازمة قراءة الفقه.

وألقت أيضا رحلة الهلالي الضوء على وضع اللغة العربية بمناطق عديدة من الجنوب الصحراوي الجزائري التي بدت متدهورة في عدم الالتزام بالقواعد النحوية خاصة، حيث يكتفي القراء بقراءة السهل، والعزوف عما هو صعب لأنهم لا يدركون أهميته ولا حاجة لهم به حسبهم[2].وحسب شهادته أيضا أن بمدرسة أولاد جلال يكتفي الطلبة بقراءة المختصر الفقهي فقط حسب قول الفقيه سيدي محمد بن سعيد[3]، ولما نزلوا بسكرة زار الحجاج فقيهها وصالحها الشيخ سيدي محمد بن المودع[4] الذي لم يبق بعد وفاته من يتعاطى العلم هنا إلا القليل الذين يقرؤون المختصر، وعلامتهم هو الذي يقرئ متن المختصر، ويحل أبيات الألفية[5].

وبالتالي لقد كشفت رحلة الهلالي عن انشغالات وحرص المجتمع الجزائري في تمسكه بالشريعة الإسلامية، وذلك من خلال تقييد هذا الرحالة لجملة من مسائل فقه المعاملات التي طرحت عليه عند حلوله، كما وردت عنه إشارات عن النحل المذهبية، كاكتساح المالكية في غالبية هذه الربوع، وانتشار الأمية، وضعف التعليم رغم المؤلفات التي تمتلكها بعض الأسر العلمية، وخزائن الكتب المتوفرة في بعض الزوايا، إلا أنها مهملة.

4-تحدث الورثيلاني في رحلته عن أهل الفضل والعلم الذين لقيهم، وزار كلٌ من الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري في قريته وسيدي خالد والشيخ الغوث أبا جملين في المسيلة[6].وأما في بجاية عائلة أولاد الشيخ سيدي بهلول أهل القرآن الكريم والعلم[7]، وبها

---

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 76.

[2]-المصدر نفسه، ص ص180، 181.

[3]-المصدر نفسه، ص 207.

[4]-صالح بوسليم وعمر بن قايد، المرجع السابق، ص 274.

[5]-المصدر نفسه، ص 217.

[6]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 6.

[7]-المصدر نفسه، ص 13.



طلبة علم أوصاهم شيخهم الورثيلاني بالعلم والمودة بينهم والطاعة لله تعالى[1]، فكان كثير التردد على بجاية خاصة في شهر رمضان من أجل الرباط والتدريس والقيام بالوعظ والإرشاد[2].

وعن جبل زواوة يقول عنه بأنه متميز، واشتهر بأوليائه أصحاب المناقب والآثار[3] وتعد منطقة الولجة الواقعة بأرض الحضنة لأولاد دراج أي أولاد ناصر عند أولاد الشيخ الولي الصالح سيدي رحاب محل العلم والحلم والفضل والأدب والشرف[4].

ومن أهل الزاب المرابطون كإمام مسجد الشيخ وأولاده وبعضا من الطلبة[5]، أما في بسكرة نجد الفقيه الفاضل سيدي محمد بن الجودي ومحمد الشريف والقاضي والمفتي وكذا بعض شهود العدالة والطالب الفاضل سيدي مصطفى وبركات وغيرهم من العامة والخاصة، وقبر الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري وسيدي خالد الذي قيل أنه نبي مرسل إلى جبل أوراس كما قيل أنه ولي.وما يعاب على بسكرة أن مسجدها قلّ عامروه وساكنوه، فلا ترى فيهم مدرسا ولا فقيها، ولا قارئا[6]، ويخلو الجامع الأكبر من طلبة العلم، وحفظة القرءان رغم أن المدينة حاضرة علم[7]، والسبب في ذلك سياسة الأتراك العثمـانيون الظالمة[8]، كما يوجد فيها مقابر عديدة، ويعرف أهلها بالفضل ومحاسن الأخلاق[9]، وفي قرية الخنقة اهتمام كبير بالعلم كالنحو والفقه والحديث وغيرها[10]، ولما خاض في الحديث عن مدينة قسنطينة لاحظ قلة مدارسها بسبب ضيقها، فتدهور حال التعليم فيها، غير أنها لا تخلو من العلماء والصلحاء

[1]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 28.

[2]-عبد القادر صحراوي :"الورثلاني:مقدمة عن رحلته وملاحظات عن فضل علم التاريخ والأخبار"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 9-10، 95-113، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، 2015، ص 100.

[3]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 34.

[4]-المصدر نفسه، ص 84.

[5]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص 198.

[6]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص ص86- 88.

[7]-المصدر نفسه، ص 109.

[8]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص 241.

[9]-المصدر نفسه، ص 243.

[10]-المصدر نفسه، ص 251.

الذين تراجع عددهم بعد ذلك لتكبرهم وعنادهم وعزوفهم عن الصلاح بسبب ثراء المدينة[1] وقد ذكر الرحالة فئة من علمائها كالولي الصالح سيدي سعيد السفري والعالم والولي الصالح سيدي يحي اليعلاوي ومثله في الفضل والعلم والأدب النحوي اللغوي الفقيه سيدي أحمد الزين وسيدي علي الزموري وسيدي إبراهيم الضرباني قاضي المالكية وسيدي شعبان بن جلول قاضي الحنفية وغيرهم من الفقهاء، ومحبتهم متبادلة فيما بينهم، ومنهم جماعة من العلماء والفضلاء والأدباء كبدر الدين بن سيدي عبد الكريم الفكون أمير الركب الحجازي كما تربطهم علاقة محبة مع الحكام.وتوجد في مساجد قسنطينة أضرحة تُنسب لها أسماؤها كسيدي أحمد بن عين الناس وسيدي أبي عبد الله الشريف وسيدي عبد المؤمن وسيدي عبد الكريم الفكون وغيرهم[2].

تطرق صاحب الرحلة أيضا إلى الخصومة التي حدثت في عين ابن الحاج بابا بين طلبة قسنطينة والعلامة سيدي عبد القادر الراشدي، فرموه بالتجسيم حتى بعضهم وصل إلى تكفيره[3] بسبب الحسد والبغض والتنافس العلمي، حيث نسبوا له كثرة الرشوة وضللوه فعُزل عن موضع القضاء[4].

وحسب شهادة الرحالة قد استولى الأتراك العثمانيون على كل مؤسسات التعليم في مدينة بسكرة، فاندرس بها العلم بسبب السياسة العثمانية، غير أننا لا ننفي وجود إنتاج فكري لبعض العلماء، إذ يقول الورثيلاني في هذا الشأن:"ومع هذا فإن أهل وطننا لم يعدموا علماء، ولا إفادة في كل العلوم أو جلها..."[5]، وهذا يدل على وجود حياة ثقافية بالجزائر طغت عليها الصوفية، مما أدى بالسياسة العثمانية إلى محاولة تقييدها[6].

5-وصف أبي عبد الله الحضيكي الكثير من المواضع والبقاع والمزارات التي شاهدها وصفا دقيقا، فحين نزوله بقصر بوسمغون ذكر بأنها سميت باسم شيخ صالح وأن هناك قبر

---

[1]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 2، المصدر السابق، ص 688.

[2]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص ص363، 366.

[3]-الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، مج 2، ص 697.

[4]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص ص372 ،373.

[5]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830 م، المرجع السابق، ص259.

[6]-المرجع نفسه، ص260.

حولها يزار في وقته، كما ذكر منطقة النخيلي التي كانت مأوى الصالحين ومجمع الأولياء وتطرق لمنطقة لشبور التي بها ضريح سيدي أبا يزيد البسطامي[1].

6-وأما رحلة الدرعي فسلطت الضوء على حالة الثقافة في معظم المناطق التي كانت عبورا لرحلته، ففي منطقة عين أم إلياس يوجد مصلى الشيخ الجد أبي عبد الله بن ناصر وضريح الإمام العالم العلامة الشريف الإدريسي سيدي عبد الجبار[2] وقبر جدهما سيدي منصور بنواحي تيوت، يزعمون أنه أخ مولاي عبد الله الغزواني دفين مراكش، توتر عنه كرامات وبقرب بوسمغون مسجد صغير فيه قبر في بعض زواياه[3]، وفي هذا المكان قبة جد أعراب بني طيفور[4]، وفي أولاد ماضي مقبرتهم وفيها سيدي أحمد بن الدهصاء[5] كما شاهد الرحالة بمنطقة عبد المجيد قبور الأعراب وسطها رجل صالح اسمه سيدي شارف المجيد، يسمى هذا المكان باسمه أي الشارف[6]، وخلوة الشيخ أبي زيد عبد الرحمان الأخضري[7]، وفي بسكرة زاوية أبي محمد بن صالح، ومن ذريته سيدي بركات بن محمد[8]، وبها المسجد الأعظم وقبر كلٌ من أبي الفضل النحوي وأبي الفضل السبكي وسيدي علي الأوداشي وسيدي محمد بن بوعلي وسيدي الرماني وسيدي الطاهر وغيرهم وبها جامع ومساجد أخرى[9]، ولا زالت قبلة للصالحين، ففيها رجل اسمه سيدي عمر من واد ريغ من بلاد تقرت، صاحب كرامات كثيرة، وزاوية سيدي عقبة نسبة إلى عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه[10]، وعن قرب من الزريبة خنقة سيدي ناجي وزاوية ابنه سيدي عبد الحفيظ مريد الشيخ بن ناصر ومحبه يتلى فيها القرآن الكريم، ويقرأ فيها سيف النصر، وهي عادة الزاوية الناصرية بدرعة[11].

---

[1]-صالح بوسليم وعمر بن قايد، المرجع السابق، ص 271.

[2]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 188.

[3]-المصدر نفسه، ص ص192، 193.

[4]-المصدر نفسه، ص 202.

[5]-المصدر نفسه، ص 205.

[6]-المصدر نفسه، ص 208.

[7]-المصدر نفسه، ص 218.

[8]-المصدر نفسه، ص 220.

[9]-المصدر نفسه، ص ص223- 225.

[10]-المصدر نفسه، ص ص227- 229.

[11]-المصدر نفسه، ص 241.

ويحظى صُلاح المنطقة بالاحترام، فبهم يتبرك الناس ويلتمسون منهم الدعاء، ومنهم محمد بن زيان من أولاد سيدي الشيخ دفين الأبيض من ذرية سيدي سليمان أبوسماحة دفين فقيق اعتزل عن الناس في خلوة يزار فيها[1]، وضريح العلامة الشريف الإدريسي سيدي عبد الجبار الذي يملك مع بنيه خزانة كتب عظيمة احتوت على دواوين، لكنها اندثرت حتى لم يبق منها أي أثر[2].وذكر الرحالة بأن قرية بوسمغون بها رجل صالح من شرفاء عين ماضي اسمه سيدي أحمد التجاني صاحب إجازات علمية الذي قدم من تلمسان مرغما من بعض أمراء الترك العثمانيون بها[3].

ومما شاهده أيضا أن الأولياء والسياح كانوا يأتون من كل بلد قاصدين المزارة المسماة بميسرة بالمخيلي[4] آخر بلاد أولاد أبي رزق(فخذ من الأغواط) من أجل العبادة وأنكر زيارتها أهل عين ماضي لكثرة الخرافات والمعتقدات السلبية بها، وأن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد، وبزعمهم أن الحج سينقل إليه إذا خربت الكعبة، وفيه مسجد بني بالحجارة، وبإزائه يطبخ الطعام، وفيه آلات الطبخ، كان مقصدا للناس من كل جهة وبه مقبرة عظيمة، وهو بذلك مكان معظم عند الخاص والعام[5]، مثل اعتقادهم بأن بهذا المسجد طاقة قبلية عن يمين المحراب على ما يقرب من قامة، يزعمون أن من قدر على الدخول من خارج لداخل كان ذلك علامة على سعادته، ومن لا فلا، ومنها أن بقربه كومة مكونة من الصخور، يزعمون أن النبي ﷺ جلس عليه.

إذن ما نستطيع قوله هو أنه باستثناء المسجد والزيارات ووجود الأولياء في تلك المنطقة، فكل ما ذكر من خلال ما اعتقده العامة في هذا المكان منبوذا لا أصل له في الدين الإسلامي، ومما يلاحظ في رحلة أبي سالم العياشي، أنه ذكر هذا المكان ووصفه بأنه مجمع الأولياء ومحل الزيارة، ولكنه لم يذكر شيئا من هذه الخرافات، ولا نبه على بطلانها، هذا

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 194.

[2]-المصدر نفسه، ص ص188، 189.

[3]-المصدر نفسه، ص 194.

[4]-المخيلي(أو النخيلي، النخيلة):هي واحة مهجورة تحتوي على أراضي صالحة للزراعة تابعة لبوسمغون وتبعد عن القصر ب 20 كلم ، وقد ذكرها العياشي والكثير من الرحالة المغاربة حيث كانت مكان إلتقاء الركبين الفاسي والسجلماسي في خروجهم للرحلة الحجية.يُنظر:صالح بوسليم وعمر بن قايد، المرجع السابق، ص 276.

[5]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص ص199- 201.

إذا ما كان قد عايشها أو لم يصادفها أصلا.وغالبية أهل عين ماضي شرفاء من أهل البيت من قبيلة بالظهرا تعرف بالتجاجنة يحفظون القرآن الكريم، وتقدم في أسلافهم العلم وبمسجدهم فقيه البلد سيدي محمد بن زيان فمنه يستمدون وعليه يعتمدون[1].

وتحدث محمد بن عبد السلام الدرعي في رحلته عن قبيلة ابن ازاب بأن أغلبهم إباضية خوارج، وممارساتهم منافية للدين الإسلامي، كأن يحلون الربا في البيوع، ولا يرفعون أيديهم مع تكبيرة الإحرام عند الصلاة وغيرها، ويدعون إلى دينهم ببذل الأموال.

ولاحظ بمدينة واركلا بأن هناك روافض لهم حرمة معلوم بها ومسجد خاص بهم وربما قاتلهم أهل السنة من سكان واركلا، فقد ذكر أبو سالم في رحلته شيئا من ذلك[2].

وقد اعتقد الناس أن خالد بن سنان نبيا، بجانب ضريحه مسجد ومدرسة صغيرة خالية من الطلبة وصومعة وخلوة ينزل لها بأدراج، منسوبة للإمام الجيلاني[3]، ومن الخرافات التي تكلم عنها أن ماء البئر الموجودة بجانبه يقولون بأن منبعها من زمزم، وهذا القبر الآن من المزارات الشهيرة في تلك البلاد، تقصده الأركاب للزيارة، يعتقد بكراماته، وأن سيدي عبد الرحمان الأخضري شاهد النور صاعدا من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليال أو نحوها وأخبر أنه قبر نبي الله خالد حسبما نقله الدرعي عن العياشي[4]، أو أنه أحد رسل عيسى عليه السلام الثلاثة المذكورين في قول الله تعالى: "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً اَصْحَٰبَ اَلْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا اَلْمُرْسَلُونَ"[5].

وفي قرية أولاد جلال لقي مدرسة فيها خزانة كتب ومسجد، وعُرف أهلها بحبهم لأهل العلم، منهم صاحب الرحلة الدرعي[6]، وفي منطقة البسباس مرابطي وطلبة العلم وحفظة

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 203.

[2]-المصدر نفسه، ص 207.

[3]-المصدر نفسه، ص 209.

[4]-المصدر نفسه، ص 210.

[5]-القرآن الكريم، سورة يس، الآية 13.

[6]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 216.

القرآن الكريم من أولاد سيدي محمد بن يوسف[1]، ولاهتمامهم بأمور الدين استفسروا الدرعي حول مجموعة نوازل[2].

ومن خلال ما تقدم ذكره، فإن مجتمعات الجنوب الغربي والصحراء الجزائرية تنوعت ثقافاتها، فوجدت فيها المساجد والزوايا والأضرحة والمدارس وخزائن الكتب والمؤلفات التي طغت عليها العلوم النقلية، ويعود ذلك لمشارب مؤلفيها وميولهم، غير أنها ظلت مهملة ولم يستفد منها خلفهم، كما أن مستوى التعليم كان ضعيفا إن لم نقل منعدما في بعض الأماكن، وغلبت عليها العامية، مما ساعد على انتشار الخرافات والمعتقدات السلبية التي مست بالدين الإسلامي.

7-لقد شاهد الرحالة أبو راس أهم المظاهر التي ميزت الحالة العلمية بالجزائر في العهد العثماني التي تمثلت في:المجالس العلمية التي تُجرى فيها مناقشات ومناظرات والإجازات فضلا عن العديد من العلماء والشيوخ، وانتشرت آنذاك ظاهرتي الحفظ والتقليد، بالإضافة إلى هجرة العلماء[3]، فبرزت خلال هذه الفترة على الساحة العلمية مدرستان، الأولى في الراشدية بمعسكر التي تخصصت وزواياها في تدريس الفقه المالكي وعلم التوحيد وعلوم اللغة العربية، أما الثانية فهي المدرسة الفقهية بمازونة التي اهتمت مع زواياها بتدريس المذاهب الصوفية[4]، بحيث كثر الاهتمام والعناية بهذه العلوم خلال العهد العثماني، فمن بين المواد التي كانت تُدرس وقتها في المجالس العلمية التصوف[5]، واعتبرت تلك المدرسة من أهم المراكز العلمية ومن أقدم المدارس التي تأسست في العهد العثماني، ويرجع الفضل في تأسيسها للشيخ محمد بن الشارف المازوني سنة1029هـ/1619م الذي درَس بها حوالي 64 سنة وتوارث أبناؤه المدرسة[6] التي نالت شهرة كبيرة بين المدارس بفضل التزامها بنظام وتقاليد

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 203.

[2]-المصدر نفسه، ص 184.

[3]-نبيلة شلابي:"الحالة العلمية بالجزائر في العهد العثماني(القرنان الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد)، من خلال رحلة أبي راس المعسكري"فتح الإله ومنته"، مجلة الإحياء، مج 19، ع 23، ص-ص 695 - 724، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2019، ص 717.

[4]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 10.

[5]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 472.

[6]-ليلى غويني، المرجع السابق، ص 89.

مستمدة من التعليم القديم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، واشتهارها بالخصوص في الفقه والحديث وعلم الكلام، واستقطابها طلاب النواحي الغربية، ولاسيما ندرومة ومستغانم وتنس وتلمسان ووهران، ومن أبرز خريجيها أبي راس الناصر[1].

وقد اشتهرت المدرستان وذاع صيتهما بعد هجرة علماء تلمسان نحو المغرب الأقصى واستقرارهم هناك، مما أثر على الحركة الثقافية والفكرية بتلك الحاضرة[2] التي وصفها أبو راس بعد عودته من فاس على أنها أصبحت كالميت القابر، حيث استولى على أكثرها الخراب، وناح على خاوي عروشها الغراب، وخامدة الحس، وضيقة النفس كأن لم تكن بالأمس الذي كانت فيه منارة العلم في المغرب الأوسط[3].

ومن أسباب هجرة هؤلاء العلماء والكثير من العائلات نحو المغرب الأقصى خاصة إلى فاس خلال ق 10هـ/16م، يمكن إرجاعها إلى سياسية واقتصادية وإلى أمور دينية وغيرها، فهاجروا عقب استيلاء العثمانيين على مملكة بني زيان، واستمرت تلك الموجة من الهجرة حتى بعد استقرار أوضاع العثمانيين، ولم تكن معاملة الأتراك العثمانيون هي من تسبب في تلك الهجرة، وإنما حتى تهدأ الفتن والمعارك بعد أن فقدوا راحتهم والجو الملائم والاجتهاد[4].

أما فيما يخص طرق التحصيل العلمي في تلك الفترة فكانت تقوم على الحفظ والاستظهار، فكان يتنافس كلٌ من الشيوخ والطلبة على رواية الشروح والمتون، وهدف التعليم أنذاك ديني واجتماعي، إذ تمثل غرضه في تقوية الإيمان وترسيخ الأخلاق الكريمة[5]، ويقوم التدريس في المسجد أو الزاوية على شكل حلقة الطلبة حول شيخهم، ولم يُعتمد حينها على نظام تقويم معين، وإنما يختار الطالب المواد التي يدرسها.

وللإشارة فإن ذلك النظام التعليمي لم يكن تابعا للدولة وخاضعا كليا لأهدافها، بل كان قائما على تلبية أغراض ووظائف نابعة من المجتمع، إلا في بعض الحالات أين كانت

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 285.

[2]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 10.

[3]-المصدر نفسه، ص 26.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص ص423، 424.

[5]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 10.

الدولة تستفيد من بعض الكتبة والفقهاء في إدارة شؤونها[1]، فقد كان التعليم حرا حيث يساهم فيه الرسمي وغير الرسمي، والعلم من شؤون المجتمع وليس من شؤون الحكومة[2].

ولا بد من الحديث عن الحياة العلمية والثقافية التي تطرق لها الرحالة أبي راس الناصر من خلال رحلته التي هي في حد ذاتها تسجيلا لرحلتين تفصل بينهما مدة عشرين سنة، وقد كتبها في شكل مذكرات دوَن فيها جوانب عديدة في هذا الجانب المهم، كذكره للعلماء الذين اتصل بهم ولقيهم في البلدان التي زارها، والدروس التي حضرها، ولذلك يمكن إدراج تلك الرحلة ضمن الرحلات المغاربية التي اتخذت طابعا فهرسيا[3].

7-1- **العلماء:** من خلال رحلته الأولى التي قام بها داخل الجزائر، عرَف بالعديد من العلماء الذين لقيهم من مختلف المناطق، وكان من بينهم:

أ- من مدينة الجزائر: التي حظي علماؤها بحيز مهم في رحلة أبي راس، حيث حرص على التعريف بعلمائها والتنويه بمكانتهم والإشادة بعلمهم وصفاتهم، ومن بين أشهر هؤلاء العلماء والمدرسين ما يلي:

***محمد بن أحمد بن جعدون**(ت 1204هـ/1789م): من أشهر فقهاء مدينة الجزائر وقاضي المالكية لفترة ما بين(1186-1197هـ/1772-1782م).

***الشيخ محمد بن مالك:** الفقيه القاضي الذي تولى منصب الفتوى المالكية ما بين(1211 - 1209هـ/1794-1796م)، وكان من القضاة المهتمين بالعلم وبالعلماء وبإقامة المجالس العلمية في بيته[4].

***أحمد بن عمار:** مفتي المالكية بالجزائر والعلامة المحقق، صاحب كتاب:

[1]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 13.

[2]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 192.

[3]-عبد القادر بكاري، الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجاً، المرجع السابق، ص 219.

[4]-ليلى غويني، المرجع السابق، ص ص81، 82.

"نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"[1].

***الشيخ محمد بن الحّفاف:** العالم الفقيه والخطيب ومفتي مدينة الجزائر، ومن العلماء الأجلاء للقرن 12هـ/18م[2].

***الشيخ محمد بن الشاهد:** وهو من علماء القرن 12هـ/18م بمدينة الجزائر، تولى إفتاء المالكية من سنة(1192 إلـى1200هـ/1778 إلى 1785م) ثم من سنة(1206 إلى 1207هـ/1791 إلى 1792م).

***السيد الحاج علي بن الأمين:** هو العلامة مفتي المالكية بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر وخطيبها[3].

ب- من مدينة قسنطينة: من أهم العائلات العلمية هناك عائلة الفكون، أبرزهم:

***محمد بن عبد الكريم الفكون**(ت 1073هـ/1663م)**:** من عائلة الفكون القسنطينية العريقة التي توارثت العلم والوظائف، واشتهرت بوفائها للحكم العثماني، ولد بقسنطينة سنة 988هـ/1580م، وتلقى تعليمه بها، تولى التدريس، وكان له تلاميذ يقصدونه من عنابة وزواوة والجزائر وغيرها، أسندت له الإمامة والخطابة باعتباره شيخ الإسلام بالجامع الكبير بقسنطينة خلفا لأبيه، ثم عهد إليه بمهمة قيادة ركب الحجيج الجزائري التي توارثتها أسرته، خلف عدة مؤلفات أشهرها: "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، ضمنه مجموعة من التراجم التي بلغت 75 ترجمة لعلماء قسنطينة وناحيتها في القرنين 10 و11هـ/16و17م[4]، بالإضافة أنه أديب نحوي ومحدث، جمع بين علمي الظاهر والباطن، كان عالم المغرب الأوسط في عصره[5].

وكان لقاؤه الأول بالقاضي علي الونيسي الذي عرف به قائلا عنه:"...قاضي الجماعة الونيسي، الشيخ الحاج الشهير السيد علي الونيسي، كان فقيها علامة ...مدرس محقق".

---

[1]-أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص 83.

[2]-ليلى غويني، المرجع السابق، ص 82.

[3]-المرجع نفسه، ص 83.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص ص353، 354.

[5]-عادل نويهض، المرجع السابق، ص 254.



<u>*الشيخ أبو العباس محمد بن حسن الشريف</u>(ت 1251هـ/1835م): من أبرز علماء الحديث المتمكن في فن المنطق والكلام وأدب المناظرة[1].

ج- من مدينة معسكر: من أهم مشايخ المنطقة المختصين في دراسة الفقه وأصوله، وتحفيظ الحديث والتبحر فيه، والتي درس عليها أبو راس الفقه:

<u>*الشيخ ابن مولاي علي بن سحنون :</u> كان قاضيا بمعسكر.

<u>*الشيخان علي الشنين والموفق بن عبد الرحمن الجيلالي</u>[2].

د- من مدينة مازونة: من بين قضاة مازونة ومدرسيها:

<u>*الشيخ محمد بن عبد القادر</u>: كان قاضيا.

<u>*الشيخ السيد محمد بن عوالي</u>: المعروف بالزلماطي الذي كان يقوم بدرس أيام الخميس والجمعة، وعرف مجلسه إقبالا كبيرا لطلبة العلم.

<u>*الشيخ علي بن الشيخ أبو عبد الله المغيلي</u>: من عائلة علمية معروفة، جده محمد بن عبد الكريم محمد المغيلي، اشتهر بإتقان القراءات والتفسير، وكان مجلسه في مدرسته مزدحما بطلاب العلم.

هـ- من مدينة تلمسان: اكتفى أبو راس بذكر عالم واحد هو:

<u>*العالم محمد بن عبد الرحمن التلمساني</u>(ت 1209هـ/1794م): الذي تعاطف معه أبو راس خصوصا بعد عزله من القضاء، واضطراره إلى الرحيل من بلده، وأشار إلى قضية الاضطهاد والضغط على القضاة وحساسية هذه المناصب، إذ تصادمت مع مصالح أصحاب السلطة.

و- من مدينة وهران: ترتب عن زيارة أبي راس لوهران لقاؤه بالرجل الأول بالمدينة صاحب الفضل في فتحها وهو:

---

[1]-ليلى غويني، المرجع السابق، ص 85.

[2]-المرجع نفسه، ص 87.

***محمد بن عثمان:** باي بايلك الغرب الذي تبوأ مكانة هامة في تاريخ المنطقة، وتميز عن بقية البايات بأعماله العسكرية والإدارية والاجتماعية، واهتمامه بالحركة الفكرية، وبذلك اكتسب حب العامة، وحظي بنصيب وفير في مؤلفات الكتّاب الذين تنافسوا في نظم الأشعار وتأليف الكتب عنه، مشيدين بمآثره في فتح وهران، وكان من أبرزهم أبو راس.

***الشيخ محمد بن حسن:** من العلماء الذين لقيهم أبو راس في مجلس الباي، وأحد أعلام وهران من بيت علم مشهور بالأدب والمهارة في النحو واللغة وسائر العلوم[1].

وللإشارة فإن بعض العلماء كانوا يعانون الاهانة والسجن والتشريد، لا لذنب ارتكبوه ولكن لصلتهم بمن ارتكب الذنب، كما لم تكن معاملة البايات والباشاوات لهم حسنة والعلاقة بينهم في اضطراب دائم[2].

7-2- **التأليف:** تطرق أبو راس إلى مجال التأليف خلال الفترة التي عايشها، وكان هو نفسه من بين الذين ساهموا بمؤلفاتهم العديدة والمتنوعة، فلقد ألف في علوم شتى منها التاريخ والنسب والسيرة[3] والأخبار.

وذكر في رحلته 63 كتابا، ونُسب إليه 137 مؤلَفا، معظمها تناولت موضوعات تاريخية وأدبية[4]، واهتم بإحياء تلك العلوم في وقت كانت مهملة وعديمة الاعتناء من طرف المؤسسات التعليمية المتواجدة[5]، وهذا ما أشار إليه أبو راس فيما يتعلق بضعف الثقافة، وقصور التأليف، وخمول العلماء على عهده، فيقول في ذلك:"إني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده، وخلت آثاره ومراسمه، وعفت أطلاله ومعالمه، لاسيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب...قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان، وأشرفت شمسها على الأفول واستوطن فحولها زوايا الخمول، يتلهفون على تدارس العلم والفضائل، ويتأسفون على انعكاس أحوال الأذكياء

1-ليلى غويني، المرجع السابق، ص ص90، 93.

2-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 419.

3-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 9.

4-المصدر نفسه، ص 23.

5-المصدر نفسه، ص 9.

والأفاضل..."[1]، فإن سيطرة التصوف قد أضعفت العناية بعلم التاريخ والسير وأخبار الأولين، مما أدى إلى إضعاف دافع التأليف فيها، وعدم الاهتمام بعلم التاريخ[2].

لكن الاهتمام والاعتناء بالتاريخ بدأ خلال النصف الثاني من القرن 18م عندما ارتبط بالحكم العثماني القائم بالجزائر خلال تلك الفترة، بحيث قام الحكام الأتراك العثمانيين بتجنيد العلماء من أجل صياغة مشروعية تبرر نفوذه على المجتمع، فظهر عدد من المؤرخين كان من أبرزهم أبو راس الناصر[3]، وبعد ذلك انصب اهتمام العلماء حينها على علم التاريخ فدونوا أحداث العصر وأخبار الجزائر والعالم العربي في الماضي والحاضر[4].

كذلك من بين الموضوعات التي حظيت بالتأليف في كتاباته، وشغلت بال الرحالة أبو راس هي الاحتلال الإسباني لمدينة وهران، فقد خص فتح وهران بقصيدة سينية طويلة بلغت 118 بيتا عرفت ب:"نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران على يد المنصور بالله محمد بن عثمان الكبير"، وقد أتم شرحها في كتاب سماه:"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" الذي يعتبر تأريخا للحدث، كما كتب في الأحداث السياسية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر عامة ومنطقة بايلك الغرب خاصة، وكتب في الأمراض كالجدري والطاعون، فقد ألف كتابا سماه:"ما رواه الواعون في أخبار الطاعون"، جمع فيه ما قيل عن الطاعون وأضراره وكتابا في الجدري سمـاه:"الكوكب الدري في الكلام على الجدري"[5].

ويمكن اعتبار رحلة أبي راس من أهم الرحلات التي زخرت برصيد هام باحتوائها على نماذج عديدة ومتنوعة من أخبار المجالس والمناظرات بالجزائر[6].ولقد كان يكن احتراما للعلماء والأولياء الصالحين، ويعترف لهم بالكرامات لكنه يرفض الغلو والتطرف الذي طال بعض شيوخ الطرق الصوفية مثل الشيخ عبد القادر بن سليمان السماحي الذي تعجب أهل

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 463.

[2]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 321.

[3]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 9.

[4]-المصدر نفسه، ص 23.

[5]-عبد القادر بكاري:"الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 125.

[6]-ليلى غويني، المرجع السابق، ص 103.

الصحراء في نظريته وولايته ومكاشفته حتى كادوا يدعونه الإله، ويعاتب على أنصار الطريقة الشيخية انهماكهم في البدع الشنيعة[1] وبعض من المتصوفة الذين يقولون بالكرامات، ويغررون بطلبتهم وبالعامة مثل الشيخ عبد العزيز البلداوي الذي كان يستغل العامة في الأسواق، مما يجعلهم يدفعون له الأموال وبسبب تلك التصرفات والمعتقدات كان أبو راس يرفض حضور مجالسهم وينبذ الشعوذة الطرقية، لكنه كان يشيد بالتصوف النابع من السنة[2].

لقد كانت مساهمة أبي راس في الحركة الثقافية بالجزائر عامة وبايلك الغرب خاصة مساهمة كبيرة وفعالة، وهو الذي كان يؤمن بمبدأ أهمية العلم وتلقينه في الحياة الفكرية الثقافية.

صحيح أن الجزائر لم تكن بها مراكز علمية مشهورة ولكن دروس جوامعها الكبيرة كانت مميزة لتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ويثبت الشيخ المهدي البوعبدلي بقوله إلى أن مجرد الإطلاع على بعض الإجازات العلمية تدل على ازدهار بعض المعاهد بالجزائر، وكانت المواد التي تدرس فيها لا تقل أهمية عن المواد التي كانت تدرس بأشهر الجامعات الإسلامية، وكان التدريس يتم في المسجد والزاوية والمدرسة على شكل حلقات للطلبة حول شيخهم، وكانت آنذاك حلقة الشيخ أبي راس الناصر من أكبر الحلقات في عصره إذ بلغ عدد طلبته في بعض السنين سبعمائة وثمانون، وللطلبة الحرية في اختيار المواد التي يدرسونها لتنتهي دراساتهم بتلقي الإجازة من الشيوخ التي تؤهلهم إلى تدريس ما تم حفظه من مختصرات وأبواب في الفقه وغيره، وتخرج الكثير من العلماء كالشيخ سيدي عبد القادر هزيل والشيخ أبو حامد المشرفي والشيخ عبد الله سقاط المشرف والشيخ محمد المهاجي، وهذا ما أكده الشيخ بلهاشمي بن بكار بقوله:"تخرج عنه كثير من فطاحل العلماء"[3].

---

[1]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 18.

[2]-المصدر نفسه، ص 16.

[3]-عبد القادر بكاري:"الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجاً"، المرجع السابق، ص ص122، 123.

وما يمكن قوله هو أن الكثير من الإنتاج الفكري لهذا العهد جاء مصبوغا بصبغة صوفية، سواء تعلق الأمر بالإنتاج الديني أو الأدبي، فنجد العديد من الكتب والرسائل والتقاييد والمنظومات تتناول التصوف كالأذكار والأوراد والمواعظ والحكم والشروح الخاصة بقصائد الصوفية وغيرها من المظاهر.

وتعتبر الرحلات صورة صادقة لذلك إذ نجد فيها حديثا عن الزوايا التي كثيرا ما تكون محطة من محطات الرحالة في كل وجهة يتجهون نحوها، وفي كل منطقة يصلون إليها سواء عابرين أو مقيمين قصد الراحة وقضاء بعض الحاجات.

كما نجد في هذه الرحلات تمجيدا لأهل هذه الزوايا، ومدحا للمتصوفة، حتى طريقة الخطاب في رحلات هذا العهد تطغى عليها النبرة الصوفية، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال توظيف الألفاظ الدالة على ذلك كالولي وسيدي والنبي وغيرها.

خلاصة الفصل:

تمت جل الرحلات الحجية في العصر الحديث عن طريق البر عبر الصحراء بفعل تحسن الأوضاع الأمنية وانتعاش الحركة التجارية وتعدد التجمعات البشرية في ذلك المجال الصحراوي الرحب، وعبر المجال ذاته أخذ مسار تلك الرحلات محاور عديدة، فبعضها اختار المحاور العميقة، بينما فضل البعض الآخر اجتياز الهوامش والأطراف الشمالية الواقعة على محاذاة سلسلة جبال الأطلس الصحراوي التي تشكل حدا فاصلا بين التل والصحراء.

لكن صورة الحياة الاجتماعية اتسمت في أغلب الأحيان بالفوضى والاضطرابات، مما دفع الكثير من العلماء إلى الهجرة والارتحال تعبيرا على رفض الواقع، رغبة منهم في حياة أفضل.

وفي ظل تلك الظروف كانت الحياة في الأرياف أكثر قساوة، ومصيبتها أعم إذ كثيرا ما كانت تتعرض للغارات العثمانية بسبب رفضها للضرائب المفروضة عليها، وكما هو معلوم أن نسبة سكان الأرياف كانت تبلغ 95% من إجمالي سكان الجزائر.

ولقد لعبت الزوايا في فترة الحكم العثماني دورا كبيرا، ليس فقط على الصعيد الديني والثقافي، بل حتى على الصعيد السياسي والاجتماعي، حيث هناك من رأى أنها لعبت دورا إيجابيا فأشاد بها، وهناك من رأى أنها لعبت دورا سلبيا فانتقدها.

الفصل الثالث:إسهامات كتابات الرحالة المغاربة في تدوين تاريخ الجزائر الحديث

تمهيد

أولا- أساليب تقصي وتدوين المعلومات ومميزاتها

1-الملاحظة والمشافهة

2-المصادر المعتمدة

3-دقة الوصف

ثانيا- قيمة كتب رحلات المغاربة كمصدر أساسي في كتابة تاريخ الجزائر الحديث

1-رحلة عبد الرحمن المجاجي: رحلة المجاجي(1063هـ/1652-1653م)

2-رحلة العياشي: ماء الموائد أو الرحلة العياشية(1073هـ/1662م)

3-رحلة الهلالي السجلماسي: التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام (1150هـ/1737م)

4-رحلة الحسين الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (1179هـ/1765م)

5-رحلة الحُضيكي: الرحلة الحجازية(1189هـ/1775م)

6-رحلة ابن عبد السلام الناصري: الرحلة الناصرية الكبرى(1196هـ/1781م)

7-رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري(1199هـ/1784م)

8-رحلة أبي راس الناصر: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته (1204هـ/1789م)

ثالثا- تجليات قيم رحلات المغاربة خلال القرنين(11 و12هـ/17 و18م)

1-القيمة الأدبية والعلمية

2-القيمة الاقتصادية

3-القيمة الاجتماعية

4-القيمة الجغرافية والتاريخية

خلاصة الفصل

تمهيد:

بفضل خصائصها استطاعت كتابات الرحلة أن تجلب إليها المهتمين من القراء من أجل معرفة الآخر والتعرف على البلدان وعلى أخبار المجتمعات، من عادات وتقاليد وثقافة وطرق العيش، وغير ذلك.

أصبحت الرحلة فيما بعد فنا عربيا أصيلا في النثر بخصائصه التاريخية والجغرافية فنجده يهتم بحياة الناس وتقاليدهم وأنماط عيشهم من جهة، وبمضمونه الفكري والاجتماعي وأسلوبه الأدبي المتميز من جهة أخرى، تلك المميزات جعلت من الرحلة أن تصبح مصدرا غنيا لمختلف العلوم، ولا تزال، وسجلا هاما لمظاهر المجتمعات العديدة والمتنوعة على مر العصور إذ يقوم الرحالة أثناء رحلته بنقلها من خلال المشاهدة والسمع، ويدونها فيما بعد في كتاب أو مؤلف.

إن نمط كتابة الرحلات فن قائم بذاته زاخر بالكثير من المعلومات التي تهم المؤرخ والجغرافي وعالم الاقتصاد وعالم الاجتماع، وغيرهم، فأهميتها تتجلى بما تحويه من مادة علمية عن تلك النواحي.

أولا- أساليب تقصي وتدوين المعلومات ومميزاتها:

في أغلب الأوقات تكتب الرحلة بأسلوب أدبي منسق، وأحيانا تكون بأسلوب علمي تقريري، ولكنها في كلتا الحالتين لا تخلو من اعتمادها على المشاهدة والملاحظة والسماع ومعاينة الظواهر، ووصفها ثم تدوينها، حيث تعتمد على الإدراك المباشر للأحداث ولا تعتمد على النقل والسماع فقط، مما يجعل منها شهادة حية للوقائع التاريخية على خلاف المصادر الأخرى[1]، وتحاول تقديم صورة موضوعية مجردة من الميول الذاتية[1].

فالمؤرخ مثلا يستقي المعلومات في غالب الأمر من الكتب والمستندات والوثائق وغيرها، بينما يستقيها الرحالة عن طريق التجوال والتأمل والاستماع والمشاهدة والمعاينة أي على الإدراك المباشر للأحداث[1]، مما يجعل من كتب الرحلات أن تصبح من أهم مصادر كتابة التاريخ، فهي شهادة حية للوقائع التاريخية[1].

1- الملاحظة والمشافهة:

كُتبت الرحلات بأشكال متعددة، وبأسلوب أدبي وفني متميز، وتناولت قضايا وموضوعات مختلفة ومتنوعة[1] التي قد لا نجدها في كتب التاريخ من حيث الوصف الدقيق لنمط الحياة الاجتماعية والثقافية ونشاط العلماء، إلى غير ذلك[1]، ومثلما كانت اهتمامات الرحالة المغاربة وملاحظاتهم مختلفة، كانت أدواتهم ومناهجهم المعرفية وحظوظهم من مختلف العلوم متباينة أيضا، وهذا ما أضفى على رحلاتهم قيمة علمية وأدبية[1].

---

[1]-الجوهرة بنت عبد الرحمن المنيع، المصدر السابق، ص 31.

[1]-عبد القادر بكاري:"الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري رحلة أبو راس الناصري أنموذجا"، المرجع السابق، ص 221.

[1]-الجوهرة بنت عبد الرحمن المنيع، المصدر السابق، ص 31.

[1]-عبد القادر بكاري:"الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري رحلة أبو راس الناصري أنموذجا، المرجع السابق، ص 221.

[1]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 98.

[1]-لخضر حشلافي، المرجع السابق، ص ص9، 10.

[1]-عبد القادر بكاري:"الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري رحلة أبو راس الناصري أنموذجا"، المرجع السابق، ص 226.

وقد شهد القرنان الحادي عشر والثاني عشر الهجريين العديد من الرحلات الحجازية التي كان هدفها الأساسي أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة والبقاع.

فاهتم هؤلاء الرحالة المغاربة بتسجيل رحلاتهم من حين خروجهم من موطنهم إلى حين عودتهم إليها في مدونات أصبحت فيما بعد وثائق تاريخية، أدبية، جغرافية اجتماعية اقتصادية وعلمية لمن أتى بعدهم، كما تمكننا من تتبع أهم الأسس والمناهج التي سار عليها الرحالة المغاربة في تدوينهم لرحلاتهم[1] كمنهج السرد التاريخي الذي اتبعه أبي راس الناصر، وكان سائدا في عصره، فكانت الدراسات التاريخية أنذاك تقوم على الرواية والخبر[2].

تلك المناهج هي القاسم المشترك لجميع الرحالة المغاربة الذين ألفوا رحلاتهم الموسوعية، ونخص بالذكر منهم بعض الرحالة المغاربة خلال القرنين 11 و12هـ/17 و18م إذ اعتمدوا على المشاهدة والمعاينة والمشافهة بالاستفسار[3]، وأغلبهم قاموا بتسجيل مشاهداتهم ومعاينتهم للأقاليم المختلفة التي وطئوها.

فقد كان للرحلة تأكيد للوقائع والأحداث عن طريق المشاهدة والملاحظة[4]، وأما الاستفسار فهو أسلوب حرص الرحالة المغاربة على الالتزام به، وحرصوا على إعطاء إجابات اعتقدوا صحتها للأمور التي أرادوا التحقق منها[5]، مثل الخبر الذي نقله الرحالة محمد بن عبد السلام الدرعي في رحلته عندما يخبرنا عمّا سمعه عن تناحر بنو العمومة حول السلطة على منطقة تقرت، وأُستعمال في ذلك كل أساليب الفساد مثل الرشوة وسفك الدماء وأنه كان للأتراك العثمانيين يد في ذلك[6]، أو مثل الأحداث التي شهدها أو سمع عنها أبي

---

[1]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 98.

[2]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 28.

[3]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 99.

[4]-لامعة زكري:"الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي المفهوم، الدوافع، الأنواع"، مجلة كان التاريخية، ص ص158-161، ع 02، دار ناشري، الكويت، 2013، ص 160.

[5]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 100.

[6]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 216.

راس كفتح وهران والحملات الأوربية على الجزائر وغيرها من الأحداث، فيتم الخبر بالنقول الكثيرة والصحيحة[1].

وينقل إلينا أحد الرحالة ما سمعه من السكان حيث يقول:"...أخبرونا أنهم يعالجونه في الحرث وما بعده، ويقاسون فيه جهدا"[2]، ويقصد هنا جودة الشعير الموجود بكثرة في بلدة بوسمغون.

فكان هؤلاء الرحالة بمثابة الأعين اللاقطة لكل شيء، فوصفوا ما شاهدوه على وجه الأرض من عمائر وخرائب أو صحراء أو النخيل والأشجار والثمار والمحاصيل المتنوعة بالإضافة إلى الطرق المتبعة في زراعتها وعملية سقيها[3]، فمن خلال رحلة العياشي نتعرف على المناطق التي مر بها كقرى بني عباس التي شاهد بها نخلا كثيرا وفاكهة وبساتين ومجاري من المياه العذبة[4].

أما وصف الطريق بالمشاهدة والمعاينة المباشرة، فجميع الرحالة المغاربة برعوا في وصفه، فحفلت رحلتهم بالكثير من الأوصاف الدقيقة لدرب الحجيج والمناهل التي نزلوا بها وكأن القارئ لرحلاتهم يشعر وكأنه أحد أفراد الركب السائر فيه لمعايشته الأحداث وفيما قد يواجه من رخاء وشدة، ينظر للموصوف متمثلاً أمامه من شدة براعة ودقة الوصف القائم أساسا على المعاينة والمشاهدة[5]، كما تناولت رحلة المجاجي محاور أساسية تمثلت في الحديث عن مسار الرحلة ووصف الأماكن التي مر بها، فكان الطريق يصل بين المشرق والمغرب بين الحجاز ومصر وطرابلس وتونس، وصولا لأرض الجزائر واقتصر على طريق العودة من البقاع المقدسة إلى مجاجة بالجزائر[6]، ويصف تلك الطرق التي سلكها الرحالة وصفا دقيقا بقوله:

---

[1]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 28.

[2]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 195.

[3]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 99.

[4]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 76.

[5]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص ص100، 101.

[6]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص ص105، 106.



نَشُقُّ الَفيَافِي فَدْفَدًا بَعْدَ فَدْفَدٍ   جِبَالاً وَأَوْعَارًا وَأَرْضًا وَطِيَةً[1]

وعن طريق الملاحظة والمعاينة تتبع الرحالة المغاربة أماكن وجود المياه من أبار وعيون، فحددوا مواقعها وطريقة تناول الماء منها، مع تحديدهم لنوع الماء، سواء كان عذبا فراتا أو ملحا أُجاجا، وكل ذلك مثبت من قبلهم بالتجربة، مثلا يحدد أماكن وجود الماء ونوعه والأماكن التي ينعدم فيها أو يكون مالحا، كما يعرف بأماكن الرعي الجيدة التي شاهدها، ولم يفت نظر الرحالة المغاربة أثناء سيرهم[2]، فها هو الرحالة الدرعي يصف ويعدد خيرات المناطق التي مر بها، المتمثلة في نقاط المياه المتعددة والمراعي[3] فالقنادسة مثلا تعد منطقة فقيرة المياه وقليلة النخل[4]، عكس ما ذكره الهلالي السجلماسي واصفا قرى بشار كقرية واكدة بوفرتها للتمور التي تسقى مزارعها بنظام الفقارات[5]، وهنا نستشف مدى التدقيق في الوصف من خلال المعاينة للعديد من المناطق المتوفرة على ثروات متنوعة سواء كانت على وفرة أو قلة أو منعدمة في بعض الأماكن التي لم يمر بها الرحالة إلا وذكروها.

وانتشر التبرك بالأولياء والصالحين، سواء الأحياء منهم أو الأموات، بالتردد على قبورهم، والدعاء عندهم، فكانوا يحرصون على المرور على القبور، والدعاء عندها وتحديد أماكنها أثناء سيرهم، وتسمية من دفن بها[6]، حيث يذكر العياشي أن بقرية سيدي عقبة يوجد قبره ومسجده، وبداخله عمود أُتخذ معتقدا للحجاج إذ يحركونه ويقسمون باسم عقبة رضي الله عنه[7].

كما تحدث الورثيلاني عن هذا الجانب بدقة متناهية حيث يذكر بأن في بسكرة يوجد الفقيه الفاضل سيدي محمد بن الجودي ومحمد الشريف والقاضي والمفتي، وكذا بعض شهود العدالة

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 388.

[2]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 101.

[3]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 180.

[4]-المصدر نفسه، ص 184.

[5]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 146.

[6]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 102.

[7]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 539.



والطالب الفاضل سيدي مصطفى وبركات وغيرهم من العامة والخاصة وقبر الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري وسيدي خالد الذي قيل أنه نبي مرسل إلى جبل أوراس، كما قيل أنه ولي[1]، فمن المزارات الشهيرة في بسكرة[2] القبر المنسوب لنبي الله خالد بن سنان حسب ما يعتقد أهلها[3]، وقام الرحالة بتسجيل كل ذلك عن طريق الملاحظة والمشافهة ومن خلال السماع.

كما أفرد الرحالة صفحات لوصف الأماكن التاريخية بكل دقة، وأعطى نبذة تاريخية مبسطة لبعض ما شاهدوه[4]، فقد نقلت لنا رحلة الهلالي أن الحكم العثماني كان جائرا في بسكرة والمناطق التي مر بها، إلى جانب إغارة العرب عليها مما جعلها تعيش حالة ضعف، فتدهورت أوضاعها، مما يدل على ضعف الحكم المركزي، فملاحظته لها تدل على أنها عامرة، ولها مكانة ذات أهمية كبيرة[5]، فإن الإنسان إذا سمع شيئا فإن ذهنه يريد تكييفه واللسان لا يكفي في ذلك إذ ليس الخبر كالعيان، وهنا تكمن أهمية المشاهدة وتبرز أهمية المعاينة، وتفضيلها على السماع.

وتميز الرحالة المغاربة في تصوير ما يعتري النفس من خوف وفرح وغيرها من مشاعر[6]، وهذا ما نجده بالفعل في رحلة محمد الكبير عندما عاد وأُستقبلت المحلة بالضيافة في العديد من المناطق التي قصدتها مثل أولاد عوف، فقدمت الإبل إلى غريس التي كانت تنتظر قدوم الباي، فوردت عليه الناس من معسكر باستمرار، وبات أكثر الناس يراقب الصبح كأنهم في أعياد، وزالت عنهم كل الأحزان[7].

بالإضافة إلى وصف نفسيات الركب بفعل قلة نقاط المياه والعوامل المناخية، كما تطرق له المجاجي واصفا المشهد بأنه بالإضافة إلى مشكل الماء التي كانت ندرته، فتزيد من

---

[1]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 87.

[2]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 542.

[3]-المصدر نفسه، ص 548.

[4]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 105.

[5]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 218.

[6]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 105.

[7]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص90- 92.

صعوبة السير، وتأثير الحرارة الخطير على الركب والرواحل، مما دفع إلى التخلي عن العديد منها[1].

ومن أهم الأمور المنهجية التي حرص الرحالة المغاربة على إتباعها في الكتابة التاريخية في رحلاتهم هي تسجيل وقت رحيلهم ووصولهم للمنازل التي يمرون عليها بدقة حيث حدّدوها بأوقات الليل أو النهار، كالعياشي الذي قاس المسافات وقدرها بالفراسخ والأميال، كما حدد المسافة بالأيام[2].

وفي هذا الصدد يقول الحضيكي"...وارتحلنا من سجلماسة ونزلنا القنادسة،.....بعد أيام خمسة، ثم منها إلى بلاد فكيك، بنحو خمسة أيضا....فنزلنا قرية يقال لها:الغاسول بعد أيام..."[3].

والورثيلاني في قوله:"...حتى عاد الركب إلى وطنه ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة عام 1181هـ/1768م[4]، وفي صباح يوم العيد صلوا ألفة كعادتهم..."[5].

وحرص بعضهم على تسجيل الوقت، حتى عن وقت المكوث للراحة بالمنازل، وحدده بأوقات الليل أو النهار مثل قوله:أنه أقام يوما، وأنه وصل إلى مكان معين وقت الزوال.

وذكروا زمن وصولهم لأي منزل، فيؤرخون باليوم والشهر عند خروجهم وعند نزولهم وغيرها، وجميع الرحالة المغاربة فعلوا هكذا في حجهم.

فانفرد بذلك الرحالة المغاربة بتلك المنهجية التي لا نجدها إلا في كتب المعاجم الجغرافية المتخصصة، في تعداد أسماء المواضع والمنازل التي نزلوا بها أو مروا عليها[6] التي أشرنا لها بأمثلة، كما يتضح لنا جليا في رحلة العياشي إذ يبدأ بذكر المناطق التي مرّ

---

[1]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 144.

[2]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 108.

[3]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص 83.

[4]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 2، المصدر السابق، ص 704.

[5]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص ص384، 385.

[6]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 109.

أو نزل بها رفقة ركبه بدقة وتسلسل، فنزل بالجنوب الجزائري، ودخل قرى تسابت وبلاد أوكرت التي تعتبر المحطة الأولى، وبعدها حل بالقليعة ثم ورقلة[1].

إذن من الطبيعي أن تنفرد كل رحلة بخصائص تميزها عن غيرها، مثل التحديد الزماني والمكاني، حيث اهتم معظم الرحالة بتحديد تواريخ الأحداث وأوقات السفر بالسنوات والشهور، بل بالأيام والساعات بدقة تامة عند البعض، بينما لا يعتمد أبو راس التأريخ في رحلته إلا نادرا.

ولم يكتف الرحالة المغاربة بذلك فقط، بل اهتموا كل الاهتمام بتصوير حياة القبائل التي يعبرون أراضيها، وهي السمة البارزة في رحلة أبي راس الناصر، حيث يذكر جميع المناطق والأماكن والمدن التي دخلها باستعمال مفردات، منها دخلت في قوله :"...ولما دخلت قسنطينة..." وغيرها من المدن، وهذا ما يجعل القارئ يدرك أن الأدب والجغرافيا اجتمعا سويا بتوافق فذ في تأليف أبي راس[2].

أما في رحلة السجلماسي فقد ذكر بعض القبائل، حيث يقول أنه تلقاهم كبراء أهل قرية سيدي عقبة وأعراب أولاد صولة[3]، وحتى أولاد جلال بالبشاشة والفرح وحسن الضيافة كما قدم لهم أعراب نواحي تقرت تمرا كثيرا[4].

ولم يكتف الرحالة المغاربة بوصف المنازل، بل تعدوا ذلك إلى تعليلهم لسبب تسمية بعضها، أما تحديد أماكن ومواقع الأسواق التي تصادف ركب الحجيج، وما يباع فيها ومكان مجيء السلع، وكيفية حمل البضائع، والقائمين على عمليات البيع والشراء، فقد كانت موضع عناية الرحالة المغاربة، فنقلوا صورا عنها، وما كانت تقدمه من خدمات لركب الحجيج، فمثلا أشار العياشي إلى أماكن الأسواق، والنقود المستعملة فيه، وأتى على ذكر

---

[1]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 111 .

[2]-عبد القادر بكاري:"الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري رحلة أبو راس الناصري أنموذجا"، المرجع السابق، ص 222.

[3]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص219، 220.

[4]-المصدر نفسه، ص 207.

الأسواق[1]، وهذا ما نلاحظه في رحلته، حيث فصل ووصف وصفا دقيقا كل ما يتعلق بالحركة التجارية، فمثلا في قرى تسابت يذكر أنها تتميز بحركة وتبادل تجاري نشط، فتباع وتقايض الأنعام والخضر والفواكه كالخيل والإبل والتمور على أنواعها ومعاملاتهم في ذلك قدرها أربع وعشرون موزونة، ومثقال الأربعيني يعادل مثقال شريفي نسبة للأمير الشريف صاحب سجلماسة، وقد أشار الرحالة أن صرف الذهب رخيص بمنطقة توات التي تعد مجمعا للقوافل التجارية[2]، ويضيف بأن أهل واركلا يتعاملون بدراهم نحاسية، فكل 24 منها تقابل ربع ريال[3]، فمن خلال المعاينة والملاحظة استطاع الرحالة نقل كل مجريات الأحداث والمعاملات في تلك الفترة.

ويذكر في نفس المجال ابن هطال كاتب الباي محمد الكبير بأن أهل تاجموت وعين ماضي يكسبون الدراهم والصياغة والخيل، ويتعامل بنو الأغواط بالسلطاني[4]، ويدفعون ضريبة مقدارها خمسة آلاف ريال ومائتين وخمسين بعيرا[5].

فمن خلال ما تطرق له الرحالة نلاحظ الكيفية في ملاحظة ووصف كل كبيرة وصغيرة وبطريقة دقيقة جدا حتى تتقرب الصورة، وكأنك تعيش معهم الأحداث في تلك الفترة[6]، كما نشعر بذلك عند الرحالة الورثيلاني من خلال وصفه الدقيق لمدينة قسنطينة بالجزائر حيث يقول:"وصلنا مدينة قسنطينة، وهي مدينة في وطننا، وقاعدة من قواعد بلادنا، وإن لم يكن فيها السلطان ففيها نائبه السيد الباي، وهي مدينة قوية ليست كبيرة جدا ولا صغيرة أيضا، وعليها سور كبير، وفيها أبواب ثلاث باب الوادي وباب الجابية وباب القنطرة، وفيها بويب صغير يخرج منه الآدمي، وفيها أسواق كثيرة، ودكاكين طيبة ومساجد للجمعة نحو الخمسة، وبعضها في غاية الإتقان كمسجد الباشا في طرابلس والمدينة مبنية على كهف

---

[1]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 110.

[2]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 79.

[3]-المصدر نفسه، ص 118.

[4]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 51.

[5]-المصدر نفسه، ص 61.

[6]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص ص110، 111.

وجرف عظيم، وفيها قصبة عظيمة وعسكر من الترك بقدر حالها، محصنة تحتها واد كبير وعليه بنيت المدينة من قديم الزمان"[1].

أيضا سجل الرحالة المغاربة كل ما وقعت عليه أعينهم، وما وصل إلى سمعهم، وما لمسوه وأحسوا به من التقلبات الجوية، فوصفوا حالة الجو، فمنهم من كانت رحلته في أوان الحر كالعياشي، فذكر شدة الحر، ووصف الأضرار التي أحدثها السيل جراء الأمطار وكان الرحالة شاهد عيان[2]، ومنهم المجاجي الذي يتحدث عن غزارة الأمطار التي تفيض الأنهار وتشكل أودية جارية، فيضطرون إلى اجتيازها بصعوبة حفاة الأرجل وهذا ما حدث له ولركبه في المناطق الرابطة بين بسكرة ومقرة، كما أن طبيعة الأرض تعد من المصاعب فتارة تكون صخرية وتارة أخرى تكون ضيقة المسالك لأنها أراض جبلية يشق فيها المشي على الحجاج[3]، وهنا تكمن دقة المشاهدة والمعاينة.

لقد نقل الرحالة المغاربة صورا نابضة بالحياة عما شاهدوه، وسألوا عما لم يشاهدوه لتكتمل الصورة فيما سجلوه في رحلتهم، ومثل على ذلك تقديم العياشي لأسئلة لبعض الأهالي عن أمور متعددة، ومن الأمور التي حرص الرحالة المغاربة على تسجيلها تحذيرهم لغيرهم من خلال تجاربهم الخاصة[4]، كما فعل الهلالي من خلال امتعاضه من عادات النساء في بوسمغون حيث يتسوقن رفقة الركب[5]، فحذرهم بعدم الوقوع معهن في محرم[6]، وحرص أولئك الرحالة في كتاباتهم التاريخية لرحلاتهم على تسجيل بعض العادات والتقاليد وطريقة الحياة، أي وصف الجانب الاجتماعي للمدن والقرى التي نزلوا بها، فيذكر بعضا منها أبو راس في حديثه عن التقاليد العثمانية التي دخلت إلى الجزائر كمسألة شرب القهوة والدخان(الرنجيلة) والسماع إلى الموسيقى، فانتشرت الأماكن الخاصة بذلك في الأرياف والمدن، خاصة في مدينة الجزائر منذ القرن 10هـ/16م، فكانت قبلة لمختلف شرائح

---

[1]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص ص352، 353.

[2]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص ص110، 111.

[3]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 144.

[4]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 113.

[5]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 79.

[6]-المصدر نفسه، ص 165.

المجتمع، بما فيهم الجند حتى صار ذلك محل مسائل إفتاء لأبي راس الناصر وعلماء الجامع الأعظم[1].

ومن عادات أهل بلدة بوسمغون أنهم يتجهون كلهم إلى صلاة العيد بأسلحتهم لاتخاذ الحجارة هدفا لهم حتى أثناء الخطبة والصلاة، وهو الأمر الغريب فيهم الذي لفت انتباه العياشي عن طريق ملاحظته الدقيقة في ذلك[2]، وفي المقابل نرى الحضيكي يثني على أخلاق بعض الأهالي، حيث لمس وشاهد منهم ما أثلج صدره من حسن تعاملهم، ويبدو من ذلك اهتمام أولئك الرحالة المغاربة بالجانب الاجتماعي، وبراعتهم في عرضه[3]، فحسب ما جاء في رحلتة فقد تميز أهل بسكرة بالكرم وحسن الضيافة، ومن مظاهر ذلك استقبالهم للركب بالترحيب والتحبيب بالخيل والبغال المزينة[4]، ونفس الوصف قام الدرعي بوصفه واستحسانه للمناطق الصحراوية -مثل القنادسة- بالكرم وحسن الضيافة بالخيل والبارود التي اشتهر بها المرابطون من بني الشيخ بن أبي زيان، كهولا وشيوخا وصبيانا[5].

ويعرض لنا العياشي بعض من المظاهر التي لفتت انتباهه، فبعدما سيطر الجوع على أهل قرية الماية غاب عنهم ما يقتاتون به، لدرجة أنهم أكلوا لحوم إبل الركب التي ماتت[6] وقد شاهد الرحالة بن عبد السلام الناصري سوقا عظيمة لأعراب حميان تشهد فائضا في الأغنام والسمن[7]، ولاحظ الورثلاني ما تميزت به منطقة زمورة من صناعة الثياب الرفيعة والأنيقة من الصوف والكتان[8].

---

[1]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص ص21، 22.

[2]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 549.

[3]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 116.

[4]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص ص84- 86.

[5]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 184.

[6]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 547.

[7]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 195.

[8]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص ص375، 376.

كما حفلت الرحلات بالأخبار المتعلقة بالمجتمعات كعادات السكان وتقاليدهم وأخلاقهم[1] فعلى حد قول بن عبد السلام الناصري من خلال مشاهدته واستماعه، أن قبيلة أولاد داود بحوز بسكرة لا يعقدون النكاح، ويبدلون النساء على زيادة يأخذها أحد المتبادلين[2]، وتطرقت إلى النشاط الاقتصادي والمستوى الثقافي واللباس والأوضاع السياسية كنوع الحكم السائد في البلاد والفتن والحروب، وأثر ذلك على السكان[3]، فقد شاهد الرحالة الهلالي ظاهرة السطو والنهب في مدينة الأغواط، حيث يصف ذلك قائلا:"ولما رأى أهل الأغواط ركبنا استقلوه، فخوفونا غاية من الأعراب التي أمامنا حتى قالوا لنا:إما أن تصبروا هنا إلى أن يقدم الركب الفاسي فتجتمعوا معه، وإما أن ترجعوا من هنا بلا حج، فإنا نخاف عليكم الأعراب لكثرة عددهم وشدة إذايتهم، ولا تمكن النجاة منهم عادة"[4].

وذكر الهلالي واصفا كرم الاستقبال بعض النواحي التي مر بها، فتحدث عن الكثير من هذه العادات كالخصال الحميدة عند أهل بشار وأهالي قرية واكدة ومنطقة فقيق الذين رحبوا بهم واستقبلوهم ببشاشة وسرور، وقدموا لهم التمر[5]، وهذا دليل على المعاينة التي اتصف بها الرحالة في نقل الصورة الحقيقية للمجتمعات، كما حرصوا على إبداء النصح والتوجيه وذكر تجاربهم في رحلاتهم ليستفيد منها من يأتي بعدهم.

وقد يجمع الرحالة المغاربة بين المشاهدة والخبر، كما فعل عبد الرحمان المجاجي عندما وقف على حفاوة استقبال الباشا العثماني رفقة الركب أثناء دخول مدينة الجزائر فوصف وسجل صنيعهم باختصار[6]، كما أحب الرحالة المغاربة تتبع أماكن الآثار والسؤال عنها وذكرها ذكر المعاين والمشاهد لها، فقد وقف الحسين الورثيلاني على منازل الفقهاء والفضلاء والأضرحة والمقابر، فزار مع الركب بيت الفاضل سيدي أحمد الطيب، واجتمعوا

[1]-عبد الحميد معيفي وسهام داودي، المرجع السابق، ص 85.

[2]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 220.

[3]-عبد الحميد معيفي و سهام داودي، المرجع السابق، ص 85.

[4]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 185.

[5]-المصدر نفسه، ص ص146، 147.

[6]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص ص147، 148.

بفضلاء من الناس بعدما زاروا أضرحة ومقابر زواوة[1]، ولقي أهل الفضل والعلم، وزار كلٌ من الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري في قريته وسيدي خالد والشيخ الغوث أبا جملين في المسيلة[2]، ومن دقائق الأمور التي تخفى على الباحث ولا يعرفها إلا بمطالعة كتب الرحلات، مجالس الدرس وحلقات العلم التي كانت تقام في ركب الحجيج، فمن خلال رحلة المجاجي فقد كان العلماء يتنافسون لمجالس العلم وحلقات الدروس للاستزادة من العلم والتعمق في التحقيق والبحث مثل ما فعل عبد الرحمن المجاجي، حيث أن الجانب الثقافي يلعب دورا هاما بالنسبة لطالبي العلم للأخذ عن العلماء أو اقتناء الكتب أو شرائها أو إعارتها، والاتصال بالمراكز العلمية المختلفة، والسعي لنيل الإجازات، كما فعل عبد القادر جيلالي بن عبد الرحمان بن محمد بن علي أبهلول، فكانت الرحلة تمثل إحدى الوسائل والعوامل الهامة لنشر العلم، وجعل رواده وطالبيه يطلعون على محتواه من مؤلفات أو آراء[3]، وهذا ما يؤكد أن ركب الحجيج كان يضم علماء فكانت مدارس علم متنقلة، فحرص الرحالة على مصاحبة العلماء، فحسب قول المجاجي فإن مصاحبتهم كذلك تخفف صعوبة المسالك وطول السفر عن ركب الحج، فقال في هذا الشأن:

فَنِلْنَا بِهِمْ خَيْرًا عَظِيماً وَنِعْمَةً ... وَمِنْ بَرَكَاتِ القَوْمِ فُزْنَا بِوَقْفَةٍ

قَطَعْنَا بِهِمْ ضِيقَ المَفَاوِزِ كُلِّهَا ... بِلاَ تَعَبٍ وَلاَ كَثِيرِ مَؤُونَةٍ[4]

وذكر الرحالة بعض العادات التي انتشرت في الأرياف والمدن، خاصة في مدينة الجزائر، وما يقابلها من فتاوى العلماء في ذلك الوقت في إباحتها، وكان قد اطلع عليها كما ذكرنا من قبل[5].

ومن هنا يظهر لنا اهتمام الرحالة المغاربة بالتأريخ للأمور المستحدثة والآراء والفتاوى حولها مع عرض آرائهم في ذلك.

---

[1]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 13.

[2]-المصدر نفسه، ص 6.

[3]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 157.

[4]- المصدر نفسه، ص 162.

[5]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص ص21، 22.

ومن الرحالة المغاربة من يتحرج في إبداء الوصف لعدم الوقوف على عين الموصوف، فلم يصفها كاملة إما لخوفه أو لأنها متباعدة، وهناك ما تجده متمسك بمنهج المعاينة والمشاهدة ليتمكن من الوصف اعتمادا على ما رآه، وساعد الرحالة في تناولهم لتلك الظواهر الاجتماعية في البلدان التي زاروها ثقافتهم الواسعة وقوة ملاحظاتهم[1].

وكان الرحالة المغاربة لا يكتفون بذكر الطريق ذهابا فقط، بل لشدة حرصهم على تسجيل كل ما يتعلق برحلتهم يخافون أن يكون قد فاتهم شيء في القدوم فيكملونه عند العودة، وهذا النهج سار عليه جل الرحالة المغاربة.

إن رحلات المغاربة تكشف التطورات والتغيرات وأسبابها في البلاد، فهي بذلك جديرة بأن تُعتمد كمصدر من بين مصادر تاريخ الجزائر الحديث خلال القرنين11 و12هـ/17

و18م، كما يظهر في الرحلة نوع من الحركة التي من خلالها تبرز تلك القيمة كمصدر أساسي يصف ثقافات مجتمع معين خلال فترة محددة.

2- المصادر المعتمدة:

اعتمد الرحالة المغاربة على كتب من سبقهم من الرحالة، وهذا من أسس الكتابة التاريخية لدى كبار المؤرخين المسلمين، مع إضافة ما غاب عن السابقين أو ما جدّ بعدهم أو تغير.

وعلى هذا يكون قد وصل الحاضر بالماضي، وعليه فقد أمدتنا تلك الرحلات المغاربية بمعلومات متسلسلة عن التاريخ والبلدان التي مروا بها، كما عرفتنا بأسماء كتب ومؤلفين لم نعرفهم إلا من خلال ما سجلوه، فحفظوا لنا على الأقل أسماء هؤلاء المؤلفين ومؤلفاتهم وشيئا مما حوته تلك المؤلفات.

وهذا ما لمسناه في رحلة الورثيلاني عند ذكره لمجموعة من الفقهاء كالولي الصالح سيدي سعيد السفري والعالم والولي الصالح سيدي يحي اليعلاوي، ومثله في الفضل والعلم

---

[1]-عبد الحميد معيفي و سهام داودي، المرجع السابق، ص 85.

والأدب النحوي اللغوي الفقيه سيدي أحمد الزين وسيدي علي الزموري وسيدي إبراهيم الضرباني قاضي المالكية وسيدي شعبان بن جلول قاضي الحنفية وغيرهم من الفقهاء[1].

ومن خلال الأماكن التي مر عليها الرحالة المغاربة تستطيع أن تكون بمثابة معجم جغرافي، فقد سجلوا أسمائها وأوصافها مع إلقاء الضوء على تاريخها في حالة وجوده.

لذلك فإن أهمية الرحلات المغاربية تكمن في أنها خزانة كتب ضخمة في معلوماتها صغيرة في حجمها، لا يعرف ما فيها إلا بعد التنقيب والبحث لإخراج النفائس التي تضمنتها للإفادة منها[2].

ومن الملحوظ على الرحالة المغاربة من خلال نقولاتهم عمن سبقوهم أن كل رحالة يؤثر نقل ما تميل إليه نفسه ويوافق هواه، فمنهم من آثر نقل الأدبيات مثل الأشعار، فقد كتبت رحلاتهم بأسلوب يحاكي أسلوب الأدباء من حيث السهولة والخلو من التكلف، ومنهم من مال إلى نقل النواحي العلمية وبعض القصائد والمقطوعات الشعرية، ومنهم من أحب نقل النواحي الجغرافية والعوائد الاجتماعية والأمور الاقتصادية، ومنهم من جمع ذلك كله كالعياشي والورثيلاني.

وقد يطغى جانب على آخر، فكل رحلة مغاربية تعد مليئة بالعديد من المعلومات في النواحي العلمية، الأدبية، الاجتماعية، التاريخية، الجغرافية، الاقتصادية والسياسية، تنتظر الدراسة والاستخراج.

ولم تقتصر إفادة الرحالة المغاربة على كتب الرحلات السابقة فحسب، بل نجدهم قد أفادوا من بعض كتب التاريخ العام لكبار المؤرخين، أمثال عبد الرحمان بن خلدون من كتابه العبر، وبعض كتب التاريخ الخاص لكبار المؤرخين، مما يؤكد حقيقة مهمة، أنه لولا كتب الرحلات المغاربية لما عرفنا شيئا عن بعض أمهات كثير من الكتب، حفظت أسمائها ومحتوياتها وأماكن وجودها.

[1]-الحسين بن محمد الورثلاني السطيفي الجزائري، المصدر السابق، ص ص363، 364.

[2]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 139.

ونستطيع القول بأن الإفادة من الرحلات السابقة من المناهج المهمة التي سار عليها فن الكتابة التاريخية للرحلات المغربية، فهي بمثابة التوثيق للأمر الذي تكلموا عنه على الرغم من أن هناك رحالة مغاربة أغفلوا أمر النقل والإفادة[1] من الرحلات السابقة، وأنه شيء نادر ويعود إلى منهج الرحالة نفسه.

ومن الملاحظ أن الرحالة المغاربة في أغلب نقلهم يصرحون باسم من ينقلون عنه من بداية النقل وعند انتهائه، يختمونه بكلمة:"انتهى" حتى لا يلتبس الأمر على القارئ.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الرحالة المغاربة نقلوا عن سابقيهم المباشرين، أما الرحالة الذين قبلهم بمدة زمنية طويلة فقد نقلوا عنهم وصف الشيء الذي لا يطرأ عليه تغيير أو أدبيات اختصت بها هذه الرحلات أو مسائل فقهية لا تتغير مع تغير الزمن.

وهذا ما وجدناه لدى كتابات الرحالة أبي راس حيث اعتمد على أخبار رواها عن شهود عيان، ومعلومات استقاها من الرسائل والوثائق الرسمية خاصة في الجزء الثاني من كتاب العجائب وفي أغلب فصول الجزء الأول، استقى فيه معلوماته من مصادر متعددة ومتنوعة مثل كتاب:"القاموس المحيط "للفيروزأبادي، و"شرح الشفا" للخفاجي(ت 1069هـ/1659م) و"جمهرة الأنساب" لابن حزم(ت 1064م) و"تاريخ العبر" لعبد الرحمان بن خلدون وغيرها من المصادر، كما اعتمد على الرحلات مثل رحلة الغزال(ت1777م): "نتيجة الاجتهاد" ورحلة[2] الجامعي الفاسي(ت1144هـ/1714م): "شرح الحلفاوية".

ويذكر أبو راس المصادر التي اعتمد عليها في بعض المواطن، وفي غالب الأحيان لا يشير إليها لكنه يبرهن على إطلاع واسع للتاريخ الإسلامي عامة وتاريخ المغرب الأوسط خاصة[3]، واعتمد في تفسير المفردات والتعابير اللغوية على المعاجم اللغوية ودواوين الشعر وكتب البلاغة والنحو، وفي الشرح التاريخي استند إلى المصادر التاريخية مما يدل على

[1]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 155.

[2]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 35.

[3]-المصدر نفسه، ص 36.

إلمامه بعلوم عصره، ويؤكد مدى حفظه وقوة ذاكرته[1].ومثل أسلوبه في الاستطراد مظهرا من مظاهر الفكر الموسوعي الذي لازم الثقافة المغاربية القديمة.

يكاد مجال التاريخ ينحصر في نشاط السلاطين والملوك والأمراء بخاصة الحروب والأولياء الصالحين، ويتسع هذا المجال إلى الحياة الاجتماعية والثقافية، فتحظى بعض القضايا المتصلة بها بعناية محدودة، فيظل منهجه التاريخي خاضعا لإشكالية السرد أي الرواية والخبر، ولا يرقى إلى التحليل والنقد العميق.

ومن الموضوعات التاريخية التي تناولها أبو راس تلك المتعلقة بتاريخ وهران[2]، ودافع عن التاريخ مستدلا بالقرآن الكريم في قول الله تعالى:" لَقَدْ كَانَ فِے قَصَصِهِمْ عِبْرَة لِّأُوْلِے اِلَالْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثا يُفْتَرِيٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ اَلذِے بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَےْء وَهُدي وَرَحْمَة لِّقَوْم يُومِنُونَ"[3].

وفي الحديث النبوي الذي ينص على العناية بعلم النسب:"تعلَّموا من أنسابِكم ما تصِلونَ أرحامَكم فإنَّ صلةَ الرَّحمِ منسأة في الأثرِ مثراةٌ للمالِ"[4].

بالرغم أن آرائه نُقول استقاها من أمهات المصادر التاريخية العربية إلا أنه استطاع من حسن توظيفها وتكييفها مع بيئة ثقافية اتسمت بتغييب العلوم الأدبية إذ يشير إلى ذلك في قوله:"إني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده وسدت مصادره..لا سيما التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب"[5].

1-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 34.

2-المصدر نفسه، ص 36.

3-القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 111.

4-أحمد بن عمرو البزار،البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تح محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ط 1، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1415هـ /1994م، ص30.

5-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 37.

ويتحدث عن تحرير المدن الساحلية الجزائرية عدا المرسى الكبير ووهران، فقد استعصتا رغم محاولات عديدة، ومن العوامل التي شجعت الأتراك العثمانيين على تجديد الحملات العسكرية لتحرير وهران دعوة العلماء الجزائريين للجهاد[1]:

- فكانت أول محاولة هي حملة إبراهيم باشا في أواسط القرن 11هـ/17م.
- وحاصرها الباي شعبان بعد أن ولي في أواخر القرن 11هـ، وقُتل في معركة ودفن

بعد ثلاثة أيام سنة 1098هـ/1687م وهي الثانية.

- ثم المحاولة الثالثة على يد سلطان المغرب الأقصى المولى إسماعيل سنة

1111هـ/1701م بدون جدوى لمنعها ببرج مرجاجو فرجع إلى المغرب الأقصى[2].

- ثم المحاولة الرابعة على يد الباي مصطفى بوشلاغم سنة 1119هـ/1707م الذي

كان بايا على مازونة وتلمسان، فتحها صبيحة الجمعة 26 شوال، وكان أول ما فتح من أبراجها برج العيون، أما برج المرسى فلم يفتح إلا بعد فتحها وفتح سائر حصونها، وانتقل إليها الباي بوشلاغم وجعلها قاعدة ملكه، لكن استرجعها الأسبان سنة 1144هـ/1732م.

- ثم جاءت المحاولة الأخيرة على يد الباي محمد الكبير سنة 1205هـ/1791م[3]

فحاصرها إلى أن فتحها يوم 5 رجب سنة 1206هـ/1792م[4].

ومن خلال هذا السرد، وفي هذا الإطار نستنتج النظرة التوافقيـة بين أراء أبي راس الناصر وابن خلدون ، فلقد اعتمد أبو راس كثيرا على أراء ابن خلدون خاصة المقدمـة لأنها تعد أساس علم الاجتماع، حيث اعتمد على القصص والأخبار كأبعاد اجتماعية استخلص منها جملة من الحقائق التاريخية الواقعية كالتحرر العلمي وحرية الدين، وهي النظرة التي كان عبد الرحمان بن خلدون قد عبر من خلالها عن نظرية القرآن الكريم

---

[1]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 45.

[2]-المصدر نفسه، ص 46.

[3]-المصدر نفسه، ص 47.

[4]-المصدر نفسه، ص 48.

الاجتماعية، ومفادها أن الإنسان إذا فسد في أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخا على الحقيقة[1].

إن طريقة أبي راس في كتابة التاريخ شبيهة بطريقة علماء القرن السابع عشر الميلادي كابن ميمون صاحب كتاب: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية"، وهي طريقة عرفت رواجا في المغرب العربي، حيث كانت تجمع بين الأدب والتاريخ إذ يبدأ المؤرخ بكتابة قصيدة ،موضوعاتها تاريخية ثم ينتقل إلى شرح هذه الموضوعات شرحا تاريخيا.أما مفهومه للتاريخ فلا يخرج عن نطاق المفهوم التقليدي الذي يربط علم التاريخ بالحكمة والاعتبار، فالغاية من التاريخ تهذيب الأخلاق وإبداء النصيحة، ولعله يربط ويجمع مهمة المؤرخ بالإخباري والنسابة، حيث يقول:"أن أخبار الأوائل ومعرفة أجناس الناس والقبائل من أهم ما يعتنى به ويدخر".

تصدر أبوراس الناصر قائمة المدافعين عن التاريخ في عصره، ورد على من أعتبره علما لا ينفع وجهالة لا تضر بأدلة نقلية وعقلية، مستدلا بالآيات القرآنية التي تدعو إلى الاعتبار من تجارب الأمم، والأخذ من دروس الماضي[2].

ووفق هذه المعطيات نجد أن أبا راس يشترك كثيرا مع رافع الطهطاوي(ت 1290هـ

/1873م)، ولعل أهم أوجه الشبه التي تجمع الشخصيتين هي ظاهرة حب الوطن والحنين إليه، فنجد أبا راس بعد سماعه بخبر حصار المسلمين للأسبان بوهران وهو بجزيرة جربة بتونس قافلا من رحلته الثانية للمشرق العربي، يعجل العودة ليشارك إخوانه في الحرب من أجل تحرير ثغر وهران، كما نجد الطهطاوي يحن لوطنه مصر وشوقه لإخوانه وهو بفرنسا[3].

---

[1]-عبد القادر بكاري:"الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 124.

[2]-المرجع نفسه، ص 125.

[3]-المرجع نفسه، ص 126.

ولنا في الأخير أن نشير إلى كثرة إستشهاداته بالأقوال والأمثال والأبيات الشعرية وخاصة الآيات القرآنية، وهذا ما يزيد في قيمة كتاباته العلمية وفي شخصيته الدينية والوطنية[1].وأسلوب تأليف هذه الرحلة يعود إلى تأثر أبي راس بأسلوب عبد الرحمن السيوطي (ت911 هـ/1505م) من خلال ما عاشه في صغره من فقر وحرمان مثله وتدوين هذا الكتاب جاء في الأيام الأخيرة من عمره[2].

ومن بين المصادر التي اعتمد عليها أيضا، تآليف الرحالة السابقين، وفي ذلك يقول: "وأسوتي في ذلك رحلة الجهابذة النحارير والأسانيد الجماهير"، مطلعا عليها مثله مثل الورتلاني، فكان اعتمادهما على"الرحلة الناصرية" لأحمد بن الناصر الدرعي[3] و"ماء الموائد" لأبي سالم العياشي ورحلة الإمام ابن رشيد السبتي: "ملء العيبة في طول الغيبة إلى مكة وطيبة" ورحلة الخطيب بن مرزوق[4] و"نفح الطيب" لأحمد المقري و"ذيل الديباج" لأحمد بابا التنبكتي و"مقدمة ابن خلدون"، بالإضافة إلى الروايات الشفوية والأقوال المأثورة[5] والقصائد كمصادر رئيسة في التأليف، خاصة تلك التي جاءت في تاريخ وهران ومدح الباي وإبراز فضل الجهاد، فنقل عن الجاحظ والمتنبي وأبي فراس الحمداني في

---

[1]-عبد القادر بكاري:"الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 127.

[2]-سمير مشوشة:"ابن حمادوش الجزائري وأبو راس الناصري يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18 م"، المرجع السابق، ص 294.

[3]-أحمد بن الناصر الدرعي: هو أحمد بن مَحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر الدرعي، أبو العباس المدعو بالخليفة، ولد في منتصف ليلة الخميس 18 من رمضان سنة 1057هـ/ 1647م، تربى في أسرة اشتهرت بالعلم والتصوف.لقد أدى تعلمه وسفره المبكر إلى المشرق حيث سافر لأداء فريضة الحج وهو في سن 19، إلى تكوينه تكوينا متعدد المشارب، وأكسبه حنكة وخبرة بالناس.كان إمام وقته علما وعملا، حريصا على إحياء السنن، حج أربع مرات (1076، 1096، 1109، 1121هـ/1665، 1684، 1697، 1709م)، ألف في حجته الثانية رحلة جليلة صغيرة الجرم غزيرة الفوائد، من أشهر مؤلفاته الرحلة الناصرية، اختلف في سنة وفاته 1128هـ/1715م أو 1129هـ/1716م.يُنظر: أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية(1709-1710م)، تح:عبد الحفيظ ملوكي، ص ص19، 22، 23، 27، 33.

[4]-عبد القادر بكاري، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري رحلة أبو راس الناصري أنموذجا، المرجع السابق، ص 219.

[5]-عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني(1519-1830م)، المرجع السابق، ص 263.

الجزء الثاني من عجائب الأسفار[1]، وبما أن مواضيعه متشعبة فأكثر من استعمال النقول من مصادر قديمة وحديثة ومعاصرة[2].واعتمد كذلك على المصادر الجغرافية المتعددة التي يمكن أن يقيدها، كما لا يمكن أن نغفل في هذا المجال حقيقة محورية تتمثل في الثقافة الموسوعية لأبي راس، وتمتعه بقوة القدرة على الوصف الحي المتدفق، جعلته يحسن الإفادة من كافة تلك المصادر[3].

ونستخلص على العموم أن الرحالة قد اعتمد في العصر الحديث على مصادر متنوعة تمثلت فيما يلي:

*ما استمدوه من رحلاتهم وأسفارهم، وما وقع لهم من المشاهدات والمعاينات للأحداث على طبيعتها، وما تحصل لهم من تجارب وملاحظات خلال تلك الرحلات والأسفار.

*ما تحصل عليه المؤرخون من معلومات من خلال لقاءاتهم ومناقشاتهم ومناظراتهم مع العلماء من ذوي الصلة المباشرة بالحدث أو شهود العيان للوقائع، وأهل الاختصاص.

*المصادر التي تم النقل منها، والتي ألفها علماء عاشوا قبلهم غالبا أو عاصروهم فاستعانوا بها في تأليفهم لمصنفاتهم[4].

وأما تأليفه لفتح الإله ومنته، فكان خارج المناسبات أي بدافع التقليد اقتداء بالإمام السيوطي كما قال[5].

أخذ أبو راس في كتابه عجائب الأسفار بالطريقة التقليدية، فجعله شرحا لقصيدته السينية، وقد انتهج في شرحه ما كان متبعا في عهده وما اعتمده في شروحه الأخرى، فقد كان يثبت البيت ثم يشرح ألفاظه لغويا، ويسجل الأحداث المرتبطة به مع استشهادات من

---

[1]-رقية شارف، المرجع السابق، ص 157.

[2]-المرجع نفسه، ص 159.

[3]-عبد القادر بكاري، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري رحلة أبو راس الناصري أنموذجا، المرجع السابق، ص 219.

[4]-عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني(1519-1830م)، المرجع السابق، ص 272.

[5]-رقية شارف، المرجع السابق، ص 169.

القرآن الكريم والحديث الشريف، وإثبات بعض النوادر والحكايات، وكل ما يعرضه من أحداث ويسجله من وقائع، ملتزم بخصائص أسلوب عصره، فجاءت لغته منمقة تميل إلى السجع وتتميز بمفرداتها البسيطة وتعبيراتها القريبة من العامية، وهذا ما جعل كتاب عجائب الأسفار يجمع بين محتوى التاريخ ومظهر الأدب إذ امتزجت فيه الرواية بالنقل[1].

3- دقة الوصف:

يحتل الوصف في الرحلة مكانة مرموقة، فقد اهتم الرحالة بوصف المسالك والممالك والمشاهد والمآثر والمعالم والحفلات والمناسبات الخاصة والأعياد والعادات والتقاليد والمناظر الطبيعية وغير ذلك، مما يدخل في إطار تجولهم، ويقع تحت سمعهم وأبصارهم كل حسب تكوينه ومقاصده وعاداته وطبعه، فقد تفاوتوا في هذا الميدان رغم اشتراكهم في عناصره الأساسية، فمنهم من جعل الوصف هو هدفه ومنهم من وظفه كوسيلة من أجل تحقيق غايات محددة أخرى، ويعتبر الوصف من أهم العناصر التي طغت على أسلوب الرحالة وميزت كتابته وحددت شخصيته أيضا[2].

لقد تميز وصف الرحالة المغاربة بالدقة وبأسلوب فني، وتأثر بالعوامل الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والعلمية التي تطرقوا إليها، وتختلف دقة الملاحظة من رحالة إلى آخر حسب التصور والتأثر والخبرة الشخصية والثقافة العامة، فحاولوا الاعتماد على الواقع المشاهد والابتعاد عن الخيال، كما اعتمدوا على كتب الرحلات السابقة ومصادر أخرى، فاستفادوا منها ثم أضافوا ما لاحظوه، وكان أسلوبهم في طريقة تناولهم للموصوف قليل التكلف، حيث ابتعدوا عن استعمال المحسنات البديعية والسجع، مما يحدث إثارة في النفس وتشويقا لرؤية ما قاموا بوصفه.

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص 465.

[2]-ابن الحاج النميري، فيض العُباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1990، ص 83.

وتعاقب الرحالة المغاربة على المشاهدة، والمرور على بعض المشاهد والأحداث فاختلفت رؤيتهم في تناولهم للموصوف أو اتفاقهم أو إغفالهم أمر وصفه، وهذا يعود إلى شخصية الرحالة وملاحظته وإلى ما يلفت انتباهه.

فمثلا أسلوب كل من الرحالة عبد الرحمان المجاجي والهلالي السجلماسي في الوصف اتسم بالسلاسة والبعد عن التكلف والسجع، مع إعطاء وصف عام غير مفصل، ولكنه موف بالغرض كقول عبد الرحمان المجاجي في رحلته:

مُرَادِي مِنْكَ إِنْ شَاءَ رَبِّي وَصَلْتُهُ لِحَضْرَتِكَ العُلْيَا بِهَا تَقْضِي حَاجَةٍ[1]

ورحلة الهلالي التي أخبرنا من خلالها بأسلوب سلس ومن غير تكلف عن الحكم العثماني الجائر في بسكرة والمناطق التي مر بها، إلى جانب إغارة العرب عليها جعلها تعيش حالة ضعف، فتدهورت أوضاعها، مما يدل على ضعف الحكم المركزي، فملاحظته لها تدل على أنها عامرة ولها مكانة ذات أهمية كبيرة[2]، وهذا ما لاحظه أغلب الرحالة المغاربة الذين مروا أو أقاموا ببسكرة، وكان وصفا مماثلا للواقع السياسي والأمني هناك.

وحسب شهادة الرحالة محمد بن عبد السلام الناصري التي أبداها في حق تلك الناحية فإن أكثر البلاد سرقة واختلاسا هي بلاد الجريد خصوصا بسكرة وما والاها من بلاد الزاب فلقد سرق بها لأناس بالليل والنهار[3]، وكذلك بقرب تاجموت نُهبت أمتعة مختلفة وأملاك ثمينة[4].

تطرق محمد بن عبد السلام الناصري كذلك إلى قضية العملات الأجنبية وتداولها ورواجها بمنطقة الأغواط، بحيث يشير إلى حركة السوق المحلي ويبرز ما عليه من الأسعار وغلاء المواد الغذائية، فيذكر مثلا أن سعر العلفة الواحدة للبغلة وصل زهاء مثقال من الدراهم[5]

---

[1]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص ص147، 148.

[2]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، مج 2، المصدر السابق، ص 218.

[3]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 897.

[4]-المصدر نفسه، ص 906.

[5]-عمر بن قايد، المرجع السابق، ص 216.

فكان الرحالة إذن شاهد عيان لمثل هذه السلوكات والحوادث مثله مثل أغلب الرحالة مما يضفي على انتقاء الأخبار بمصداقية.

ومن جهة أخرى، فقد اتبع أبو راس منهج السرد التاريخي الذي كان سائدا في عصره فكانت الدراسات التاريخية تقوم على الرواية والخبر ولا ترقى إلى مستوى التحقيق والنظر فتراجعت في ذلك العصر العلوم العقلية، وانحسر فيه الاجتهاد، والإبداع حتى في العلوم النقلية مثل اللغة والفقه. وانتهج منهج المشاهدة والسماع للأحداث التي شهدها أو سمع عنها مثل فتح وهران والحملات الأوربية على الجزائرو فتنة درقاوة وغيرها.

والمصادر التي اعتمدها أبو راس في التأليف التاريخي تمثلت في شهاداته وشهادات المعاصرين له حين يصف استعدادات الباي محمد الكبير العسكرية وتنظيم المتطوعين وحصار مدينة وهران ومواقع الجيش[1] والمتطوعين وبداية الحرب بين المسلمين والمسيحيين (النصارى) إلى غاية إنهائها وفك الحصار بعد المفاوضات ودخول محمد الكبير المدينة وجلاء الأسبان عنها، ثم هي نقول ومرويات عن المصادر التي تتحدث عن تاريخ وهران والمحاولات العثمانية لفتحها وانتزاعها من الأسبان، كما استعمل الحوليات حين يؤرخ للحوادث التاريخية، حيث يذكر الدول التي حكمت وهران ومن ثم فتح وهران محترما التسلسل الزمني.

وبهذا ينتظم النص الإخباري عند أبي راس حول محورين زمنيين:

- المحور الأول الذي يجسد تقسيم الحدث إلى أدوار معينة: دور البدء ودور الاختتام.
- المحور الثاني الذي لا يفقد الحدث وحدته، فيسير على نهج المؤرخين العرب السابقين، ويقلدهم[2].

لا تختلف لغة رحلة أبي راس عن غيرها في رحلات غيره من الرحالين، فهي تمثل صورة من صور لغة السرد عموما وللغة السردية كما هو معلوم من الخصائص ما يجعلها تتميز عن غيرها.

---

[1]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 28.

[2]-المصدر نفسه، ص 29.

ولأن الرحلة تتفاوت فيها الأماكن والأزمنة سلبا وإيجابا خطرا وأمنا، وتتعدد فيها المواضيع، وتتنوع فيها الأحداث، والتي في كثير من الأحيان يسيطر عليها التاريخ، ويتحكم في روايتها صاحبها، فإن سرد أحداثها يأتي متماشيا مع هذه الخاصية باعتبارها تعتمد على حكي الأحداث والأقوال على لسان راو سارد يصوغ الموضوعات كلها بصوته هو[1].

لقد سيطرت على رحلة أبي راس البلاغة الدالة على التصنع في توظيف الصور والتكلف في الأسلوب، وعليه ظهر الجناس والطباق والمقابلة والسجع الذي جعله في كثير من الأحيان يسقط في التصنع، والابتعاد عن العفوية، وهذه الظاهرة بإجماع النقاد هي ظاهرة العصر إذ أن الأدباء فيه عموما والرحالين على وجه الخصوص يعمدون إلى السجع بطابعه التزييني، والذي ينتج عنه في كثير من الأحيان إطناب واستطراد، يكون نتيجتهما أن تتجه الرحلة في الغالب إلى وجهة تعليمية، باعتبار أن ذلك يدل على رغبة ملحة عند الرحالة أن يذكر الكثير من المعارف والعلوم[2] والأحداث بغرض إفادة المتلقي في مواطن أو تعبيرا عن الإعجاب بمنظر أو شخصية في مواطن أخرى، ومن مظاهر الإطناب المتعلق بالشخصيات التي نالت إعجاب الرحالة ما قاله من مدح في حديثه عن الباي محمد الكبير[3].

ومن جهة أخرى، ومن الضرورة بمكان إثارة ناحية جديرة بالأهمية ألا وهي طبيعة ونوعية المصادر التي اعتمد عليها الرحالة المغاربة في تأليف رحلاتهم، ألا وهي المشاهدة والملاحظة، فأبو راس الناصر كانت لديه قدرة فذة على معاينة كل ما تقع عليه عينيه وإيراده خاصة ما يجده جديدا أو غير مألوف، وقد لاحظنا من خلال تتبعنا لمحطات رحلته أن مقدار المشاهدة والملاحظة تتفوق بشكل واضح في رحلته، لا سيما عندما يطرح المسائل والقضايا التي ناقشها مع العلماء والمشايخ الذين لقيهم، فيقدم نصوصا للسابقين ثم يختمها برؤيته الشخصية الخاصة به، ومن هنا كانت القيمة المتزايدة لرحلته.

---

[1]-الطاهر حسيني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها وخصائصها، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة -، الجزائر، 2013/2014 م، ص 345.

[2]-المرجع نفسه، ص 346.

[3]-الطاهر حسيني، المرجع السابق، ص 347.

وإذا ما حاولنا تحليل نصوص رحلته لاستخلاص دلالاتها النفسية، نجد أنه يعكس لنا بصورة جلية كافة انفعالاته وانتماءاته الإسلامية والعربية والجزائرية[1]، حينما سمع بخبر فتح وهران وهو بتونس قافلا من رحلته الثانية، فعجل العودة إلى أرض الوطن للاشتراك في الجهاد ضد الأسبان، حيث اعتبر فتحها حدثا هاما عوض المسلمين خسارة الأندلس، وقد ساعده على ذلك التوضيح أنه لا يوجز عباراته بل إنه يفصلها ويقدم تصوراته العقلية وأحاسيسه النفسية الصادقة[2] .

وتحدث عن مدينة وهران وعمرانها فقال:"وهران بفتح الواو وسكون الهاء مدينة كبيرة...من أمصار المغرب الأوسط"[3] ذات أبراج عظام وأسوار ضخام، وهي ذات أشجار وعيون وبناء وأبراج: قلعة مرجاجو، البرج الأحمر، قصدها العلماء والتجار والشرفاء والعساكر، ويذكر بعض علمائها خاصة الإمامين محمد بن عمر الهواري وإبراهيم التازي[4] فتمكن الرحالة من وصف وهران وصفا دقيقا يترك القارئ يعيش الأحداث وكأنه ينتمي إلى تلك الفترة، وبالتالي تقترب الصورة إلى حد بعيد.

وأما العياشي فكان أكثر دقة في وصف ما مر عليه، وسجل كل ما لاحظه، مما يوضح دقة وصفه وعظيم ملاحظته[5]، كما برع في وصف الأماكن المأثورة بدقة شديدة، ولم يترك موضعا ولا مشهدا أو مسجدا أو بئرا كان موجودا في ذلك الوقت إلا وتناوله بالوصف[6].

ثانيا- قيمة كتب رحلات المغاربة كمصدر أساسي في كتابة تاريخ الجزائر الحديث:

تكمن القيمة التاريخية للرحلة في اعتبارها مصدرا دونت بواسطة شهود عيان عاصروا الحدث وقاموا بتسجيله في وقته، فدراسة الناحية التاريخية للرحلات مفيدة في التعرف على

[1]-عبد القادر بكاري، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري رحلة أبو راس الناصري أنموذجا، المرجع السابق، ص 218.

[2]-المرجع نفسه، ص 219.

[3]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 37.

[4]-المصدر نفسه، ص 38.

[5]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 127.

[6]-المرجع نفسه، ص 128.

الجوانب العلمية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية[1].

ومن هنا نستطيع القول بأن الرحلة تعتبر وثيقة تاريخية مهمة للمؤرخ بحيث يشرع الرحالة في التسجيل منذ بداية رحلته وإلى غاية نهايتها، فيدون التواريخ التي يتحدث من خلالها عن المعالم التاريخية والأحداث التي عايشها، كما يصف عادات وتقاليد المجتمعات فيتطرق للجانب السياسي وتاريخ البلدان التي يمر بها وغيرها من جوانب أخرى، لذلك تعتبر الرحلة مادة خصبة وأساسية لا غنى عنها للدراسات التاريخية وغيرها من التخصصات الأخرى[2].

بحكم احتواء الرحلة على مادة غنية ومتنوعة، صارت محل اهتمام كل من المؤرخ والجغرافي والمختصون في علم الاجتماع والاقتصاد وغيرهم، لتصبح عبارة عن منابع ومصادر للكثير من العلوم وسجل لمختلف مظاهر الحياة وأحوال المجتمعات عبر الأزمنة[3] فبفضل تنوع مضامينها ساهمت كتب الرحلات مساهمة كبيرة في علم الجغرافيا والتاريخ والأدب والاقتصاد والسير وعلم الاجتماع والسياسة[4]، وإنّ ما سجله الرحالة المسلمون -بمختلف تخصصاتهم- كنزٌ لا ينضب معينه، يضم الوثائق العظيمة من حيث القيمة والشأن في تاريخ الإنسانية، فالباحث باستطاعته أن يستخرج منها العديد من الحقائق ومختلف المعارف، إلا أنه يتوجب عليه دراستها بدقة وحذر شديدين عند معالجة النصوص التاريخية[5]، لأن الأخبار إذا اعتُمد فيها على مجرد النقل، ولم تُحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، فربما لم يُؤمن فيها من العثور ومزلّة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثيرا ما وقع للمؤرخين المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل، لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها

---

[1]-مشعل نايف عايض الدهاس، الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2008، ص 22.

[2]-ليلى غويني، المرجع السابق، ص22.

[3]-حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص 6.

[4]-عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 11.

[5]-زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981، ص 179.

وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار[1]، وأثناء تنقله يبدأ الرحالة رحلته بالملاحظة، فقد تختلف درجة الاهتمام ودرجة الصدق والأمانة والفهم من رحالة إلى آخر ويعود السبب في هذا إلى الظروف التي يخضع لها الرحالة، وإلى حين وجود ذلك الاختلاف تبرز قيمة تلك الرحلة[2]، وكما قال الرحالة ابن زاكور الفاسي متحدثا عن الرحلة وقيمتها:"فإن الرحلة منة من الله نحلة تكسب الغليظ الطباع غاية الرقة والانطباع و تعقب من كابد لها نصبا علما غزيرا وأدبا..."[3].

1- رحلة المجاجي(1063هـ/1652-1653م)(يُنظر الملحق رقم11):

اشتهرت هذه الرحلة ب: "رحلة المجاجي التي ألفها صاحبها بأكملها نظما بعد أداء فريضة الحج، واقتصر فيها على طريق العودة فقط سنة 1063هـ/1653م.

ويُحتمل أنه قام بتدوينها إما أثناء رحلته أو كتب مسودتها في الطريق، ثم أعاد تنظيمها عند عودته في شكلها الحالي، لذلك السبب يبقى تاريخ تدوين الرحلة مجهولا.

جاءت الرحلة على نسق واحد وعبارات بسيطة منتظمة المراحل، وأهدافها واضحة للقارئ، بحيث أن معانيها والمفاهيم الموظفة دقيقة، كما قام ناظمها بتحديد مواضيعها كالتعريف عن نفسه بطريقة مباشرة، لكن ما يُلاحظ أن هناك تكرارا في بعض الألفاظ دون الإخلال بالمعنى مثل: نزلنا، رحلنا، أقمنا، زرنا، دخلنا، تجاوزنا وغيرها[4].

جاءت الرحلة كمصدر يترجم لصاحبها، فذكر فيها الأصل والمنشأ والعصر الذي عاش فيه وبعض شيوخه والعلوم التي برز فيها، ومن أهداف كتابته لهذه الرحلة هو ملء الفراغ الذي يسود المنطقة حيث لا توجد مؤلفات خاصة في أدب الرحلة الجزائرية بالإضافة إلى جعل الرحلة منظومة نظما مبسطا قصد التسهيل في حفظها وتسهل على الحاج طريقه نحو البقاع المقدسة ليتمكن من الوصف الدقيق، والمختصر لجميع الأماكن التي يمرون بها أو ذكر أسمائها، ومن خلال كل ذلك يتبين الهدف، وهو التحديد الجغرافي للمعالم والأماكن

[1]-عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح:خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1998، ص 21.

[2]-حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص 6.

[3]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 9.

[4]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 88.



السهلة والوعرة الواقعة في طريق الحج من حيث وجود المياه والمئونة والأمن لكي يعرفها الحاج الذي يأتي من بعد.

هذه الرحلة عبارة عن قصيدة فصيحة بسيطة التعبير، تحتوي على العديد من المعلومات في مختلف المجالات كالتصوف والتاريخ والجغرافيا والتراجم والبلاغة، كما أنها تحتوي على مادة خبرية تاريخية وجغرافية تعكس عصر المؤلف، وجاءت بمثابة شهادة حية تتكلم عن عصر المؤلف في مختلف المجالات، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهناك إشارات عديدة إلى الجانب الديني التي تدل على طابع المؤلف الصوفي، ويتجلى ذلك من خلال مدحه لعلماء الصوفية وغيرهم من العلماء الذين رافقهم أو التقى بهم بحيث ذكر تخصصهم العلمي كعلم القراءات عند أبي سلطان والفقه عند الشيخ سحنون، مما عكس ميوله ومذهبه المالكي من خلال ما جاء في أبيات القصيدة من معان حول المدح والرثاء والهجاء وغيرها، كما سجل المؤلف ملاحظات حول ركب الحج[1] الجزائري من حيث تكوينه واهتمامات أهله ورئاسته، كما أشار إلى الغاية الثنائية من وراء الرحلة إلى الحج وطلب العلم في آن واحد، مما ميز الرحلة الحجازية، تطرق أيضا إلى الأدوار التي لعبها ركب الحج الجزائري، ومنها الاقتصادية والثقافية، مع ذكر الانطباعات الجيدة التي تركها الركب من خلال حسن انتظامه وتنظيمه من قبل الأمير كذلك تحدث عن أهمية ودور المرأة الجزائرية في المجتمع كالسيدة عودة بنت محمد بن علي أبهلول التي تكلم عن خصالها وقدرها.

اتصفت الرحلة المجاجية بالموضوعية خاصة فيما يتعلق بالوصف لبعض المناطق بالرغم من قلتها، وكانت الرحلة محل اهتمام أهل مجاجة منذ أن كانت مخطوطة، وقد خص لكل مرحلة مر بها عدد من الأبيات، فبلاد المغرب: برقة وطرابلس وتونس

[1]-ركب الحج: شُبه الركب بالمدينة المتنقلة أو القافلة التي يُشرف عليها ويسيرها أحدهم المسمى بأمير الركب ويساعده في ذلك كلٌ من الإمام والقاضي، وعلى العموم مصطلح" الركب "يعني القافلة الجامعة، السائرة لأداء غرضٍ معيّن، ومَسير قافلة الحجّاج أو الحجيج، القاصدين بلاد الحرمين الشريفين: مكة والمدينة، من أجل أداء وإتمام مناسك الحج، وهناك من يرى بأن الرّكب يحمل كذلك معنى الموكب المتكون من مجموعةِ قوافل الحجّ المنطلقةِ من وطنٍ أو إقليم معيَّن.يُنظر: مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 25. وأحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص ص23، 24.

والجزائر 230 بيتا[1]، وجاءت على شكل قصيدة فصيحة نظمها صاحبها عام 1063هـ/1652م[2].

سجل المجاجي في رحلته معلومات ذات قيمة تاريخية بالرغم من قلتها كون الرحلة جاءت على شكل نظم، مما أخلت بالعديد من المعلومات المفصلة الخاصة بالجبال والسهول والوديان التي مر بها الرحالة، ومع كل هذا استطاع أن يكتب الرحلة بطريقة بسيطة وواضحة المعاني وخالية من التنميق اللفظي، وكان دقيقا في الوصف تسمية أو مجازا، كما تناولت الرحلة محاور أساسية تمثلت في الحديث عن مسار الرحلة ووصف الأماكن التي مر بها المجاجي وصولا لأرض الجزائر، واقتصر على طريق العودة من البقاع المقدسة إلى مجاجة بالجزائر[3]، حيث نظم رحلته في قصيدة بدأها ب:

نَشُقُّ الفَيَافِي فَدْفَدًا بَعْدَ فَدْفَدٍ جِبَالاً وَأَوْعَارًا وَأَرْضًا وَطِيَّة[4]

وذكر مراحل الرحلة، أين تحدث عن كل ما يتعلق بركب الحج الجزائري من حيث التنظيم والنظام ومختلف الأدوار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومسار الركائب والمناطق التي تنطلق منها[5]، وذلك الركب الذي يعتبر وسيلة لنشر العلوم والتواصل الثقافي بين المناطق العربية والذي رافقه مجموعة من العلماء أغلبهم متصوفة مثل أبي الحسن علي(أبو حسون) وشقيقه عبد القادر الجيلالي وعمهما أبو علي وعمتهما السيدة عودة ووالدهما محمد بن علي أبهلول وعبد الكريم الفكون أمير الركب الذي مدحه المجاجي بحسن تنظيمه للركب، وذكر شخصيات أخرى[6]، ثم تطرق إلى التصوف والأعلام حيث تأثر بالفكر الصوفي وحب أهله، حيث كان كثير الزيارات لأصحابه الأحياء منهم والأموات، وكان يقصد الجوامع ومجالس العلماء[7].

---

[1]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص ص89-91.

[2]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 388.

[3]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص ص105، 106.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 388.

[5]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص 132.

[6]-حمزة بكري:"ركب الحج الجزائري من خلال رحلتي الحسين الورثيلاني وعبد الرحمن المجاجي"، مجلة عصور الجديدة، مج 10، ع 1، ص ص296-310، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2020، ص ص308، 309.

[7]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص ص151، 152.

والملاحظ من خلال النسق الفني والأدبي لرحلة المجاجي أن المؤلف كان منسقا غاية التنسيق في قصيدته، واقتصر فيها على رحلة الإياب فقط، ولأجل تلك الدقة المتقنة نجده يعرف متى يعلق على الخبر ومتى يذكر القصة التاريخية أو المسألة الفقهية مع قلتها فتلك الدقة توحي بأن له اطلاعا واسعا بالكتب، سواء أكانت رحلات أم غيرها من كتب التاريخ والسير، فتكون بذلك رحلته مميزة عندما تطلع على مسار الرحلة والدقة في أسماء الأماكن التي يمرون بها من أرض الجزائر والعكس، والمدة الوافية لذلك مجزئا كل الرحلة إلى مراحل، منتظما في ذلك بشكل متميز لكي يسهل تداول معانيها وإمكانية حفظها، ليصل إلى بلاد المغرب الإسلامي ليختمها بموطنه بالجزائر، فشاهد فيها كبريات مدنها ليصورها لنا تصويرا يتفاوت في الطول والقصر وفقا لأهمية تلك المدن عند المؤلف، إلى جانب مدة إقامتهم بها في بعض الأحيان، مركزا في الوصف على المساجد والمياه والأسواق والمنازل والأبواب والحقول والبساتين، بالإضافة إلى المقابر والعلماء والأولياء والمواقع الإسلامية والضواحي كالقرى مثلا أو أسماء بعض المواقع وحتى بعض الوديان والجبال، وهذا حسب أهمية كل بلد.غير أننا نجده عُني في رحلته بمواطنيه من أبناء الجزائر خاصة ثم أبناء البلاد التي يدخلونها في طبيعة معاملة أهلها وعلمائها وبعض حكامها كمدينة الجزائر وبسكرة وأمير مدينة بسكرة أو يشيد بخصال من رافقهم وبخاصة أمير ركبهم، فنجده يتحين الفرص في الثناء عليه، ويعدد ألوان بره بهم، وفي المقابل ينبذ من يجافونهم أو يتخوف من معتقدات بعضهم كأهل مدينة زواوة، ولكن هذا النقد قليل جدا في الرحلة.

وقد اعتمد المجاجي على مصادر متعددة منها :

أ-المصادر العيانية:وهي مشاهدات المجاجي المباشرة للأشياء فتأثر بها وأعطاها أكبر أهمية في نفسه، وقد تجلى ذلك في عبارته التي ساقها في رحلته بمناسبة زياراته العديدة لقبور الأولياء والعلماء، وكذا تنقلاته بين المدن والقرى التي أوحت إليه بما سجله في نظمه.

ب-المصادر الشفوية: هي الأخبار التي تلقاها المجاجي مباشرة عن عدة أشخاص معاصرين له[1].

جـ-المصادر المكتوبة: تضم هذه الجزئية جميع المصادر المكتوبة التي اعتمدها المجاجي في نقله، وقد كان ذلك النقل في مجمله بالمعنى فقط، كما كان يعتمد على حافظته في أحيان أخرى، واعتمد على شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت1041هـ /1631م) دون ذكر اسم الكتاب.

وقد تجلى كل ذلك حسب ما صرح به، أما ما لم يصرح به فأحيانا يفهم من الإشارات فقط بأنه استفاد بمصادر توثق له ما يقوله، كما فعل في مدحه لعقبة بن نافع وتعديد مناقبه في الأبيات الآتية:

فَلِأَجْلِ ذَاكَ قَدْ نَقَلْنَا مَنَاقِبًا لَهُ فِي فُتُوحَاتِ البِلاَدِ البَعِيدَةِ

عَلَى مَا وُجِدَ مَنْصُوصٌ وَمُسَطَّرٌ عَنِ العَدْلِ لاَ يَغْرُرْكَ قَوْلُ الشَّنِيعَةِ

فالمجاجي شخصية لها معرفة علمية، حاول أن يثبتها من خلال إبراز بعض المصادر التي اعتمد عليها، وإن كانت إشاراته للمؤلفات التي اعتمد عليها قليلة لكن هذا لا يمنع أن يكون حريصا على أن يأتي بالخبر والمعلومة من أصل صحيح ليقدمها لنا في طبق لا يقبل الشك أو الجدل أيا كان منبعها، سواء أكانت بالمشاهدة بعين العيان أم بالسماع بأذن اليقين[2].

2- رحلة العياشي (ماء الموائد أو الرحلة العياشية 1073هـ/1662م)(ينظر الملحق رقم 12) :

تميُّز أبي سالم العياشي بفضل رحلاته الثلاث نحو الديار المقدسة وتدوينه لكل مجرياتها أتاح له فرصة الانتشار على نطاق واسع، فكان ملمحا صادقا من ملامح القرن 11هـ/17م بكل تجلياته، كما كانت رحلته عبارة عن وسيلة وفرصة سمح من خلالها انتقال الكتب والمصنفات، وترويج الأفكار والمعتقدات على نطاق واسع بين المشرق والمغرب[3]، فكان

[1]-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المصدر السابق، ص ص92- 94.

[2]-المصدر نفسه، ص ص95، 96.

[3]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 30.

في كل مرة ينتبه لبعض العادات والطقوس الغريبة مثل أهل ورقلة بالجزائر عندما يدخلون المسجد فيتيممون كلهم، وليس كلهم بأصحاب أعذار، وأهل بوسمغون يحتفلون بعيد الفطر وسط دوي البارود حتى في المصلى[1]، بالإضافة إلى التطرق للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[2]، زيادة على ذلك اشتملت الرحلة على تراجم علماء وإشارات تاريخية ومناظرات فقهية، فبرزت أهمية الرحلة أكثر من خلال الأسلوب الجديد في البحث فمن النطاق المغربي المحدود إلى الفضاء الواسع الذي يمتد إلى الشرق الأدنى، حيث تختلف المناهج الدراسية عنها في المغرب[3].

وقد احتوت رحلته: "ماء الموائد" على أخبار وافية وأحداث مختلفة، عاينها أو سمعها أثناء سفره ومروره بأرض الجزائر عبر طريق الجنوب من المغرب الأقصى.

تلك الوجهة التي قام بها الرحالة العياشي من أجل طلب العلم أو رغبة في الحج وكانت زياراته الثلاث نحو المشرق في السنوات التالية :(1059-1064-1073هـ/1649-1653-1661م) انطلاقا من سجلماسة جنوب المغرب الأقصى ثم إلى توات وورقلة بالجزائر وطرابلس بليبيا ثم مصر، لينتهي به المطاف في الحجاز[4]، ووصف الطريق الذي كان يسلكه المغاربة متجهين لأداء فريضة الحج وصفا دقيقا، وهو نفس الطريق الذي كان يسلكه عادة حجيج سجلماسة وجنوب الغرب الجزائري المعروف بمسلك الصحراء الشمالية أو طرق"القصور"، فلخصها العياشي في رسالة ذكر فيها المحطات التي توجد بين سجلماسة والإسكندرية منها الجزائر[5] .

---

[1]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 31 .

[2]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 14.

[3]-خالد التوزاني:"تجليات العجيب في الرحلة المغربية"ماء الموائد"لأبي سالم العياشي أنموذجا"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، المرجع السابق، ص 106.

[4]-الطيب بوسعد:"الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني(وادي ريغ نموذجا)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، قسم التاريخ، المركز الجامعي لغرداية، 2011، ص 434.

[5]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص 378.

وصف المؤلف أثناء رحلته الصحراء وجغرافيتها، وتحدث عن السكان وأخلاق الناس وعاداتهم ونمط معيشتهم، بالإضافة إلى تطرقه إلى أحوال العلماء والصلحاء، كما تكلم عن الجانب التجاري[1]، فسجل كل ما شاهده في مؤلفه:"ماء الموائد"، ووصف طريق الحج المغربي ومحطاته ومنازله وصفا دقيقا وعرضا شاملا عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأقاليم التي مر بها أو توقف عندها، وتعتبر رحلته المشهورة "ماء الموائد " نتيجة للرحلات الثلاث المتتالية المذكورة سابقا لأداء فريضة الحج[2].

واستمدت قيمة رحلة العياشي من مضامينها الثرية التي احتوت على كم كبير من النصوص والأشعار والتراجم والأخبار، الأمر الذي خصَها طابع الموسوعية، هذا بالإضافة إلى مكانتة العلمية كواحد من كبار العلماء والفقهاء.

وقد رسم الرحالة معالم رحلته وفق مسارها المقدس، بحيث وضع معالمها التي زاوجت بين جغرافيـة الأرض والفكر وبين متطلبات الروح والعقل، كما أشار إلى النوازل التي تطرق إليها خلال الارتحال والسفر من مكان لآخر، مع اهتمامه كذلك بكل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات من شوائب وزيادات في مناطق مختلفة، وهذا ما أعطى للرحلة مكانة مميزة مما هي عليه، فمثلت بذلك طريقا منيرا اهتدى على ضوئه العديد من الرحالة والكُتاب في مختلف المجالات، سواء كان ذلك في الرحلة أو التراجم والأعلام.

وبفضل تميزها بالطابع الموسوعي وبخصائصها من حيث طبيعة مادتها التي توزعت بين مختلف أنواع المعرفة وفنون العلم، أُعتبرت بمثابة موسوعة علمية جامعة[3] وشاملة الفوائد وغزيرة النبع والموارد والمصادر، فكانت المسائل العلمية التي تناولتها متنوعة وبسيطة في سياقها وعباراتها[4]، واختصت بتميزها بنشاطها العلمي، ووصَفها صاحبها بأنها

---

[1]-الطيب بوسعد، المرجع السابق، ص 434.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص 377 .

[3]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص31، 32.

[4]-محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 6، تح محمد حجي وأحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، ط 2، تونس، 2008، ص 1622.

ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة، وكانت ذات طابع ديني وعلمي، فتلازما لهذا السبب الهدفان، وقد أكد العياشي على ذلك من خلال قوله:

"وقصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة وإن وجد الأمران فيها معاً فذلك أدعى لنشاط الناظر فيها، سيما إن كان صاحب تلوين وأما صاحب التمكين، فلكل شيء عنده موقع ونفع لا يوجد في غيره، والله المسؤول أن يلهمنا رشدنا، ويخلص لوجهه فيما نأتي ونذر قصدنا، فهو حسبنا ونعم الوكيل، وبالإجابة لدعاء سائله كفيل"[1].

فالرحلة العياشية إذن هي عبارة عن ديوان علم وأدب وسجل تاريخ وتصوف وكتاب آثار وأخبار، فتميزت عن باقي الكتب بما تضمنته مجموعة من النصوص والرسائل والإجازات وغيرها، فضلا عن ترجمة العديد من الأعلام.

وكان العياشي حريصا على تدوين كل ما صادفه في طريقه ولفت نظره من ضلالات وبدع التي أثرت في المجتمع الجزائري، وكان أنذاك يبدي برأيه فيها بكل صراحة، وكان جريئا في انتقاده للعلماء والفقهاء في سكوتهم على انتشار مثل هذه البدع والضلالات كما حرص على رد الخاطئة من الأعراف والمعتقدات التي صادفها أثناء رحلته، وتكذيب الأفكار الباطلة، الأمر الذي أعطى للرحلة العياشية خصوصية وأكسبها التميز كونها رحلة موسوعية يجد فيها كل باحث ما يبحث عنه[2].كما بلغت الرحلة أهمية بارزة حيث مثلت مصدرا هاما يتوفر على معلومات عديدة ومتنوعة قيمة يستفيد منها القارئ، فبالرغم من أن الطابع الديني غلب عليها، وكذا النزعة التصوفية إلا أنها تبقى ذات أهمية كمصدر أساسي لكل باحث في الفترة، والأماكن التي سجلتها الرحلة، فيمكن للباحث أن يستقي منها المعلومات الجغرافية والأحداث التاريخية والأوصاف العمرانية والملاحظات الاجتماعية والتيارات الثقافية، فتعطي صورة صادقة للعادات والتقاليد وحالة العمران وأحوال الناس من حيث المستوى المعيشي والصحي والأمني، إضافة إلى الأوضاع الزراعية والصناعية

[1]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص13.

[2]-المصدر نفسه، ص ص13-15.



واهتمامات الشعوب خاصة المعارف الفقهية وسلوك المتصوفين والفقهاء في القرن 11هـ/17م.

وقد وصف القادري رحلة العياشي في كتابه:"التقاط الدرر" في قوله بأنها:"جمة الفوائد غزيرة النفع في المصادر والموارد"، فتعتبر الرحلة تعبيرا صادقا عن ثقافة العصر ومميزات المجتمع، وحظيت بعناية العديد من الكتّاب والباحثين الذين وجدوا فيها مادة غنية عن المجتمع العربي في القرن 11هـ/17م، لا تتوفر في العديد من المصادر المعروفة، حيث قام بترجمتها إلى الفرنسية الكاتب الفرنسي بربروجر(Berbrugger) ونشرها في لوحة:"الاستثمار العلمي لإفريقيا "[1].

ونستطيع أن نقول بأن تلك الرحلة كانت عبارة عن كتاب خاص بتراجم أعلام القرن 11هـ/17م، فكان صاحبها شديد الحرص على الالتقاء ومقابلة كل من ينتمي لتلك الفترة والأخذ عنه والتعريف به، وإن استحال عليه ذلك فيكتفي بالإشارة فقط[2].

وعلى سبيل الذكر، سجل العياشي مناقشاته مع العلماء والأشياخ الذين التقى بهم في تقرت كمحمد بن عبد الكريم التواتي وغيره من العلماء[3]، كما اهتم بالجزئيات وحرص على تناول المعلومات بدقة، حيث تكون منسجمة والطبيعة الموسوعية للرحلة التي اهتمت بكل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها، مما عكس شخصية الرحالة بأنها ذات خبرة وتجربة في مثل هذه الرحلات والمصاعب[4].

وحسب المؤلف ناصر الدين سعيدوني قد جاء أسلوب رحلة العياشي جافا بسيطا يميل إلى الغموض والتكلف والمبالغة، لا سيما عند حديثه عن العلماء والصالحين والأولياء

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص ص378، 379.

[2]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 29.

[3]-مزين محمد:"المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول والقرنان 16 و17 م"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 09، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995، ص 280.

[4]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 22.

والدراويش، كما لا يخلو أسلوبها من الاستطرادات المتكررة، مع غياب النقد وعدم التركيز والميل إلى الإطناب[1].

ونجده أيضا قد ركز أثناء رحلته على مخالطته للناس والدخول إلى الأسواق والاعتكاف في المساجد وزيارة المقابر والوقوف على المكتبات والمشاركة في المناسبات والمساهمة في حلقات الدرس، بحيث كان يدون ويسجل كل صغيرة وكبيرة مما كان يلاحظه، مع تقديمه للأدلة من الكتاب والسنة، واعتماده كذلك على التاريخ، والمقارنة فيما بين الأحداث والظواهر الواقعة، كما كان يميل إلى التفسير والتعليل، وعندما تكون ظاهرة اجتماعية معينة أو تفشي سلوك معين يقوم باستظهار العوامل الاقتصادية[2]، كما أورد مجموعة من الأخبار الهامة المتعلقة بالأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية للجنوب الجزائري خلال القرن 11هـ/17م[3].

وبذلك استطاعت الرحلة العياشية كذلك أن ترصد لنا بدقة وصدق كل ما كان يجري من أخبار حول مختلف التيارات الفكرية والعقدية والمذاهب الصوفية خلال القرن 11هـ/17م[4] فكانت في تلك الفترة تعبر بصدق عن ثقافة العصر ومميزات المجتمع[5]، فسجل العياشي بذلك أوصافا لم تكن على طريق الرحالة المغاربة فكان له السبق في إيراد الجديد والغريب والنادر والطريف، فتميز عن غيره من الرحالة المغاربة في ذلك.

ونستطيع القول أن العياشي يعتبر شيخ من أتى بعده من الرحالة المغاربة، فرحلته كانت أنموذجا احتذوا بها لما تضمنته من موضوعات وأوصاف أماكن، رتبت تحت عناوين منظمة وانفردت من حيث كبر حجمها أو ما اشتملت عليه من مناقشات وطرائف ومواضيع

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص 379.

[2]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص18- 20.

[3]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 24.

[4]-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 25.

[5]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص 379.

فقهية وأوصاف جغرافية وعادات اجتماعية وأحداث تاريخية وسياسية واقتصادية، فانفرد العياشي، وكانت رحلته أصدق دليل على شخصيته المتميزة.

3- رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام 1150هـ/1737م):

رحل أبي العباس الهلالي إلى المشرق حاجا وطالبا، فكتب عن ذلك رحلته، لكن لم يصفها أحد كغيرها، ولم يتحدث عنها إلا قولا عند المؤرخ الفرنسي"ليفي بروفنصال

"(Levi-Provençal)، ونصه:"ألف-أي الهلالي-عدة كتب منها رحلة خلاصتها في نشر المثاني"، ذلك المصدر الذي احتوى إلا على ما يلي:"رحل صاحب الترجمة للحجاز بقصد الحج مرتين، وألف في رحلتيه رحلة جليلة"، وقد نقل بروفنصال مقروءات الهلالي ومروياته ومسلسلاته من فهرسته، جازما بقوله:"وكل هذا من فهرسته" والشيخ عبد الحي الكتاني الذي رأى وطالع وجمع خزانة عظيمة قال:"له رحلة حجازية" وصرح عبد الوهاب بن منصور بأن:"رحلة الهلالي:رحلة وصف فيها ما شاهده في حجتيه الأولى والثانية وذكر من لقي في طريقه من العلماء بفجيج وصحراء الجزائر، وهذه الرحلة نادرة لا يعرف أحد مكانا توجد فيه، مما شك بعضهم في وجودها مع أن النقل عنها ورد في عدد من الكتب والتقاييد كوصف إقامته مدة يومين في خزائن بني عبد الجبار في فجيج لم يستوف فيهما قراءة أوائل الكتب المحفوظة فيها[1]".

فقد سمى المنازل وحدد المناهل وأمتع بأخبار حسان عن رجالات الفضل والعلم وحكى وساق الأشعار وأفتى وأصلح وصحح[2]، فقد كان اعتناؤه بالعلم وتحصيله، كثير العبادة، فلا تراه إلا مطالعا أو مدرسا أو ذاكرا، وغالب أحواله المطالعة أو التقييد[3]، لقد تأثر مثل سائر الرحالين بأسلوب السابقين في تدوين رحلاتهم، من التركيز على وصف المواقع الجغرافية ولفت الأنظار إلى واقعها الطبيعي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والديني والثقافي

---

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص72-74.

[2]-المصدر نفسه، ص 82.

[3]-محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 6، المصدر السابق، ص 2216.

والتاريخي، على تفاوت في درجة الاهتمام يستجيب لتكوينه وميولاته الشخصية، معتمدا على رحلة العياشي في بعض التوصيفات والأخبار[1].

كما تميزت الرحلة بمعلومات أساسية ودقيقة تخص المناطق الغربية والشرقية من صحراء الجزائر خلال القرن 12هـ/18م، بحيث تحدثت عن الأوضاع السياسية والاقتصادية وجوانب عن ظروف وعادات المجتمع وثقافته والجانب العمراني، وتطرقت إلى أماكن الكتب العلمية والمساجد والمزارات والآبار والأودية، بالإضافة إلى تاريخ الرحلة وتدوين مسائل وفتاوى فقهية ووصف طريق الرحلة، كذلك إلى ذكر طبيعة الحكم السياسي أنذاك والأحوال الاقتصادية وأحوال المجتمع والثقافة[2].

وتكمن قيمة وأهمية الرحلة كونها تميزت بالتنوع في المعايشة والآنية والتعريف والتعليل والتقويم والانطباع والنقد والأسلوب الأدبي الجيد[3].

4- رحلة الحسين الورثيلاني ("الرحلة الورثيلانية" أو "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" 1179هـ/1765م) (ينظر الملحق رقم 13):

بدأ الحسين الورثيلاني في كتابة رحلته قبل الشروع في الرحلة أو الحجة الثالثة، وأتم تدوينها بعد عودته بمدة قصيرة، وشرع التلاميذ والطلبة في نسخها ابتداء من عام 1182هـ/1768م أي بعد عام من عودته من الحجة الثالثة والأخيرة، وقام العالم الجزائري محمد بن أبي شنب بتحقيقها ونشرها عام 1908م لأول مرة[4].

تعد الرحلة الورثيلانية من أهم مصادر التاريخ الجزائري من عدة نواحي: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي ترتبط بالجزائر، خاصة منطقة القبائل، فهو يرسم

---

[1]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص ص89، 90.

[2]-فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص ص41-44.

[3]-أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 96.

[4]-يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، المرجع السابق، ص 47.

صورة واضحة لما كان يجري بها نظرا إلى أن هذه المنطقة كانت في عزلة عن السلطة السياسية في البلاد[1].

كما تعتبر أنفس تصنيف، حيث اشتهر هذا التأليف بين البوادي والحواضر لاشتماله على المعارف والطرائف والعوائد والفوائد ونسق كالأوصاف الكاملة وحل المسائل الشاكلة تارة راتعا في رياض الفقه والحديث والتوحيد، وتارة واردا حياض التفسير والتاريخ والتجويد، وآونة طامحا إلى التصوف والنصح والوعظ، باذلا في ذلك كله غاية الجد والجهد[2].

شغفه الكبير بما رآه وحبه لمن لاقاهم أو سمع عنهم هو ما دفع الورثيلاني إلى تدوين رحلته[3] التي انتهى منها عام 1182هـ/1768م واستوحى عنوانها من مضمونها من خلال مشاهداته وتعليقاته أثناء رحلته الحجية[4]، فبيّن فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية، مع ما فيها من التصوف[5] ووصفها الحفناوي في كتابه:"الرحلة السنية التي سارت بها الركبان، وقد دعا لناسخها ومالكها وناظرها، فهي حصن حصين..."[6].

---

[1]-عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، أطروحة دكتوراه علوم، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2016/2015، ص 35.

[2]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 1، المصدر السابق، ص 3.

[3]-عبد الجليل شقرون، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي أحمد دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه في تحقيق المخطوطات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر ، 2016-2017، ص 47.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، المرجع السابق، ص 419.

[5]-عبد الجليل شقرون، المرجع السابق، ص 47.

[6]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، المرجع السابق، ص 419.

وصف بدقة سير الركب مع كل محطة ينزل بها، ويتطرق إلى كل الظروف والمصاعب التي واجهوها، غير أن شوقه لزيارة قبر الرسول ﷺ تغلب عليها جميعها فوصف كل مراحل السير والأماكن التي زارها[1].

وتكمن أهمية الرحلة في المعلومات الهامة التي اشتملت عليها بحيث تطرقت للحياة اليومية والاقتصادية المعاشة والعادات والمستوى الثقافي وأسلوب الحكم ونوعية اهتمامات العامة في البلدان التي تعرف عليها في سفره أو أثناء إقامته[2]، فذكر مثلا الأسواق والمنتوجات الزراعية وأسماء الشيوخ الذين لقيهم بأماكن مختلفة، كما أشار إلى بعض الخرافات التي مارسها الناس مستدلا في كل مرة بقول بعض الرحالة مثل أبي سالم العياشي وغيره[3].

وعليه تعتبر هذه الرحلة من المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها للتعرف على أوضاع الجزائر في القرن12هـ/18م، فهي تسجيل حي للوضع الاجتماعي والاقتصادي ووصف دقيق لحالة المسالك والعمران ومحطات القوافل ونقاط الماء وصورة صادقة للواقع الثقافي، وخاصة ترجمته للعديد من صلحاء وعلماء ومشائخ وطنه[4].

وتبرز الأهمية والقيمة التاريخية للرحلة بفضل ما اشتملت عليه من معلومات مهمة لها علاقة بالحياة السياسية والاقتصادية وأسلوب العيش والمستوى الثقافي والعادات والتقاليد والاهتمامات الشعبية للمدن والبلدان التي زارها خلال رحلته، انطلاقا من مجاجة ثم زمورة وقصر الطير وأولاد موسى ووطن ريغة وأولاد دراج وبريكة وبسكرة وسيدي عقبة والخنقة وأولاد سيدي ناجي، إلى غاية المدينة المنورة ومكة المكرمة، أما رجوعا فقد مر بقسنطينة وزمورة، قبل أن يصل إلى قريته بني ورثلان.

---

[1]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 2، المصدر السابق، ص ص520-533.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، المرجع السابق، ص 419.

[3]-الحسين بن محمد الورثيلاني، مج 2، المصدر السابق، ص ص497-520.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، المرجع السابق، ص 421.

فيمكن الاستفادة من المادة التاريخية الغزيرة للرحلة في إعادة صياغة تاريخ الجزائر في هذه الفترة بفضل التغطية التاريخية الشاملة للبلاد، عكس ما ركز عليه الرحالة الأوربيون حيث اكتفوا بمدينة الجزائر فقط ومنطقة القبائل بقصد فرض السيطرة[1].

على الرغم من الحشو الذي ميز الرحلة والتكرار ونقص الترتيب، إلا أنها جمعت العديد من العلوم مثل التوحيد والفقه والتفسير والنحو والبلاغة والصرف والتصوف والتاريخ والجغرافيا، كما كانت شهادة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر والبلدان العربية التي مر بها.

لقد اعتمد الرحالة على مجموعة من المصادر في تدوين رحلته، منها الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي الجعفري المعروفة بالرحلة الناصرية وكتاب: "النبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة" لأبي عبد الله محمد بن علي بن حمادة بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي وكتاب: "الأدلة السنية في مفاخر الدولة الحفصية" للشيخ ابن الشماع الحفصي و"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني و"رياض الصالحين" لعبد الرحمان الثعالبي، ومنها في الفقه والتصوف والتوحيد وتجاوزت 300 مصدرا[2].

التزم الورثيلاني في رحلته بالصدق والصراحة في سرده للأحداث، وتحرى الحقيقة فلم يكتف بالمشاهدة بل كان في كل مرة يؤكد معلومات الرحلة عن طريق العودة إلى مصادر الذين سبقوه مثل البكري والغبريني وأبي سالم العياشي وغيرهم[3]، وكان التزامه بالصدق في كل ما أورده من أحداث ووقائع، فهو يدلي برأيه بكل صراحة ويجاهر بالحق إن رأى في ذلك مصلحة، فلم يتردد، كما تحرى الحقيقة، فهو لا يكتفي بما شاهده أو روي له بل يلتجئ في بعض الأحيان تأكيدا لروايته أو استكمالا لوصفه إلى الاقتباس من كتب الرحالة السابقين، أمثال أبي سالم العياشي، وابن عبد السلام الدرعي والعبدري وابن رشد وغيرهم كما أنه لا يتردد في أن لا يقتبس أيضا من فقرات بعض كتب المسالك والبلدان والتراجم

---

[1]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف...، المرجع السابق، ص ص247-249.

[2]-المرجع نفسه، ص 246.

[3]-المرجع نفسه، ص ص247، 248.

والتاريخ، ككتب البكري وابن حوقل والسيوطي والسمهوري والمقريزي والغبريني وابن فرحون وابن الشماع، وقد يشير إلى مصدرها، وقد يثبتها دون ذكر صاحبها[1].كما التزم بعرض الواقع كما هو دون تشويه الحقيقة، فكانت بذلك انتقاداته شديدة تجاه الحكام والولاة مثل الحالة التي ينعدم فيها الأمن وسوء الأخلاق[2].

أيضا يعرض الرحالة الواقع كما هو، وهذا ما جعل روايته للأحداث يطبعها التشاؤم وتتخللها العبارات القاسية، فهو شأنه شأن الرحالة المغربي العبدري، يشتكي انعدام الأمن بالطرق وظلم الحكام وجورهم وضعف الدين وقلة الرغبة في فعل الخير ويؤاخذ الناس على طبائعهم التي يراها مجانية للأخلاق الفاضلة وينتقد رفاقه وأهله على ما اتصفو به من سلوك ويصف المجتمع الجزائري قائلاً: "أهل وطننا فيهم الغلظة والجفاء وسوء الأدب وعدم ادعائهم للحكام"، ويذكر أن الركب الجزائري[3] (الحجاج) "لا حكم عندهم أصلاً ولا يتفقون عند الأمر والنهي"[4].

كم تحلى الرحالة بالتقوى والورع في مدحه للصلاح والعلماء حيث كان يتقرب منهم ويزور الأضرحة والصلاح[5]، وكان يكثر الثناء عند ذكره للأشخاص الذين تعرف عليهم ونالوا إعجابه، ويصفهم بعبارات الشكر والتقدير والإجلال، كما يبدو حرصه على التقرب من رجال العلم وزيارة أضرحة الأولياء الصالحين والدعاء عندها كأضرحة عقبة بن نافع وخالد بن سنان، دون أن يهمل التعريف بهم وبأعمالهم لأنهم حسب قوله:"إنما يكمن في ذكر الإخوان...وبيان أوصافهم...ليحقق الجامع بأحوالهم...وبأوصافهم".

وهو مع ذكره للكرامات وروايته لبعض الخرافات فإنه لا يطمئن إليها ولا يسلم بصحتها إذ يسجلها في خانة النوادر واللطائف ويعلق عليها غالبا بقوله: "والله أعلم"، وقد يثبت

---

[1]-ناصر الدين سعيدون، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص 420.

[2]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف...، المرجع السابق، ص ص247، 248.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، المرجع السابق، ص 420.

[4]-المرجع نفسه، ص 421.

[5]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف...، المرجع السابق، ص ص247، 248.

الأحكام الشرعية والآراء الفقهية التي لها صلة بها[1]، كما التزم بأسلوب فيه المحسنات البديعية والمرادفات، واقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف[2].

هذا ومن الراجح أن بعض الأخطاء اللغوية والاستطرادات والتكرار المخل بالمعنى والذي قد يلاحظ في سياق الرحلة يعود أساسا إلى طريقة تسجيل الرحلة ذاتها، فقد أملاها الحسين الورتلاني على طلبته اعتمادا على مذكرات كان قد كتبها أثناء استراحته وهو في طريق السفر دون أن يقوم بعد ذلك بمراجعتها وتصحيحها[3].

ورغم نقص الرحلة في بعض جوانبها إلا أنها تعد موسوعة شاملة عن الجزائر وأقطار عربية أخرى خلال القرن 12هـ/18م[4]، ومن المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها للتعرف على أوضاع البلاد الجزائرية وأقطار تونس وطرابلس ومصر والحجاز في القرن الثاني عشر للهجرة الموافق للثامن عشر للميلاد، وتسجيل حي للوضع الاجتماعي والاقتصادي، ووصف دقيق لحالة المسالك والعمران ومحطات القوافل ونقاط الماء وصورة صادقة للواقع الثقافي، ولعل أهم ما يتميز به الورتلاني في هذا الجانب هو ترجمته للعديد من صلحاء وعلماء ومشائخ وطنه بني ورتلان[5].

5- رحلة الحضيكي (الرحلة الحجازية 1189هـ/1775م)(ينظر الملحق رقم 14):

تعتبر هذه الرحلة من أحسن مؤلفات الحضيكي، بدأها بتحديد الهدف من تأليفها حيث قال: "المراد ذكر جماعة ممن لقيناهم من العلماء في الحضر والسفر، رجاء من الله تعالى عظيم البركة وشمول الرحمة عند ذكرهم، والانخراط في سلكهم لوفور محبتي لهم ولعظيم شوقي لذكرهم"، وبعدما انتهى من ذكر شيوخه المغاربة، قال: "وهنا انتهى ذكر من ذكر من الأشياخ ولا أطيق حصرهم... ، ولنشرع في ذكر من لقيناه في سفرنا للحج وبعض مراحله ".

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 421.

[2]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف...، المرجع السابق، ص ص247، 248.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 421.

[4]-عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف...، المرجع السابق، ص ص247، 248.

[5]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 421.

بدأ الحضيكي في وصف رحلته إلى الحج عندما سار الركب مرورا بالقنادسة بالجزائر انطلاقا من سجلماسة بالمغرب الأقصى، ثم رجع الحضيكي مع بعض رفاقه من طلبة سوس عن طريق نفس المسار[1]، كما أمدنا بمعلومات جغرافية وتاريخية واقتصادية واجتماعية، إضافة إلى الموضوعات الفقهية[2]، وبما أنه كان مهتما بالجانب الجغرافي فكان في كل مرة خلال رحلته يعرف بالأماكن والبلدان التي يمر بها أو ينزل بها، ويعطي البيانات الجغرافية اللازمة أو المميزة لتلك الأماكن، بالإضافة إلى تطرقه إلى نقاط الماء من آبار وغيرها والمشاكل التي واجهت الركب للحصول عليها.

وفيما يخص الجانب التاريخي، فقد تطرق للرجال وأخبارهم، فكان لا يمر بقرية أو مدينة أو زاوية إلا وتوقف فيها لزيارة أضرحة علمائها والتبرك بأوليائها والمزارات وغيرها من الأماكن المقدسة[3]، أين قدم الكثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية للأماكن التي زارها[4]، فكانت هذه الرحلة تمثل مصدرا مهما.

ونبه الحضيكي إلى المخاطر التي تواجه الحاج في طريقه من طرف السراق وقطاع الطرق، فيؤكد على ضرورة حسن اختيار الصحبة في الطريق للحج ليذكره إذا نسي ويعينه إذا أرهقه السفر، ولهذا تعتبر رحلة الحضيكي الحجازية موسوعة معرفية، جمع فيها الأدب والجغرافيا والتاريخ والفقه والحديث، مما يدل على غزارة فكر الرحالة واتساع مداركه وقدرته على الجمع بين مختلف العلوم[5].

6- رحلة ابن عبد السلام الناصري (الرحلة الناصرية الكبرى 1196هـ/1781م):

التزم ابن عبد السلام الناصري بقواعد المنهجية في مقدمة رحلته، حيث أشار إلى الموضوع ودوافع كتابته، وكانت صياغة المقدمة تتوافق ومضمون النص، كما أفصح أن الكتاب أراده أن يكون "ديوان علم وسمر".

[1]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص 35.

[2]-عواطف بنت محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 88.

[3]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص ص38، 39.

[4]-عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص ص371، 372.

[5]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص ص42، 43.

تطرق المؤلف إلى كل ما لاحظه أو عايشه خلال الرحلة، مع الحرص على التفاصيل سواء في الوقوف على المراحل أو الأماكن أو ما يعترض الحجاج، فقام بذكر وشرح الأحداث والوقائع ودواعيها مع تدعيمها بالأدلة، وأجاب عن العديد من القضايا التي طرحت عليه، كما تطرق إلى إجازات شيوخه وسنده في التصوف أو الطرق التي تلقاها مما جعل الرحلة تأتي بهذا الشكل من حيث الحجم والمعارف العديدة والطرائف والأسلوب الشيق الذي من خلاله تعيش أطوار الرحلة[1]، وبذلك تعد رحلته مصدرا مهما للتعرف على النشاط العلمي، وتضمنت كذلك أهم المشاهد التي رآها أو صادفها في رحلاته[2]، وتطرق ابن عبد السلام الناصري إلى أهداف وغايات الرحلات الحجازية وكيفية تنظيم المغاربة لأركابهم ومن كان يخرج للحج وما هي المحطات التي ينزلون بها والأهوال التي اعترضتهم وما طبيعة التأثيرات المتبادلة مع سكان المناطق التي كانوا يقصدونها في إقامتهم وترحالهم وكيف كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية والمذهبية والعلمية بالمغرب والمشرق[3].

كما قام بنقل ما قيل من خطأ وصواب وتكرار للكثير ممن سبقه من المؤلفين وعرض الوقائع وانتقدها بموضوعية ومنطقية، وصحح الخطأ، فكان دقيق الملاحظة وناقدا خبيرا يستدرك على العديد من أمهات الكتب والمصادر وعلى الرحالة الذين سبقوه[4].

7- رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري(1199هـ/1784م):

أُشتهر محمد بن هطال بمصنفه الذي سجل فيه وقائع حملة محمد الكبير باي الغرب على الجهات الجنوبية والأقاليم الصحراوية التابعة لبايليك وهران لإخضاع نواحي عين ماضي والأغواط ، وللحد من عداء التجاجنة(التجانيين) بتلك الجهات[5].

وكان الدافع لابن هطال على تسجيل وقائع هذه الحملة التي اكتسبت طابع رحلة –حسب ما هو مسجل في العنوان- إعجابه بأعمال محمد الكبير باي الغرب وتقديره للتاريخ باعتباره

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 17.

[2]-لخضر حشلافي، المرجع السابق، ص 22.

[3]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 18.

[4]-المصدر نفسه، ص 18.

[5]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص448.

مسجلا لأعمال الحكام ومخلدا لأثارهم، بحيث يقول: "إذ به (أي التاريخ) عرفت به قدماء الأمم، وبه حفظت مكارم أخلاقهم والشيم، فاشتغلت به علماء كل قطر وصنفت به أدباء كل عصر،..."[1]، فاقتصر على ذكر خروج الباي إلى جهة القبلة مبينا منازله ومناهله.

وجاءت الرحلة متميزة بالتسلسل في العرض والدقة في الوصف، بحيث حدد سير المحلة باليوم والساعة، وضبط أسماء الأماكن ومواقع الآبار والعيون، وسجل بالأرقام ما تحصل عليه الباي من الغنائم وما تسلمه من جبايات دون إهمال لحالة السكان ووضعية العمران وعلاقة الرعية بالحكام، وهذا ما جعل الرحلة مصدرا مهما للتعرف على أوضاع وهران وعلى طبيعة العلاقة بين السلطة والرعية[2].

تضمنت الرحلة أخبارا جغرافية واجتماعية وسياسية وعسكرية وأدبية لا يمكن الاستغناء عنها، وكان محمد الكبير هو سبب كتابة هذه الرحلة، الذي يعتبر شخصية قوية جديرة بالدراسة، حيث تقلد عدة مناصب وشهد تطورات كثيرة، كما ساهم في خلق المناصب فشغل منصب باي واشترك في الحرب ضد الأسبان.

قاد محمد الكبير حملة ضد أهالي صحراء الجزائر لإخضاعها إلى سلطة الداي وشجع العلماء والطلبة، بحيث قام ببناء وتشييد مدارس ومساجد[3]، فزيادة على الأعمال العمرانية، والحضارية التي أنجزها بوهران، ومعسكر، والبرج، وبني راشد، قام بتفقد جهات كثيرة من البلاد غربا وجنوبا وشرقا، فغزا الأغواط والشلالة وعين ماضي وبني سناسن، ونظم الأمور، وأنجز عدة أعمال إدارية وعمرانية وثقافية[4].

وموضوع هذه الرحلة حول مرحلة معينة من مراحل التاريخ التي عاشها المؤلف ليقيد أحداثها وحوادثها تلبية لباي وهران محمد الكبير، ونزولا عند رغبته وتقربا إليه، إلا أن المؤلف ابن هطال لم يعط اهتماما في تحديد الأيام وضبط الساعات، لكنه تطرق إلى ذكر تلك الحوادث بأسمائها المعروفة[5].

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص449.

[2]-المرجع نفسه، ص449.

[3]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص11- 14.

[4]-يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 64.

[5]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص11- 14.



وكان الأسلوب مرآة تعكس مستوى وثقافة عصر ابن هطال إذ تميز بالتكلف واستعمال العبارات الركيكة والتعابير الضعيفة مع الالتزام بالمحسنات اللفظية[1].

8- رحلة أبي رأس الناصر (فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته)عجائب الأسفار ولطائف الأخبار 1204هـ/1789م(ينظر الملحق رقم 15):

أتمّ أبو راس الناصر شرح موضوع "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" بطلب من الباي محمد الكبير في ظرف سنة واحدة (1206هـ/1792م)، وجعله في جزأين أوضح في مستهله الهدف والغاية من عمله بقوله: "إني قد خضت في هذا الفن(التاريخ) قديما وضقت بها أديما، ولم أزل في خدمته مستديما، حتى كثرت عندي أرقامه، وامتلأت بقاعه وصارت نفسي تحدثني بالتدوين والانخراط في سلك المؤلفين...فتحركت العزائم وتجددت العناية بسبب ما أنعم الله به على المسلمين عامة وأهل المغرب خاصة بفتح وهران..."[2].

وبفضل المعلومات التي يحتوي عليها كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" اعتبر مصدرا مهما ومرجعا أساسيا فيما يتصل بتأسيس المدن وأنساب القبائل ومواطن العشائر وتطور أحداث فتح وهران ومآثر الباي محمد الكبير، ونال هذا المؤلف اهتمام المشتغلين بالتاريخ فقام بترجمته إلى الفرنسية آرنو(M.A.Arnaud) تحت عنوان: Voyages extraordinaires et nouvelles agréables[3].

فقد استغل أبو راس فتح وهران أين نظم قصيدة في 118 بيتا تسمى: "نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران على يد المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان"، وشرحها في كتابه: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، مدح فيها الباي محمد الكبير ونوه بمآثره العديدة[4].

ولم تفته الإشارة إلى ضعف الثقافة وقصور التأليف وخمول العلماء على عهده فيقول في ذلك: "إني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 449.

[2]-المرجع نفسه، ص 464.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 465.

[4]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 33.

آثاره ومراسمه وعفت أطلاله ومعالمه، لاسيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب...قد طرحت في زوايا الهجران، ونسجت عليها عناكب النسيان وأشرفت شمسها على الأفول، واستوطن فحولها زوايا الخمول، يتلهفون على تدارس العلم والفضائل ويتأسفون على انعكاس أحوال الأذكياء والأفاضل..."[1].

قام برحلته الأولى إلى الجزائر أين لقي مجموعة من العلماء منهم الفقيه الشيخ القاضي المفتي السيد محمد بن جعدون وقاضيها الشيخ محمد بن مالك، ودارت بينهما أسئلة كثيرة شارك فيها علماء آخرون[2]، ثم تنقل إلى العديد من الأقطار والجهات، وتعرف على أوضاعها واتصل بعلمائها من خلال حجتي1204هـ/1790م و1226هـ/1811م[3].

لقد تميزت رحلة أبي راس باختلافها عن باقي الرحلات الحجازية الجزائرية رغم أنها تناولت موضوع الرحلة إلى الحجاز لغرض أداء فريضة الحج، فالتوق الروحي نحو الحرمين وزيارة البقاع يبدو خافتا في هذه الرحلة إذ اهتم وتأثر بالأحداث والتطورات التي عرفتها الجزائر مثل فتح وهران الثاني عام 1792م وغيرها[4].

لقد دون الرحالة المسلمون رحلاتهم بمناهج مختلفة حسب أهدافها، ومن بين هؤلاء نذكر الرحالة أبو راس الذي برز في القرن 12هـ/18م، واهتم بالتدوين التاريخي متبعا المنهج الذي اعتمده أغلب المؤرخين والرحالة الذين عايشهم، كما قال: "وأسوتي في ذلك رحلة الجهابذة النحارير..."، وقد اعتمد في منهجه على سرد الأحداث ونقل الأخبار والروايات التاريخية، محاولا في ذلك ربط الرحلة بالتاريخ.

وتعتبر رحلته تسجيل لرحلتين قام بهما تفصل بينهما 20 سنة، وكتبها على شكل مذكرات، وقام بتدوين كل الجوانب مثل ذكره للعلماء الذين اتصل بهم ولقيهم، والدروس

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص 463.

[2]-محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص 91.

[3]-عبد الجليل شقرون، المرجع السابق، ص 47.

[4]-المرجع نفسه، ص ص47-48.

التي حضرها، وغير ذلك مما قام بتدوينه[1]، لهذا يمكن تصنيف رحلة أبو راس ضمن الرحلات الفهرسية.

لم يعتمد أبو راس التأريخ في رحلته إلا نادرا، عكس العديد من الرحالة الذين قاموا في رحلاتهم بتحديد التواريخ والأوقات بالسنوات والشهور وحتى الأيام والساعات، ولم يكتف أبو راس بذكر الزمان والمكان، بل صور المراحل والمسافات التي قطعها في رحلته والمناطق التي دخلها، فوافق بين الأدب والجغرافيا.

ومن مميزات الرحلة أن الراوي فيها هو المؤلف نفسه، وهي خاصية تتميز بها الكتابة الرحلية عامة، ويكون هذا الراوي حاكيا، فيقوم بالوصف ثم يسرد عندما يكون موضوعا للحكي، فيمزج بين الذاتية والموضوعية في ذلك[2]، أما من حيث المضمون، فقد استغل أبو راس فتح وهران سنة 1206هـ/1792م عندما نظم قصيدة في 118 بيتا، مدح فيها الباي محمد الكبير ونوه بمآثره العديدة[3].

وكان بمثابة محطة ثقافية تختزن علوما ومعارف تساءل الباحث في الأدب والتاريخ والأنثربولوجيا، وتستجوب من يهتم برصد الثقافة الجزائرية التقليدية، وبتحليل أبعادها الفكرية والاجتماعية.

ولم يقم أبو راس بتبويب كتابه بل اكتفى بتقسيمه إلى جزءين، ويخضع إلى منطق واضح يحترم التسلسل الزمني وترتيب الموضوعات.

كما لم يلتزم في لغة مؤلَفه بالسجع إلا في المقدمة، رغم أن هذا الأسلوب كان شائعا بين علماء عصره، كما أكثر من الاستعارة ليبرهن على صدق قريحته ونبوغه في فنون الشعر ولإجادة[4] وصف الباي محمد الكبير والتعبير عن عواطفه والتهليل لفتح وهران وعندما يتطرق

---

[1]-عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني(1519-1830م)، المرجع السابق، ص 261.

[2]-المرجع نفسه، ص 262.

[3]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 33.

[4]-المصدر نفسه، ص 34.

إلى ذكر الأخبار والمسائل التاريخية يتبع أسلوب بسيط ودقيق، فيوظف في بعض الأحيان تعابير عامية ومفردات دارجة[1].

ومهما يكن فإن مساهمة أبي راس الناصر مساهمة كبيرة وجليلة للبلاد وللعلم والثقافة الجزائرية في عصره، ورغم أن الباحثين والمؤرخين يصفون الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر بأضعف الفترات العلمية والثقافية التي عاشتها الجزائر، إلا أن صاحب كتاب دليل الحيران وأنيس السهران يعتبر أبو راس شيخ أهل غريس على الإطلاق ومجدد القرن الثالث عشر الهجري بالاتفاق.

وإذا كانت كتابات أبا راس ينقصها الترتيب في المعلومات والتداخل في الروايات والتكرار والاستطراد الممل أحيانا، إلا أنه جدير بنا أن نسجل التزامه بالأمانة العلمية واهتمامه بآراء العلماء والمؤرخين، وإن كان يبدي مخالفته لهم في العديد من المسائل بكل احترام ووقار[2].

لقد عكس أسلوب أبي راس جوانب مختلفة من شخصيته، لاسيما الدينية والعلمية والأدبية، ومن جهة أخرى فإن أسلوبه ينبض بطريقة القدامى في تطويع اللغة والتفنن في عرض الأحداث والأشياء، وارتقت لغته إلى مصاف كبار الكتاب العرب، وقد ألفينا أسلوب السارد قد تميز بجملة من الخصائص أهمها ثراء المعجم اللغوي والصنعة اللفظية والاستطراد والشواهد الشعرية والموضوعية[3].

ثالثا- تجليات قيم رحلات المغاربة خلال القرنين (11 و12هـ/17 و18م):

بعد التطرق لما ورد في مدونات بعض الرحالة المغاربة خلال الفترة المدروسة استخلصنا جملة من القيم التي أعطت للرحلة صبغة الموسوعية في استقاء المعلومة حسب مجالها، تم عرض أهمها.

---

[1]-محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص 43.

[2]-عبد القادر بكاري، الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجاً، المرجع السابق، ص 127.

[3]-يوسف ولد النبية:"السردية عند أبي راس الناصري من خلال سيرته الذاتية"فتح الإله""، معسكر:المجتمع والتاريخ، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2014، ص 128.

فإن كتابات الرحلة تعكس صورة اللحظة التي عاشها الرحالة بكافة جوانبها المادية والمعنوية والانفعالية دون تصنّع أو زيادة، وتأتي أهميتها لإكمال الصورة العامة للعرض التاريخي عن مجتمع ما، في زمن ما، وهي جوانب يصعب أن يعثر عليها المؤرخون في غير كتابات الرحالة[1]

1- القيمة الأدبية والعلمية:

تتجلى قيمة الرحلة من الناحية الأدبية من خلال أسلوبها الذي بالرغم من تنوعه كالسرد والحوار والوصف إلى غير ذلك من خصائص، إلا أن أبرز ما يميزها هو الأسلوب القصصي للكتابة وغنى موضوعاته، بالإضافة إلى أنه عبارة عن مادة دسمة وخصبة متعددة الجوانب، لهذا أُعتبر نمطا خاصا من أنماط القول الأدبي[2]، فارتبطت إذا أدبيات الرحلات بفنون الأدب العربي إذ تميزت بالتنوع في الأسلوب، من السرد القصصي إلى الحوار الوصفي، كما اتسم الرحالة بالحرية في الكتابة أي كان مستقلا في تعابيره عن المشاعر اتجاه ما يصادفه وما يراه، سواء كانت تلك الكتابة نثرا أو شعرا، فلم يكن يُعرف الكثير من أشعار أو كتابات الرحالة إلا من خلال ما دونوه في رحلاتهم والتي أصبحت دواوين لأصحابها[3].

وتجلت قيمتها كذلك في أساليبها التي ارتفعت بها إلى عالم الأدب، وارتقت بها إلى مستوى الخيال الفني، فاعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبيرة، وأفاد أدب الرحلة في صرف أصحابه عن اللهو والتكلف اللفظي وتنميق العبارة إيثارا للتعبير البسيط المؤدي للغرض[4]، وما يميز الرحالة هو محاولة نقل كل ما يسمعه ويشاهده، الأمر

[1]-علي عفيفي علي غازي، كتابات الرحالة..مصدر تاريخي، كتاب المجلة العربية، ع 262، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2017، ص 64.

[2]-حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص ص8، 9.

[3]-الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 660.

[4]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص ص23، 24.



الذي يزيد من عنصر التشويق لأنه ببساطة عاش الأحداث ويعرفها وأحاط بتفاصيلها[1] فيقوم بتسجيلها بأسلوب أدبي خال من الأساطير والخرافات قدر الإمكان[2].

كما تحتوي كتب الرحلة على قيمة علمية كبيرة حيث تثقف القارئ وتثري فكره ومعلوماته حول منطقة أو مجتمع ما، فعندما تقوم بوصف ملامح حضارة هذه المنطقة في عصر محدد تصبح بذلك مصدر ثقافة ذلك المجتمع[3].

2- القيمة الاقتصادية:

من الناحية الاقتصادية مثلت كتابات الرحالة رافدا غنيا لدارسي الاقتصاد في المجتمعات البشرية، فقد تحدثوا عن الصناعات وطرق التجارة وأنماط التعاملات والمعاملات والنقود وجودتها أو زيفها وغيرها[4]، فضلا عن الزراعة والثروات الحيوانية المتنوعة.

2-1- القطاع الفلاحي:

كثيرا ما كان يهتم صاحب الرحلة بوصف النشاط الفلاحي لمختلف المناطق التي عبرها كشهرتها بالحرث والزراعة ووفرة بعض المحاصيل الزراعية كإنتاج التمر والشعير وبعض الخضروات، وقد عني الرحالة بمجال الري إذ أولاه اهتماما خاصا نظرا لأن الماء يشكل نقطة أساسية لسالك الطريق، وعليه فقد نقل لنا معلومات في غاية الأهمية عن أماكن توفر أو انعدام الماء، بل ذهب بعيدا حيث كثيرا ما كان يصف خصائصه من عذوبة وملوحة، وقد ألقى نظرة على كيفية الري في بعض المناطق التي يقوم توزيع المياه فيها على نظام الفقاقير-وهي آبار متعددة بفقر من جنب كل واحد إلى الآخر-، مما يزيد ماؤه وينمو مع زيادة ماء غيره عليه، فتسقى به الأجنة والمزارع، ويجزأ أجزاء كثيرة بالأيام

---

[1]-عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 12.

[2]-المرجع نفسه، ص 91.

[3]-هشام فروم، المرجع السابق، ص 198.

[4]-عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 19.



وقد يجزأ اليوم الواحد بأجزاء كثيرة، فتباع تلك الأجزاء[1]، إلى جانب هذا سُجلت معلومات عن شهرة بعض المناطق بتربية أنواع الأنعام[2].

2-2- القطاع الصناعي:

على الرغم من أن المعلومات حول هذا المجال قليلة، وقد يعود ذلك إلى طبيعة الحياة البدوية في هذه الأوطان غير أن بعض الرحالة قدموا صورا عن شهرة بعض المناطق لبعض الصناعات والحرف التقليدية كالصناعة النسيجية للبرانس، فقد اشتهرت الصناعة بالجزائر في القرن 12هـ/18م بمنتوجات نسيجية وصوفية تقليدية أشهرها البرنوس والشاشية[3].

3-2- القطاع التجاري:

لا غرابة أن يستطرد صاحب الرحلة الحديث عن ظاهرة البيع والشراء التي كانت تجرى مع أهالي المناطق التي يحل بها إذ شكلت هذه الأخيرة مراكز عبور حيوية حيث بدت بعض المناطق الغربية والشرقية من الجنوب الصحراوي الجزائري عبارة عن سوق لتبادل السلع والبضائع بين مختلف القوافل في ذهابها وإيابها، وضروريات السفر من قمح ودقيق وسمن ولحوم ودواب.

وأفصح الرحالة عن أنواع السلع والبضائع المتبادلة بين الجانبين، وأساليب البيع كالمقايضة، فليس عندهم دينار ولا درهم، فيدفعون أصحابها الحياك والبرانيس والتمر مقابل الحصول على الأنعام[4].

كما اهتم بعض الرحالة بمسألة الأسعار عند حلولهم بمنطقة ما، فقليلا ما كانوا يتغاضون عن ذكرها حيث كانوا يرصدون غلاءها ورخصها.

---

[1]-عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص 82.

[2]-أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 195.

[3]-مشوشة سمير، المرجع السابق، ص 296.

[4]-أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 66.



3- القيمة الاجتماعية:

يظهر في الرحلة نوع من الحركة ومن مخالطة للناس والأقوام التي تبرز من خلالها قيمتها كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية وجوانب من حياة الناس اليومية في مجتمع معين وخلال فترة زمنية محددة.

وبالرغم من الاختلاف في الدوافع والتوجهات والنزعات الشخصية إلا أن الرحالة استطاعوا إلى حد بعيد أن يصوروا لنا بعض من ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه والتمكن من وصف العناصر الثقافية للمجتمعات التي وصلوها، وأحوال الشعوب المختلفة[1].

ويرجع الفضل في كل ما تمَ ذكره إلى تواصل الرحالة المباشر بما شاهدوه، بالتالي يستطيعون القيام بتدوين كل ما يتعلق بالمجتمعات وبالطبيعة، فيصبحون ناقلين لتلك المعلومات التي يستفيد منها فيما بعد المؤرخون والجغرافيون وغيرهم من المختصين ويصبح مرجعا أو بالأحرى مصدرا أساسيا لباقي العلوم[2].

ونلاحظ بأن ثمار الرحلة لم تتوقف عند التعارف أو كشف المجهول من طبائع الشعوب فقط، بل تعدت ذلك إلى الاكتساب العلمي والأدبي الذي لا يُعد ولا يُحصى خاصة إذا كان الرحالة متمتعا بقوة الملاحظة والميول والرغبة في التطلع وحب المحاورة في التحصيل والحرص في التدوين والتسجيل.

كما ساهمت أركاب الحج في التواصل بين الشعوب المغاربية رغم التجزئة السياسية وكان للصحراء دورا جليا في توطيد ذلك وتوسيع أهدافه، كما لعبت دورا هاما في تمتين الروابط الثقافية والاجتماعية فيما بين المجتمع المغاربي[3].

---

[1]-حسين محمد فهيم، المرجع السابق، ص 15.

[2]-حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص 7.

[3]-محمد برشان، المرجع السابق، ص 202.

4- القيمة الجغرافية والتاريخية:

لقد قدمت الرحلة خاصة في العالم العربي الإسلامي خدمة كبيرة لعلم الجغرافيا بحيث قام الرحالة بوصف المسالك والممالك، مدعما بذلك الجغرافي لأنه يكتب بقلم الذي اتصل بالظواهر الجغرافية والطبيعية اتصالا مباشرا -أي الرحالة- فرأى وسمع، كما أفاد ونفع المؤرخ وعالم الاجتماع والأديب والفلكي والفيلسوف والسياسي والاقتصادي وغيرهم، كلٌ حسب مجال تخصصه[1].

وتتجلى القيمة التاريخية للرحلة في اعتبارها مصدرا دونت بواسطة شهود عيان عاصروا الحدث وقاموا بتسجيله في وقته، فدراسة الناحية التاريخية للرحلات مفيدة في التعرف على الجوانب العلمية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية حتى السياسية منها[2] ومن هنا نستطيع القول بأن الرحلة تعتبر وثيقة تاريخية مهمة للمؤرخ بحيث يشرع الرحالة في التسجيل منذ بداية رحلته وإلى غاية نهايتها، فيدون التواريخ التي يتحدث من خلالها عن المعالم التاريخية والأحداث التي عايشها، كما يصف عادات وتقاليد المجتمعات، فيتطرق للجانب السياسي وتاريخ البلدان التي يمر بها وغيرها من جوانب أخرى، لذلك تعتبر الرحلة مادة خصبة وأساسية لا غنى عنها للدراسات التاريخية وغيرها من التخصصات الأخرى[3].

وكما ذكرنا سالفا، فأثناء أداء فريضة الحج يقوم الحجاج بتسجيل مشاهداتهم ومشاعرهم والطرق التي مروا بها والأحداث التي صادفوها وواجهوها، ويسجلونها في مصنفات تُعرف بكتب الرحلة[4]، وعند عودتهم إلى بلادهم يصف الحجاج للناس ويخبرونهم عن كل الأحوال التي ذكرناها، وما انطبع في نفوسهم عن شخصيات وأماكن فكانوا يدونون كل ما شاهدوه أثناء رحلتهم عن طريق مذكرات يومية[5].

---

[1]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص ص23، 24.

[2]-مشعل نايف عايض الدهاس، المرجع السابق، ص 22.

[3]-ليلى غويني، المرجع السابق، ص22.

[4]-أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص 13.

[5]-أماني بنت سعيد، المرجع السابق، ص ص42، 43.



إن الرحلات تعد من أهم مصادر كتابة التاريخ تلتقي فيها الرؤى التاريخية والجغرافية والأدبية، ولا يعتبر كل من ألف كتابا احتوى عنوانه على تعبير"الرحلة"، بل الذي احتوت مؤلفاته على جوانب حضارية متعددة يعكس ارتحاله إلى تلك المنطقة مكان الدراسة، خاصة إذا علمنا أن الرحلات المدونة تزداد أهميتها بمرور الزمن، ولا شك أن المتمعن في كتب الرحلات يجد أن هؤلاء الرحالة يتفاوتون في درجة ملاحظاتهم واهتماماتهم المتعددة الثقافية العلمية والاجتماعية والسياسية[1].وأثناء تنقله يبدأ الرحالة رحلته بالملاحظة، فقد تختلف درجة الاهتمام ودرجة الصدق والأمانة والفهم من رحالة إلى آخر، ويعود السبب في هذا إلى الظروف التي يخضع لها الرحالة، وبقدر الاختلاف تبرز قيمة تلك الرحلة[2]، كما قال الرحالة ابن زاكور الفاسي متحدثا عن الرحلة: "فإن الرحلة منة من الله نحلة تكسب الغليظ الطباع غاية الرقة والانطباع، وتعقب من كابد لها نصبا علما غزيرا وأدبا..."[3]، ومن خلال ما تحتوي عليه كتابات الرحلة من إجازات ومؤلفات وتراجم العلماء ونصوص أدبية تصبح لدينا فكرة عن ثقافة ذلك العصر ومستواها، مما يجعل من كتب الرحلات أن تصبح مصادر هامة للمعارف العلمية المتنوعة[4].

[1]-عبد القادر بكاري، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري رحلة أبو راس الناصري أنموذجا، المرجع السابق، ص 226 .

[2]-حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص 6.

[3]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 9.

[4]-ليلى غويني، المرجع السابق، ص 22.

خلاصة الفصل:

من خلال النمط الذي كتبت به الرحلات المغاربية نستطيع القول بأنها فن قائم بذاته غني بالعديد من المعلومات التي تهم المؤرخ والجغرافي وعالم الاقتصاد وعالم الاجتماع وغيرهم من المختصين، فتتجلى أهميتها بما تتضمنه من مادة علمية عن تلك المجالات التي كُتبت بأسلوب أدبي منسق خال من الأساطير إلا نادرا، فهي تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، بحيث فتحت آفاقا للمعرفة، واستقصت العادات والتقاليد للمجتمعات، بل وحتى أنها اقتحمت الحدود السياسية ورسمت الخرائط الجغرافية، ولقد أشارت رحلات المغاربة إلى كثير من المواقف الموضوعية التي عبر عنها أصحابها مما جعلها محل تقدير إذ تعتبر مصدرا متميزا سواء كانت نثرا أم شعرا.

وبفضل ما احتوته الرحلة من معلومات تاريخية مهمة، فتعتبر كتاباتهم مصادر أساسية التي لا بد الاعتماد عليها في الدراسات والبحوث الأكاديمية.

خاتمة

بناء على ما جاء في الفصول الثلاثة وما تضمنته عناصرها الأساسية من تفاصيل واستنباطات، توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات جاءت كالتالي:

- تعد الرحلة مظهرا من مظاهر الحضارة العربية والإسلامية، إذ فتحت الآفاق المعرفية واستقصت العادات البشرية، واقتحمت الحدود السياسية، ورسمت الخرائط الجغرافية.

- تعتبر الرحلة مصدرا ثريا ومنهلا غزيرا، تتيح الالتقاء ببيئات وطبائع وأجناس وأنماط ومفاهيم وعادات مختلف المجتمعات، لا يزال يستقي منها الباحثون مادتهم بحيث أسهموا مساهمة كبيرة في تدوين الرحلات ونقل أخبار تنقلاتهم، فحيثما حلوا إلا وسجلوا ملاحظاتهم وكتبوا عن أخبار الناس وحياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

- حفلت رحلات المغاربة بالأخبار السياسية كذكرها للحروب والفتن ونوع الحكم السائد في البلاد ومدى تأثير كل ذلك على السكان، فضلا عن الأوضاع الاجتماعية كعادات السكان وأخلاقهم وتقاليدهم في حياتهم اليومية ووضعهم الصحي ونشاطهم الاقتصادي المتمثل في الفلاحة والصناعة والتجارة، ومستواهم الثقافي كذكرهم وترجمتهم للعلماء وإنتاجهم الفكري والمؤسسات الثقافية المتواجدة أنذاك.

- ساعد الرحالة المغاربة في تناولهم للمجتمع الجزائري في كل جوانب الحياة ثقافتهم المتعددة وقوة ملاحظاتهم ووصفهم الدقيق وتحرّيهم الصدق والموضوعية في نقل ذلك، كلّ حسب مستواه وقدرته.

- أصبحت الرحلة بفضل مادتها الغنية والمتنوعة محل اهتمام كلّ من الجغرافي والمؤرخ وعالم الاجتماع والاقتصاد وغيرهم، لتصبح بالتالي مصدرا لا غنى عنه وسجلا لمختلف مظاهر الحياة وأحوال المجتمعات عبر الأزمنة.

- استطاعت مدونات الرحالة المغاربة أن تفتح لنا آفاقا للمعرفة، فبحكم المعلومات

الثرية التي تحتوي عليها مضامينها وجب الاعتماد عليها في البحوث الأكاديمية في عدة تخصصات.

- تعتبر مدونات الرحالة المغاربة -بمختلف تخصصاتهم- كنزٌ يحتوي على وثائق ذات قيمة وأهمية، فالباحث باستطاعته أن يستنطقها ويستخرج منها العديد من الحقائق ومختلف المعارف أين يتوجب عليه دراستها بدقة خاصة عند معالجة النصوص التاريخية.

- على الرغم من أن الرحلة قدمت لنا صورة واضحة على قدمها وتنوع طرقها وأساليبها ودوافعها وأغراضها، فضلا عن مضامينها ومواضيعها الثرية إلا أن نسبة البحث في مجال الرحلات مازالت جد ضئيلة مقارنة بالكم، ويعود السبب في ذلك أن معظم الرحالة لم يقيّدوا ولم يسجّلوا كل ما شاهدوه وما سمعوه خلال رحلاتهم، بالإضافة إلى ضياع وتلف ما دونوه.

- جاءت شهادات الرحالة المغاربة لتؤكد حقيقة وواقع المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية، سواء مؤكدة على ما دونته بعض المصادر المحلية أو الأجنبية معاصرة للفترة أو متأخرة عنها، وإما إشارة للباحثين في إعادة النظر في بعض الأحداث المدونة من قبل باحثين آخرين خاصة الأجانب منهم.

- تكمن أهمية وقيمة الرحلة في أنها تعيد بعث مشاهدات الرحالة وإعطائها أبعادا جديدة، وبالتالي نجده يسخّر جلّ حواسه لتعمل بكل طاقاتها من دقة الملاحظة وتصوير المشاهد والتحسس، لتنعكس في الأخير مشاهداته في مدونات أدبية تصور المشهد الإنساني والعمراني والطبيعي في حدود زمن ومكان الرحلة، مسجلا ذلك بكل موضوعية، داعما ذلك بوجهة نظره ورؤيته الذاتية التي تتمخض عن موقفه الشخصي وتأثره وتفاعله مع الأحداث والمشاهدات والمعاينات والسماع.

- انفردت رحلات المغاربة في كثير من المميزات في نقل صورة المجتمع الجزائري

بحيث لا نجدها في مصادر أخرى مما زادها قيمة علمية وتاريخية، فتستحق من أن تكون مصدرا من الدرجة الأولى.

- إن صورة المجتمع الجزائري من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين 11و12هـ/17 و18م جاءت مغايرة للواقع الذي أرادت أغلب المصادر الأجنبية رسمه لأغراض استعمارية وتوسعية.
- تعتبر الرحلات في التراث العربي كنز من المعارف يزخر بالثروات التي تنتظر

الكشف عنها، والتي قام بتسجيل صفحاتها أشخاص غامروا واقتحموا المجهول والمصاعب من أجل القيام بمهام تاريخية جليلة، لذلك لا يمكن أن ننكر بأنها مصدرا أساسيا من المصادر لأنها تقدم لنا معلومات في مختلف الميادين، فتمدنا الرحلات المدونة المحفوظة بالمعارف القيمة إذ سجل فيها أصحابها معظم مشاهداتهم للأماكن التي قد لا نجدها في كتب التاريخ من حيث الوصف الدقيق للمدن ونمط الحياة الاجتماعية والثقافية ونشاط العلماء وغيرها، وتبقى بذلك كتب الرحلة مادة خصبة، البحث فيها مازال قليل لعدة أسباب وعوامل.

جـــدول الـــــــــملاحـــــق

ملحق رقم01	صور لبقايا القصور القديمة بتوقرت وتماسين (ولاية ورقلة)
ملحق رقم02	صور لبقايا لقصر بوسمغون القديم (ولاية البيض)
ملحق رقم03	صور لبقايا قصر أرباوات القديم (ولاية البيض)
ملحق رقم04	صور لبقايا من قصور بتيميمون بإقليم توات وجامع قديم بأولاد عيسى
ملحق رقم05	صور تعكس خصوصية النشاط الزراعي ونظام الري المعروف بالفقارة إضافة إلى بقايا بعض المعالم الدينية (مسجد وضريح يعودان للقرن 7هـ/13م) في منطقة تمنطيط(ولاية أدرار)
ملحق رقم06	صور لبقايا القصر القديم عريان الراس، إضافة إلى ضريح الولي عريان الراس (قرى تسابيت بولاية أدرار)،
ملحق رقم07	صور لبقايا قصر أوقروت القديم (ولاية أدرار)
ملحق رقم08	بقايا من مباني القصر القديم بالشلالة (ولاية البيض)
ملحق رقم09	صور لقصر بني عباس القديم والجديد (ولاية بشار)
ملحق رقم10	ضريح الولي الصالح سيدي عبد القادر بن محمد "سيدي الشيخ" المزار المشهور بمدينة الأبيض سيدي الشيخ (ولاية البيض)
ملحق رقم11	الصفحتين الأولى والأخيرة للنسخة "أ" من مخطوط عبد الرحمان المجاجي "رحلة المجاجي"
ملحق رقم12	الصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط رحلة أبي سالم العياشي "ماء الموائد"
ملحق رقم13	الصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط رحلة الحسين الورثيلاني "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"
ملحق رقم14	الصفحتين الأولى والأخيرة من نسخة "أ" من مخطوط "الرحلة الحجازية" للحضيكي
ملحق رقم15	نسخ من مخطوط "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لأبي راس الناصر





الملحق رقم 01: صور لبقايا القصور القديمة بتوقرت وتماسين(ولاية ورقلة)[1].

[1] -الصور ملتقطة بتاريخ 2021/01/25.









الملحق رقم02: صور لبقايا قصر بوسمغون القديم (ولاية البيض)[1].

[1]-الصور ملتقطة بتاريخ 2018/10/02.







الملحق رقم 03: صور لبقايا قصر أرباوات القديم(ولاية البيض)[1].

[1]-الصور ملتقطة بتاريخ 2018/10/02.









الملحق رقم 04: صور لبقايا من قصور بتيميمون بإقليم توات وجامع قديم[1].

[1]-الصور ملتقطة بتاريخ 2021/01/17.



الملحق رقم 05: صور تعكس خصوصية النشاط الزراعي في منطقة تمنطيط(ولاية أدرار) مثل نظام الري المعروف بالفقارة، إضافة إلى بقايا بعض المعالم الدينية(مسجد وضريح يعودان للقرن 7هـ/13م)[1].

[1]-الصور ملتقطة بتاريخ 2020/09/18.





الملحق رقم 06: صور لبقايا القصر القديم عريان الراس(قرى تسابيت بولاية أدرار) إضافة إلى ضريح الولي عريان الراس[1].

[1] -الصور ملتقطة بتاريخ 2020/09/19.



الملحق رقم 07: صور لبقايا قصر أوقروت القديم(ولاية أدرار)[1].

[1]-الصور ملتقطة بتاريخ 2020/09/27.







الملحق رقم 08: بقايا من مباني القصر القديم بالشلالة(ولاية البيض)[1].

[1]-الصور ملتقطة بتاريخ 2018/10/02.











الملحق رقم09: صور لقصر بني عباس القديم والحديث(ولاية بشار)[1]

[1]-الصور ملتقطة بتاريخ 2020/11/12.









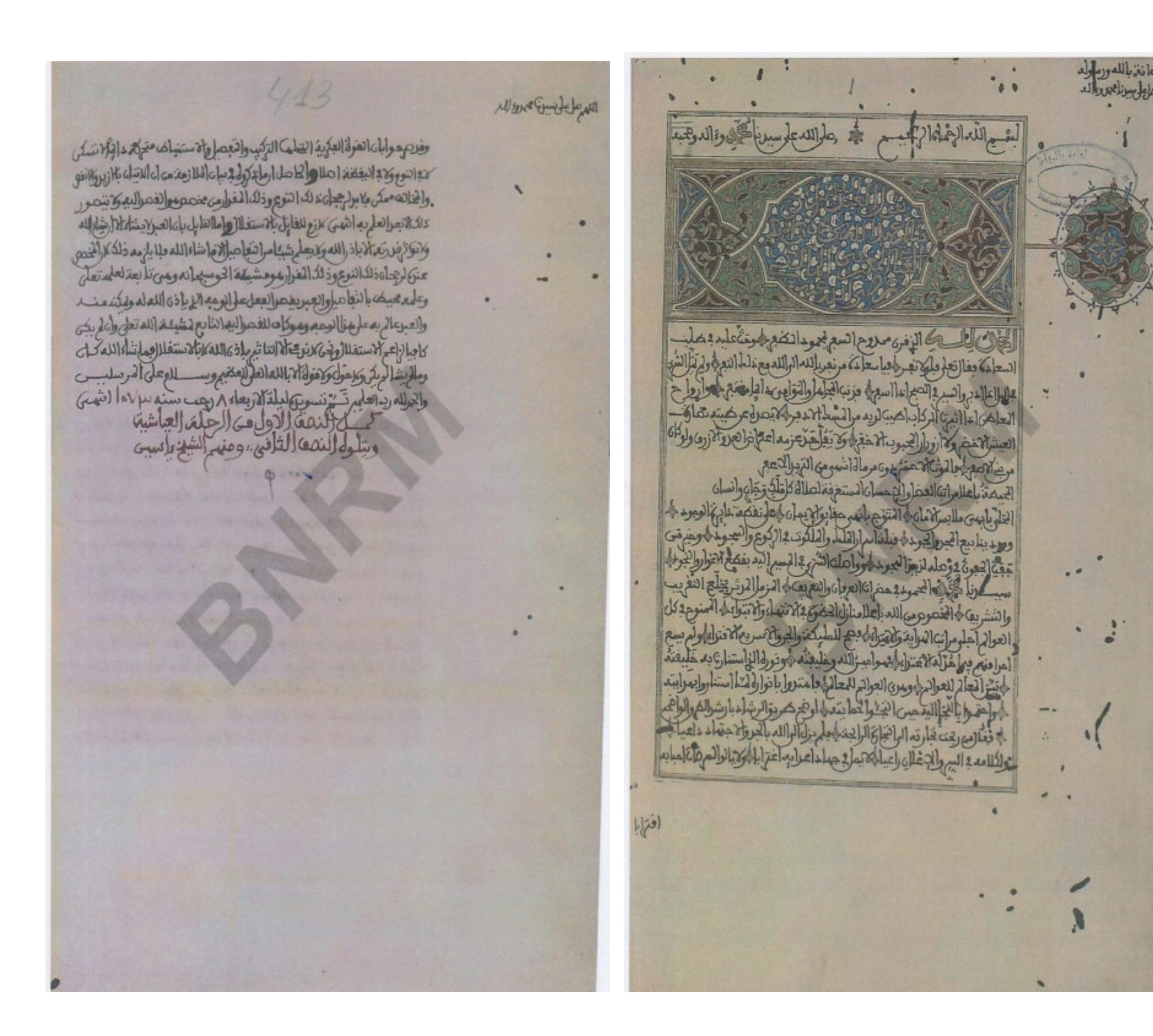
الملحق رقم 10: صور لضريح سيدي عبد القادر بن محمد"سيدي الشيخ" بمدينة الأبيض سيدي الشيخ(ولاية البيض)، وهو مزار مشهور بالمنطقة[1].

[1]-الصور ملتقطة بتاريخ 2021/01/15.



الملحق رقم11: الصفحتين الأولى والأخيرة للنسخة"أ" من مخطوط عبد الرحمان المجاجي "رحلة المجاجي"[1].

[1]-نقلا عن عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، مصدر سابق، ص ص163، 164.



الملحق رقم12: الصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط رحلة أبي سالم العياشي "ماء الموائد"[1].

[1]-منشورات الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط، المكتبة الوطنية للملكة المغربية، رقم 428 د.



الملحق رقم13: الصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط رحلة الحسين الورثيلاني "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"[1]

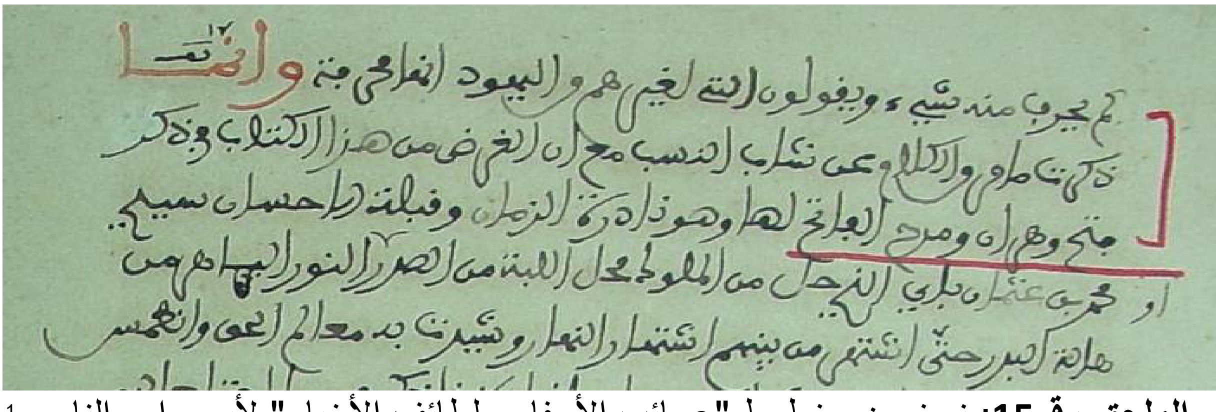
[1]-نقلا عن مدونة برج بن عزوز الالكترونية : https://albordj.blogspot.com /

ملحق رقم14: الصفحتين الأولى والأخيرة من نسخة"أ"من مخطوط"الرحلة الحجازية" للحُضيكي[1].

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي(ت 1189هـ/1775م)، مصدر سابق، ص ص49، 54.





الملحق رقم15: نسخ من مخطوط "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لأبي راس الناصر[1]

[1]-نقلا عن مدونة برج بن عزوز الالكترونية: https://albordj.blogspot.com /

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا- المصادر باللغة العربية:

1-الأندلسي أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري(ت:487هـ/1094م)، المُغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، تح حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان،2013.

2-ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح الشيخ محمد عبد المنعم العريان، ج 1، دار إحياء العلوم، ط 1، بيروت، لبنان، 1987.

3-أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ(ت 463هـ/1070م)، الرحلة في طلب الحديث، تح نور الدين عتر، سلسلة روائع تراثنا الإسلامي، ط 1، دمشق، سوريا، 1975.

4-البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، تح محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، ط 1، القاهرة، مصر، 1979.

5-البزار أحمد بن عمرو، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تح محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ط 1، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1415هـ/1994م.

6-التلمساني أحمد بن محمد المقري، رسائل المقري، تح أسماء القاسمي الحسني، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2009.

7-التلمساني أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري 1785، تح محمد بن عبد الكريم، دار السويدي، ط 1، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2004.

8-الجزائري عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة :"لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال"، تح أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2015.

9-الجزائري محمد أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تح محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977.

10-ابن خلدون عبد الرحمان(ت 808هـ/1405م)، مقدمة العلامة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1998.

11-خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تح محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005.

12-أبو راس الناصر محمد بن أحمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج 1، تح محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، د ت.

13-الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح الشيخ المهدي البوعبدلي، دار عالم المعرفة، ط 1، الجزائر، 2013.

14-رحلة العالم الألماني:ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د ت.

15-الزياني أبو القاسم (ت 1833م)، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا..، تح عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب الأقصى، 1991.

16-السجلماسي أبو العباس الهلالي، التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي(1114-1175هـ/1702-1761م)، تح محمد بوزيان بنعلي، ط 1، المغرب، 2012.

17-السطيفي الجزائري الحسين بن محمد الورثلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثلانية، تح محفوظ بوكراع وعمار بسطة، ج 1، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011.

18-السملالي العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح عبد الوهاب ابن منصور، ج 6، المطبعة الملكية، ط 2، الرباط، المغرب الأقصى، 2001.

19-السوسي أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي، الرحلة الحجازية، تح عبد العالي لمدبر، دار الأمان، ط 1، الرباط، المغرب،2011.

20-ابن العباس بن راشد بن حماد أحمد بن فضلان، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ-921م، تح سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، 1960.

21-ابن عمار أحمد، أشعار جزائرية، تح أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

22-العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج 1، تح سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، ط 1، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة،2006.

23-عميراوي احميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني(مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.

24-الغزالي أبي حامد محمد بن محمد(ت 505هـ/1111م)، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، لبنان، 2005.

25-الفاسي ابن زاكور، رحلة ابن زاكور الفاسي(1120هـ/1708م) المسماة:نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، تح مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011.

26-الفاسي الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، لبنان، 1983.

27-القادري محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 4، ج 5، ج 6، تح محمد حجي وأحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، ط 2، تونس، 2008.

28-القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، تح حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان،2013.

29-المجاجي عبد الرحمن بن محمد بن الخروب، رحلة المجاجي، تح سعاد آل سيد الشيخ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط 1، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2017.

30-المدني أحمد توفيق، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ويليه محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، دار البصائر، الجزائر، 2009.

31-المزاري الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح يحي بوعزيز، ج 1، دار البصائر، الجزائر، 2009.

32-المنذري زكي الدين عبد العظيم، ترغيب وترهيب، تح محمد السيد، دار الفجر للتراث، ط 1، القاهرة، مصر، 2000.

33-الناصري أبي عبد الله محمد بن عبد السلام، الرحلة الناصرية الكبرى، تح المهدي الغالي، دار أبي رقراق، ط 1، المملكة المغربية،2013.

34-النميري ابن الحاج، فيض العُباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1990.

35-الهلالي المغربي أبي العباس أحمد بن عبد العزيز(ت 1175هـ/1761م)، عرف الند في حكم حذف حرف المد(في القراءات والتجويد)، تح إبراهيم أيت وغوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1971.

36-الورثيلاني الحسين بن محمد، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج 1، مج 2، تح محمد ابن أبي شنب، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، مصر، 2008.

37-اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضحى(ت 284هـ/897 م)، البلدان، تح محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان،2002.

ثانيا– المراجع باللغة العربية:

1-أحمد أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، المملكة العربية السعودية، د ت.

2-الإدريسي عبد الله حمادي، صحراء وادي الساورة تاريخا ومناقب وبطولات، ج 1، دار بوسعادة، ط 1، الجزائر، 2013.

3-الألباني محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط 1، دب، 1986.

4-ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت، لبنان، 1989.

5-أنساعد سميرة، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.

6-بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

7-بعداش ناصر:"خصوصية الفضاء الجغرافي في أدب الرحلات الرحلة المغربية أنموذجاً"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، ط 1، الجزائر، 2017.

8-بلعباسي عمر و بوفاتح عبد العليم:"صورة المشرق في أدب الرحلة المغربي"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، ط 1، الجزائر، 2017.

9-بن عمارة خليفة، تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى عين الصفراء، المشرية، البيض، النعامة، من الأصول إلى غاية حرب التحرير، تر بوداود عميَر، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، 2013.

10-بوشلالق عبد العزيز:"طبيعة الرحلة المغربية"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، ط 1، الجزائر، 2017.

11-بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 1-2، دار البصائر، 2009.

12-بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

13-بوعزيز يحي، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009.

14-التازي عبد الهادي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج 1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2005.

15-التوزاني خالد:"تجليات العجيب في الرحلة المغربية"ماء الموائد"لأبي سالم العياشي أنموذجا"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، ط 1، الجلفة، الجزائر، 2017.

16-الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج 3، ج 4، دار الأمة، الجزائر، 2014.

17-جيد أندريه، الباب الضيق، تر نزيه الحكيم، دار المدى للثقافة والنشر، ط 1، دمشق، سوريا، 1998.

18-الحفناوي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

19-الحمدي النائلي لخضر بن محمد تناح، إتحاف السائل بذكر نسب وفرق وألقاب أولاد سيدي نائل ومن جاورهم من الأعراش والقبائل، مطبعة بن سالم الأغواط، ط 1، الجلفة، الجزائر، 2019.

20-حسن زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013.

21-حسين حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط 3، بيروت، لبنان، 1983.

22-حشلافي لخضر:"الرحلة المغربية وأهم أعلامها"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، ط 1، الجزائر، 2017.

23-حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، مكتبة الأدب المغربي، د ب، 2002.

24-خالد بن ناصر العُتيبي، الطريقة الشاذلية عرض ونقد، مج 1، مكتبة الرشد، ط 1، المملكة العربية السعودية،2011.

25-خياطي مصطفى، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر حضرية يوسفي، منشورات ANEP، الجزائر، 2013.

26-روباش جميلة:"الرحلة المغربية، التعريف والتأسيس والأنواع"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، ط 1، الجزائر، 2017.

27-ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، ج 7، دار الغرب الإسلامي، ط 2، تونس، 2008.

28-السنوسي الشيخ أحمد الشريف الأطرش، تاريخ الجزائر في خمسة قرون، دار البصائر الجديدة، ج 1، الجزائر، 2013.

29-سرقمة عاشور:"الحياة الثقافية والاجتماعية بالجنوب الجزائري من خلال الرحلات المغربية-الرحلة العياشية أنموذجا-"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، ط 1، الجلفة، الجزائر، 2017.

30-سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

31-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ج 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

32-سعد الله أبو القاسم، تجارب في الأدب والرحلة، عالم المعرفة، ط 3، الجزائر، 2009.

33-سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، عالم المعرفة، ط 2، الجزائر، 2009.

34-سعيدوني ناصر الدين و بوعبدلي الشيخ المهدي، الجزائر في التاريخ-العهد العثماني-، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

35-سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830) ويليه قانون أسواق مدينة الجزائر1107-1117هـ/1695-1705م، دار البصائر، ط 3، الجزائر، 2012.

36-سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، دار البصائر، ط 2، الجزائر، 2013.

37-سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2014.

38-سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1999.

39-سعيدوني ناصر الدين، موظفو الدولة الجزائرية في القرن 19 م، منشورات وزارة الثقافة والسياحة مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1984.

40-سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية-دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط 2، الجزائر، 2009.

41-طويل الطاهر، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، ط 1، الجزائر، 2011.

42-الشامي صلاح الدين، الرحلة عين الجغرافية المبصرة، منشأة المعارف، ط 2، الإسكندرية، مصر، 1999.

43-الشيخ عبد الرحمن، المدخل إلى علم التاريخ، المكتب العربي للمعارف، ط 3، القاهرة، مصر، 1998.

44-شارف رقية، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م دراسة تحليلية نقدية، دار الملكية، ط 1، الجزائر، 2007.

45-شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني926-1246هـ/1519-1830م، دار الكتاب العربي، ط 1، الجزائر، 2009.

46-صحراوي عبد القادر، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني1520-1830 م، دار هومة، الجزائر، 2016.

47-ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السودان، دار المعارف، ط 1، القاهرة، مصر، 1995.

48-ابن العربي الصديق، كتاب المغرب، دار الغرب الإسلامي، ط 3، بيروت، لبنان، 1984.

49-العربي إسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت.

50-العربي لخضر:"أعيان من أشراف منطقة غريس بمعسكر من خلال كتاب عقد الجمان النفيس"، 137-156، كتاب جماعي، معسكر:المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2014.

51-عاطف محمد، أشهر العلماء في التاريخ رائد علم الفلك البيروني، دار اللطائف، ط 1، القاهرة، مصر، 2003.

52-عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، الجزائر،2012.

53-الغازي أماني بنت جعفر بن صالح، دولة الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية"الجيش الجديد"، دار القاهرة، ط 1، القاهرة، مصر، 2007.

54-غازي علي عفيفي علي ، كتابات الرحالة..مصدر تاريخي، كتاب المجلة العربية، ع 262، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2017.

55-الغاشي مصطفى، الرحلة المغربية والشرق العثماني محاولة في بناء الصورة، مؤسسة الانتشار العربي، ط 1، بيروت، لبنان، 2015.

56-غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007.

57-فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط 1، دمشق، سوريا، 1969.

58-فروم هشام:"تمظهرات اللغة في الخطاب الرحلي المغاربي"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، ط 1، الجزائر، 2017.

59-فهيم حسين محمد، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.

60-قنديل فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط 2، القاهرة، مصر، 2002.

61-كراتشكوفسكي اغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1963.

62-كردي علي إبراهيم، أدب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2013.

63-كنون عبد الله، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم، والأدب، والسياسة، ج 2 في الأدب، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، لبنان، 2010.

64-لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 2009.

65-المدني أحمد توفيق، أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009.

66-المنيع الجوهرة بنت عبد الرحمن، الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية في الفترة(1338هـ-1373هـ/1920م-1953م)، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2010.

67-الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 4، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.

68-مصدق سمية:"الأنساب في منطقة غريس:عرض ببليوغرافي"، 157-177، كتاب جماعي، معسكر:المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2014.

69-معيفي عبد الحميد وداودي سهام:"أدب الرحلة بين سمو البواعث وتوشُج الغايات"، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، ط 1، الجزائر، 2017.

70-نقولا زيادة، صفحات مغربية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002.

71-نواب عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996.

72-هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط 1، عين مليلة، الجزائر، 2008.

73-ولد النبية يوسف:"السردية عند أبي راس الناصري من خلال سيرته الذاتية "فتح الإله"، معسكر:المجتمع والتاريخ، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2014.

ثالثا– الرسائل الجامعية باللغة العربية:

1-الأعرجي نضال مؤيد مال الله عزيز، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685-706هـ/1286-1306م دراسة سياسية حضارية، ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، 2004.

2-بخيتي عيسى، أدب الرحلة الجزائري الحديث، أطروحة دكتوراه علوم، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2015 /2016.

3-بكاري عبد القادر، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني(1519-1830)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2015-2016.

4-بلبراوات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، الجزائر، 2007-2008.

5-بوسعيد أحمد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني(1518-1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2017-2018.

6-جعفري عزالدين، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2017م-2018م.

7-الحربي أماني بنت سعيد، مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين-13-14م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2015.

8-حسيني الطاهر، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها وخصائصها، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة -، الجزائر، 2014/2013م.

9-حفيان رشيد، "الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م"، شهادة ماجستير، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2014/2013.

10-حماش خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006.

11-الدهاس مشعل نايف عايض، الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2008.

12-شرابي يسمينة، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري "نماذج من رحلات القرن العشرين "، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، 2012-2013.

13-شقرون عبد الجليل، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي أحمد دراسة و تحقيق، رسالة دكتوراه في تحقيق المخطوطات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2016-2017.

رابعا- المقالات:

أ- باللغة العربية:

1-برشان محمد:"أثر ركب الحج في بناء حضارة المجتمع الصحراوي الجنوب الغربي الجزائري نموذجا"، مجلة الخلدونية، ع 6، دار كنوز، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2013.

2-بكاري عبد القادر:"الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجاً"، الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 6، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، دار كنوز، الجزائر، 2013.

3-بكاري عبد القادر:"الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري رحلة أبو راس الناصري أنموذجا"، مجلة عصور الجديدة، ع 19-20، ص ص212-229، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر،2015.

4-بكري حمزة:"ركب الحج الجزائري من خلال رحلتي الحسين الورثيلاني وعبد الرحمن المجاجي"، مجلة عصور الجديدة، مج 10، ع 1، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2020.

5-بلهواري فاطمة:"وصف الجنوب الصحراوي الجزائري في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط- رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي-، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ص ص37-47، ع 7، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2010.

6-بن علي زكريا:"أدب الرحلات في كتابات أبو القاسم سعد الله"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 9 و10، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2014.

7-بن قايد عمر:"منطقة الأغواط وجوارها من خلال رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي(ت 1239هـ/1823م)؛ قراءة اجتماعية ثقافية"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 09، ع 01، ص ص205-225، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018.

8-بوسعد الطيب:"الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني(وادي ريغ نموذجا)، مجلة الواحات للبحوث، والدراسات، ع 15، قسم التاريخ، المركز الجامعي لغرداية،2011.

9-بوسليم صالح وبن قايد عمر:"الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 21، ص ص267-278، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2015.

10-دادة محمد:"التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني،خصائصه وموضوعاته"، مجلة عصور الجديدة، ع 3-4، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2011-2012.

11-درقاوي منصور:"الموروث الثقافي اللامادي بالجزائر العثمانية على ضوء المصادر الأوربية(العادات والتقاليد-أنموذجا)"، ص ص 27-66، مجلة عصور، ع 34-35، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2017.

12-درويش الشافعي:"علاقة قبائل أولاد نايل بالسلطة العثمانية في الجزائر من خلال كتاب رحلة الباي محمد الكبير"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 04، ع 01، ص ص841-859، جامعة زيان عاشور، الجزائر، 2020.

13-الزين محمد:"نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 17، 129-135، جامعة غرداية، الجزائر، 2012.

14-زكري لامعة:"الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي المفهوم، الدوافع، الأنواع"، مجلة كان التاريخية، 158-161، ع 2، دار ناشري، الكويت، 2013.

15-الشافعي درويش:"علاقة قبائل أولاد نايل بالسلطة العثمانية في الجزائر من خلال كتاب رحلة الباي محمد الكبير"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع 01، ص ص841-859، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2020.

16-شارف رقية:"الواقع الاقتصادي للجزائر من خلال نماذج لمؤرخين جزائريين نهاية القرن 12هـ/18م وبداية القرن 13هـ/19م"، مجلة العلوم الإنسانية، ع 41، 53-62، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014.

17-شلابي نبيلة:"الحالة العلمية بالجزائر في العهد العثماني(القرنان الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد)، من خلال رحلة أبي راس المعسكري"فتح الإله ومنته"، مجلة الإحياء، مج 19، ع 23، ص-ص 695 - 724، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2019.

18-صحراوي عبد القادر:"الورثلاني:مقدمة عن رحلته وملاحظات عن فضل علم التاريخ والأخبار"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 9-10، 95-113، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2015.

19-عامر محمود:"المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، 356-381، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، 2012.

20-غرايبة خليف مصطفى:"الرحلات الجغرافية في التراث العربي الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين"، 9-13، مجلة كان التاريخية، ع 3، دار ناشري، الكويت، 2009.

21-قاسمي طاهر:"كتابات المؤرخين المغاربيين خلال العهد العثماني"، مجلة الإنسان والمجال، ص-ص 27-63، ع 05، المركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر، 2017.

22-كرطالي أمين:"نشر وتحقيق لمخطوط"نبذة من سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران"لمؤلف مجهول- الجزء الأول-، ص ص 151-179، مجلة عصور الجديدة، مج 9، ع 1، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2019.

23-مزين محمد:"المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول والقرنان 16 و17م"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 09، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995.

24-مشوشة سمير:"ابن حمادوش الجزائري وأبو راس الناصري يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18م"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 12، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2015.

25-نائبي سنوسي:"(واقع العلاقات بين قبائل الهضاب العليا الوسطى وتخوم الصحراء والسلطات العثمانية في نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 م)-قبيلة أولاد نايل أنموذجا-، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع 8، ص ص210-218، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2017.

ب- باللغة الأجنبية:

1-Berbrugger Adrien : « Reprise d'Oran par les Espagnols, en 1732 », Revue Africaine, Volume 08, 1864.

2-Berbrugger Adrien : « Les frontières de l'Algérie », Revue Africaine, Volume 04, Alger, 1859-60.

3- Gorguos Auguste : « Expédition De Mohammed El Kebir Bey De Mascara Dans Les Contrées Du Sud », Revue Africaine, Volume 03,1858.

4- Hadj Sadok Mohamed : « A Travers La Berbérie Orientale Au 18ème Siècle Avec Le Voyageur Al- Warthilani », Revue Africaine, Volume 95, 1951.

خامسا- المعاجم والقواميس والموسوعات باللغة العربية:

1-أحمد بن فارس بن زكريا أبي الحسن (ت 395هـ/1004م)، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، ج 2، دار الفكر، القاهرة، مصر، 1979.

2-الترغي عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها-تطورها-قيمتها العلمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، ط 1، المغرب الأقصى، 1999.

3-الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، معلمة المغرب، مطابع سلا، الرباط، المغرب الأقصى، 1989.

4-الحموي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، مج 3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977.

5-الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مج 1، دار العلم للملايين، ط 7، بيروت، لبنان،1986.

6-صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000.

7-ضيف شوقي، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، القاهرة، مصر، 2003.

8-الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب(ت 817هـ/1414م)، القاموس المحيط والحديث، القاهرة، مصر، 2008.

9-قلعجي محمد، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط 2، بيروت، لبنان، 1988.

10-ابن منظور الإفريقي المصري أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد 11، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت.

11-ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ب ت.

12-نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط 2، بيروت، لبنان، 1980.

سادسا- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1- Eugène Vayssettes, Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517-1837, présentation de Ouarda Siari-Tengour, éditions :Média-Plus, Constantine, Algérie, 2010.

2- Henri-Léon Fey, Histoire D'Oran Avant, Pendant Et Après La Domination Espagnole, Oran, 1858.

3- Laugier De Tassy, Histoire Du Royaume D'Alger, 1725

4-Marchika Jean, La peste en Afrique septentrionale Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830, Thèse pour le Doctorat en médecine, Université d'Alger, Faculté mixte de médecine et de pharmacie d'Alger, Alger, 1927.
Paris, France, 1985.
5-Raymond André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, éditions Sindbad,
6-Shaw Thomas, Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique etc., de cet état, traduit de l'anglais par J. Mac Carthy, Paris, France, 1830.

قائمة الفهــــــــارس

-أ-











-ب-

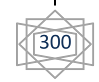
ـقـ

ـكـ

ـمـ

-أ-





-ي-

رابعا- فهرس المحتويات

ملخص

يعالج مضمون هذه الرسالة موضوع: "المجتمع الجزائري من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين 17 و18م"، أي أثناء الفترة الحديثة التي كانت فيها الجزائر ولاية عثمانية، وهي جديرة بالبحث والدراسة إذ شهدت خلالها أحداثا متفرقة انعكست على أحوال المجتمع العامة، خاصة وأنها كانت تتميز بخصائص جعلت منها محطة مهمة بسبب موقعها الاستراتيجي واعتبارها نقطة انطلاق أو عبور العديد من الرحالة المغاربة. هؤلاء الرحالة كان لهم الفضل في نقل صورة شاملة ومفصلة عن واقع المجتمع الجزائري من خلال وصفهم الدقيق لجل ما شاهدوه وعاينوه وسمعوه، كونهم عايشوا العديد من أحداث تلك الحقبة ممّا أعطى لكتاباتهم صفة الموضوعية والحقيقة التاريخية إلى أبعد حد، وبالتالي أصبحت مدونات الرحالة المغاربة مرآة عاكسة لواقع المجتمع الجزائري في مختلف المجالات ومصدرا أساسيا لتاريخ الجزائر الحديث، لا يمكن الاستغناء عنه لما يميّزه عن باقي المصادر بفضل قيمته العلمية عامة والتاريخية خاصة.

الكلمات المفتاحية:

المجتمع الجزائري؛ كتابات الرحالة المغاربة؛ الوصف الدقيق؛ القيمة العلمية والتاريخية؛ العياشي، المجاجي، السجلماسي، الورثيلاني؛ الباي محمد الكبير؛ الرحلة العلمية و الدينية.

نوقشت يوم 27 ماي 2021

بتقدير مشرف جدا